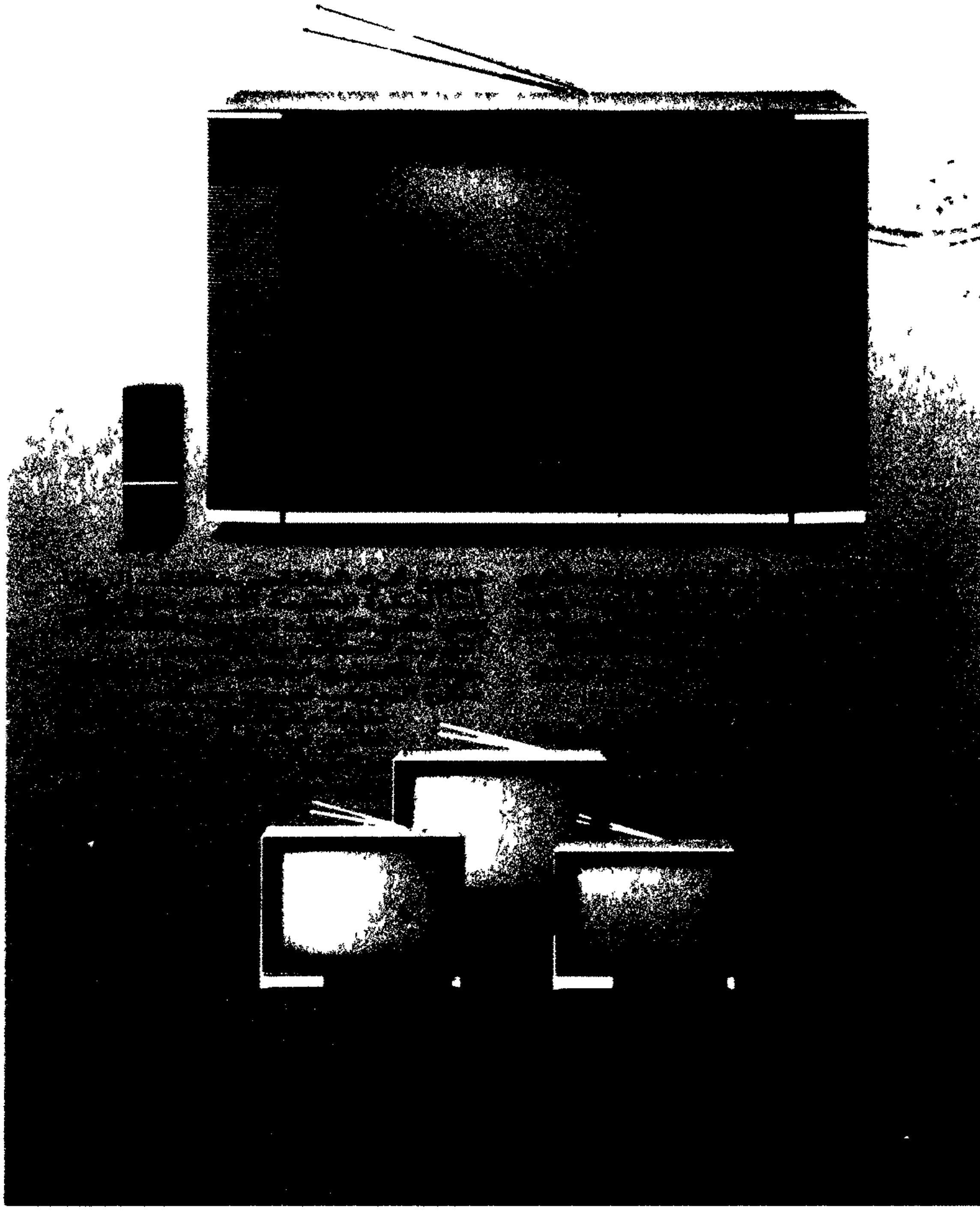

العربي
مارس (آذار) ١٩٨٦ م
شعب
يعيش
المستقبل

فكرة عظيمة اخرى.



العدد ٣٢٨ السنة التاسعة والعشرون مارس ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL - ARABI
Issue No : 328 March. 1986. P.O.Box 748
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي
الوطن العربي ٤ د ك - باقي دول العالم ٦ د ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

هل سمعت عن كتاب عنوانه « الموجة الثالثة » ، اذا لم يكن ذلك ، فإنه كتاب صدر منذ سنوات قليلة في الغرب ، وأصبحت له شهرة فائقة ، مؤلفه مغرم بالدراسات المستقبلية ، فقد ألف قبله كتابا آخر ذاع صيته أيضا وعنوانه « صدمة المستقبل » هذا المؤلف هو « الن توفلر » ، وتحول الكتاب الى مسلسل تلفزيوني وثائقي عرض في أماكن كثيرة من المعمورة ، خلاصة كتاب « الموجة الثالثة » تقول ان تاريخ البشرية المعروف والمكتوب مر بثلاث مراحل أو ثلاث موجات ، المرحلة الأولى هي اكتشاف الانسان للزراعة المستقرة ، هذا الاكتشاف غير من طبائع الانسان وفرض مجموعة من القيم بقيت لآلاف السنين ، أما المرحلة الثانية فهي الثورة الصناعية عندما اكتشف الانسان أن آلة ما تستطيع أن تقوم بالانتاج ، هذه الثورة أيضا صحبها مايلائمها من تنظيم اجتماعي وسياسي كان أساسه التماثل ، فالآلات متشابهة وكذلك التنظيمات الاجتماعية يجب أن تتشابه

أما اليوم فإن الانسان يمر بمرحلة جديدة من تاريخه هي « الموجة الثالثة » التي تعتمد أساسا على المعلومات ، والمستقبل ـ كما يقول توفلر ـ للشعوب التي تستطيع ان تختزن وتبرمج أكبر كمية من المعلومات ، والتي بدورها تشكل مجتمعا ، ليس متماثلا ولكن متنوعا ، وفي نفس الوقت تفرض نمطا اجتماعيا أساسه التعاون

« ثورة المعلومات » هي ماتحاول العربي أن تلاحقه فتقدم لك كل جديد في الثقافة والفن والعلم

هذه هي رسالة العربي ، ولعلك وأنت تتصفح هذا العدد الذي يأتي مع اطلالة الربيع ، لايخالجك شك أننا نحاول جهدنا لنقدم لك كل ما هو جديد وعلمي ونأمل ونحن نمضي في مسيرتنا أن نلحق بالركب ، فلا يفوتنا القطار ، ولانتوقف عن الاضافات الجادة في انطلاقتنا التي اقتربت من عامها الثلاثين

المحرر

محتويات العدد



الكومبيوتر والعد على موعد ان الحاسب الآلي هو أحد ملامح المستقبل الذي يعيشه هذا الشعب ، اقرأ الاستطلاع (ص ٦٨)

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

● منتدى العربي :

● من مكتبة العربي :

● جمال العربية :

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

ثقافة أبنائنا بين النظرية والتطبيق

■ طفل "أفيرون" و"الطفلة الذئبة".. ما حكايتهما؟

■ هل لدينا أمية تشكيلية.. وما هي؟

تتداخل لدى المشتغلين بالعلوم الاجتماعية قصتان ، فيهما من الطرافة والمعرفة ما يحكم ارتباطهما بذهن القارىء لفترة طويلة حتى يدرك مغزى القصتين الذى هو فى الحقيقة مغزى واحد

القصة الأولى هى مايعرف بقصة طفل (أفيرون) ، والقصة الأخرى هى قصة (الطفلة الذئبة كمالا) ، وبين القصتين فترة زمنية تقارب نصف قرن من الزمان

القصة الأولى تبدأ عندما عثر مجموعة من الصيادين على طفل فى الثانية عشرة من عمره تقريبا ، يتجول فى غابات أفيرون الكثيفة ، ومكانها خارج باريس ، وزمن القصة كان فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر

كان الطفل يتنقل على يديه وقدميه معا ، ويطلق همهمة غير مفهومة ، ويهاجم بأظافره وأسنانه كل من يقترب منه

هو انسان ، ولكنه يتصرف تصرفا أقرب منه الى الحيوان ، وعندما قبض على هذا الطفل وعرض على الاختصاصيين وقتها ، تبين أنه سليل بشر ، وأن سبب سلوكه ذاك هو انعزاله عن المجتمع الانسانى ، وحرمانه من تكوين ردود أفعال اجتماعية يتعلمها تلقائيا من هم على شاكلته وتربوا مع بشر أسوياء ، ولم يتقدم طفل (أفيرون) هذا كثيرا عندما أريد له ان يتكيف مع البشر ، ويعود انسانا .

ولكن القصة بتفاصيلها العامة تتكرر بعد ذلك بحوالى نصف قرن . . هذه المرة في الهند ، فقد عثر على طفلة عمرها عشر سنوات (سميت « كمالا » في وقت لاحق) عثر عليها في جحر ذئب ، وكان سلوكها ايضا حيوانيا عدوانيا لطول عشرتها مع الذئاب . الا أن حظها كان أسعد من حظ طفل (أفيرون) ، فقد تعلمت كيف تمشى واقفة ، وكفت عن العواء ، وتعلمت في وقت لاحق العيش مع البشر ، ولكن ذلك لم يدم أكثر من عشر سنوات ، فقد توفيت بعد ذلك .

الإنسان كائن اجتماعي

□ هاتان القصتان نرى لهما أمثلة كثيرة في تاريخ العلوم الاجتماعية ، والمحصلة العلمية لمثل هذه القصص الطريفة والمؤسفة والحقيقية في نفس الوقت ، هى ان الانسان كائن اجتماعى يتشكل حسب البيئة التى نشأ فيها ، ومارس أنشطتها العلمية والفكرية ، فهو يكتسب تجاربه ومفهوماته من واقعها ، وتنتقل خبراته متكدسة من جيل الى جيل في وعاء مرن رحيب يشمل كل ذلك ، اصطلح على تسميته « بالثقافة » في المجتمع الانسانى .

فالطفل الانسانى ـ يختلف عن المولود الحيوانى ـ وحين يصل الأخير الى هذا العالم سرعان ما يشب على ارجله الأربع ويسعى تلقائيا الى ضرع أمه ، أما الطفل الانسانى فأنه يحتاج الى احتضان محفوف بالمعونة والرعاية ، وبيئة ثقافية يتشكل فيها ، صحيح ان الطفل الانسانى يولد ولديه الاستعداد لاستقبال المعلومات واختزانها ، أى ان له منظومة فطرية ، ولكن الصحيح أيضا ـ في الوقت نفسه وبالقوة نفسها ـ ان هذه المنظومة الحيوية شديدة التقبل والتفاعل مع البيئة المحيطة به .

وكل من يقول بذلك لايعوزهم الدليل حينما يستشهدون بطفل أفيرون أوبالطفلة الهندية ، ولكن تاريخ الانسان ملىء بهذه الشواهد التى تقول في النهاية : ان الطفل كائن اجتماعى،ومهما حمل من خصائص نوعه والتصاقات وراثته فانه اخيرا من صنع بيئته .



اذا قبلنا تلك الحقيقة العلمية فأننا نقبل معها ايضا مسؤولية التأثير في الطفل وتوجيهه ، الا ان السؤال الاهم يظل معلقا وهو :

« هل نترك الطفل لبيئته الاجتماعية كما هى ، تؤثر فيه بطريقة تلقائية ، أو نحاول التعديل والتغيير في تلك البيئة الاجتماعية لاهداف نبتغى ان تغرس في طفل اليوم . . رجل الغد ، أو طفلة الحاضر أمّ الأجيال القادمة ؟ »

الاجابة الشافية عن هذا السؤال الدقيق ليست من السهولة بمكان ، ولكن من حيث المبدأ وبملاحظة ما يجرى حولنا في عالم اليوم ، نرى ان معظم المجتمعات الانسانية تحاول ان تؤثر في نشئها الجديد باتجاه اعداده لمهمات تفرضها هى ، ودليلنا على ذلك

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

ثقافة أبنائنا بين النظرية والتطبيق

■ طفل "أفيرون" و"الطفلة الذئبة".. ماحكايتهما؟

■ هل لدينا أمية تشكيلية.. وما هي؟

تتداخل لدى المشتغلين بالعلوم الاجتماعية قصتان ، فيهما من الطرافة والمعرفة ما يحكم ارتباطهما بذهن القارىء لفترة طويلة حتى يدرك مغزى القصتين الذى هو في الحقيقة مغزى واحد

القصة الأولى هى مايعرف بقصة طفل (أفيرون) ، والقصة الأخرى هى قصة (الطفلة الذئبة كمالا) ، وبين القصتين فترة زمنية تقارب نصف قرن من الزمان

القصة الأولى تبدأ عندما عثر مجموعة من الصيادين على طفل في الثانية عشرة من عمره تقريبا ، يتجول في غابات أفيرون الكثيفة ، ومكانها خارج باريس ، وزمن القصة كان في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر

كان الطفل يتنقل على يديه وقدميه معا ، ويطلق همهمة غير مفهومة ، ويهاجم بأظافره وأسنانه كل من يقترب منه

هو انسان ، ولكنه يتصرف تصرفا أقرب منه الى الحيوان ، وعندما قبض على هذا الطفل وعرض على الاختصاصيين وقتها ، تبين أنه سليل بشر ، وأن سبب سلوكه ذاك هو انعزاله عن المجتمع الانساني ، وحرمانه من تكوين ردود أفعال اجتماعية يتعلمها تلقائيا من هم على شاكلته وتربوا مع بشر أسوياء ، ولم يتقدم طفل (أفيرون) هذا كثيرا عندما أريد له ان يتكيف مع البشر ، ويعود انسانا .

ولكن القصة بتفاصيلها العامة تتكرر بعد ذلك بحوالى نصف قرن . . هذه المرة في الهند ، فقد عثر على طفلة عمرها عشر سنوات (سميت « كمالا » في وقت لاحق) عثر عليها في جحر ذئب ، وكان سلوكها ايضا حيوانيا عدوانيا لطول عشرتها مع الذئاب . الا أن حظها كان أسعد من حظ طفل (أفيرون) ، فقد تعلمت كيف تمشي واقفة ، وكفت عن العواء ، وتعلمت في وقت لاحق العيش مع البشر ، ولكن ذلك لم يدم أكثر من عشر سنوات ، فقد توفيت بعد ذلك .

الانسان كائن اجتماعي

□ هاتان القصتان نرى لهما أمثلة كثيرة في تاريخ العلوم الاجتماعية ، والمحصلة العلمية لمثل هذه القصص الطريفة والمؤسفة والحقيقية في نفس الوقت ، هي ان الانسان كائن اجتماعي يتشكل حسب البيئة التى نشأ فيها ، ومارس أنشطتها العلمية والفكرية ، فهو يكتسب تجاربه ومفهوماته من واقعها ، وتنتقل خبراته متكدسة من جيل الى جيل في وعاء مرن رحيب يشمل كل ذلك ، اصطلح على تسميته « بالثقافة » في المجتمع الانسانى .

فالطفل الانسانى ـ يختلف عن المولود الحيوانى ـ وحين يصل الأخير الى هذا العالم سرعان ما يشب على ارجله الأربع ويسعى تلقائيا الى ضرع أمه ، أما الطفل الانسانى فأنه يحتاج الى احتضان محفوف بالمعونة والرعاية ، وبيئة ثقافية يتشكل فيها ، صحيح ان الطفل الانسانى يولد ولديه الاستعداد لاستقبال المعلومات واختزانها ، أى ان له منظومة فطرية ، ولكن الصحيح أيضا ـ في الوقت نفسه وبالقوة نفسها ـ ان هذه المنظومة الحيوية شديدة التقبل والتفاعل مع البيئة المحيطة به .



وكل من يقول بذلك لايعوزهم الدليل حينما يستشهدون بطفل أفيرون أوبالطفلة الهندية ، ولكن تاريخ الانسان ملىء بهذه الشواهد التى تقول في النهاية : ان الطفل كائن اجتماعى،ومهما حمل من خصائص نوعه والتصاقات وراثته فانه اخيرا من صنع بيئته .

اذا قبلنا تلك الحقيقة العلمية فأننا نقبل معها ايضا مسؤولية التأثير في الطفل وتوجيهه ، الا ان السؤال الاهم يظل معلقا وهو :

« هل نترك الطفل لبيئته الاجتماعية كما هى ، تؤثر فيه بطريقة تلقائية ، أو نحاول التعديل والتغيير في تلك البيئة الاجتماعية لاهداف نبتغى ان تغرس في طفل اليوم . . رجل الغد ، أو طفلة الحاضر أمّ الأجيال القادمة ؟ »

الاجابة الشافية عن هذا السؤال الدقيق ليست من السهولة بمكان ، ولكن من حيث المبدأ وبملاحظة ما يجرى حولنا في عالم اليوم ، نرى ان معظم المجتمعات الانسانية تحاول ان تؤثر في نشئها الجديد باتجاه اعداده لمهمات تفرضها هى ، ودليلنا على ذلك

الجامعات والمدارس ودور التدريب التى تقتطع من اعمار المتعلمين شهورا عديدة وسنوات طويلة من أجل اعدادهم الاعداد السليم لخدمة مجتمعاتهم

كل هذا التعليم والتدريب يخضع لمتالية زمنية تتدرج عبرها مستويات التعلم واهدافه ولكن الثقافة أوسع مجالاً من التعليم وارحب ، فالثقافة ليست المنهج المدرسى ولا التعليم التقليدى فقط ، وانما ثقافة الطفل إذا ما اردنا له الثقافة ، تقتضى تجميع الكثير من جهود المؤسسات الاجتماعية على اختلاف مناشطها ومشاربها

ثقافة الطفل في محنة

□ واذا نظرنا الى خصوصية ثقافة الطفل العربى ، فأننا نجد ان المسئولية تتجاوز طبيعتها الى ماهو اعظم وافدح ، فقد قررت كثرة من الوثائق العربية المعنية بالثقافة أن ثقافة الطفل العربى فى احسن الاحوال مختلة ، وفى اقلها معدومة ، وقد قررت ذلك بوضوح مسودة الخطة الشاملة للثقافة العربية التى توافر على وضعها نخبة من المتخصصين العرب ، ونوقشت فى اطار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى تونس فى نهاية نوفمبر الماضى

فبعد ان تعرضت تلك الوثيقة المهمة لابراز وجوه النقص الذى تعانيه المطبوعات الخاصة بالطفل العربى ، قررت انه (ليس ثمة مناص من تخطيط ثقافى خاص بالطفل العربى يستهدف انقاذ الجانب الثقافى فى شخصيته ويستكمل به تكوينه القومى)

وعندما تقول وثيقة كهذه ان الهدف هو « إنقاذ » الجانب الثقافى ، ونحن نعرف مدلول كلمة « انقاذ » ، ندرك على الفور مدى ما تعانيه ثقافة الطفل العربى من محنة الاهمال

محاولات ومحاولات

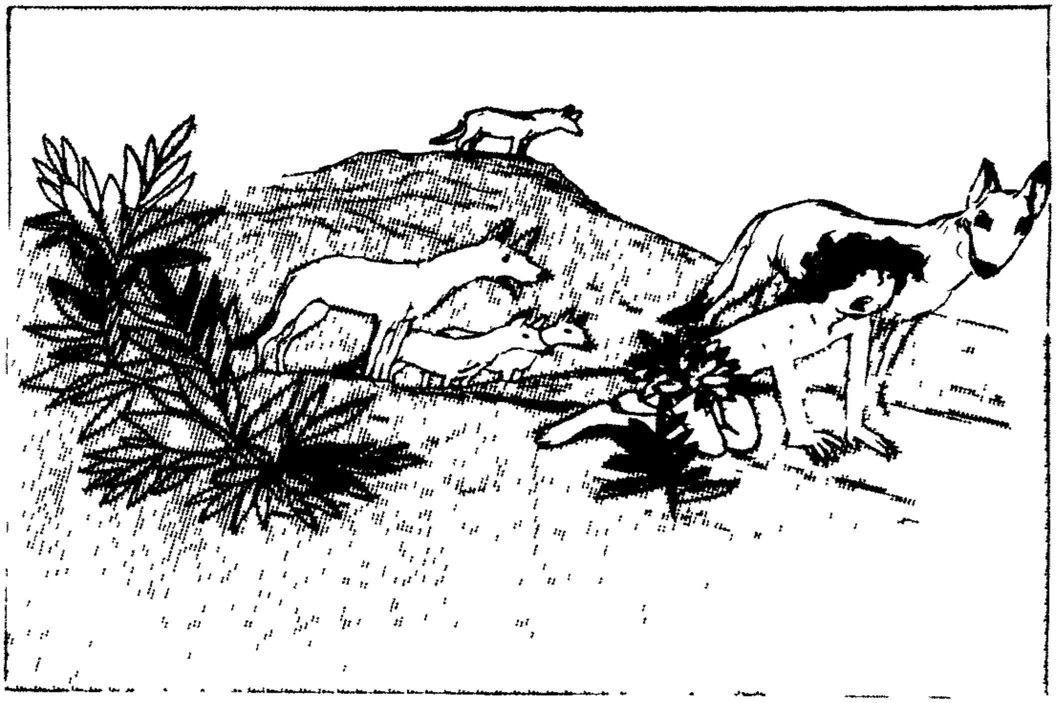
□ من يقرأ هذه الكلمات من جيلنا العربى الذى خدمته الظروف فأتيحت له فرص القراءة ، يتذكر مجلة « سندباد » التى اصدرتها فيما بين ١٩٥١ ، ١٩٦١ دار المعارف فى مصر ، واشرف على تحريرها رحل لامع من رحالات التربية والتعليم وقتها هو المرحوم محمد سعيد العريان ، وبعد ذلك ربما يتذكر البعض مجلة سمير التى صدرت عام ١٩٥٦ ، وميكى فى عام ١٩٦١

ولعل من وعوا القراءة قبلنا من الجيل السابق يتذكرون مجلة السندباد القديمة ، التى ما لبثت ان حلت محلها مجلة البلبل ، وقد اصدر الاثنين احلال حافظ ، او مجلة (الاطفال) ثم مجلة (ولدى) اللتين ظهرتا فى ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ وقد اصدرهما احمد عطية الله

وتتكرر اسماء مجلات الاطفال واحدة تلو الاخرى ، على سبيل المثال مجلات مثل « الكتكوت » و « على بابا » فى نهاية الاربعينيات وبداية الخمسينيات رجوعا الى « النونو » ، « ومسامرات الاطفال المصورة » فى العشرينيات وقفزا لما بين أيدينا من مجلات اطفال تصدر فى كثير من عواصم الاقطار العربية اليوم

محاولات اثر محاولات من اشخاص ومؤسسات وعت اهمية تثقيف الطفل العربى ، بعضها نجح والبعض تعثر لاكثر من سبب وبعضها مازال قائما فى الساحة الثقافية يعمل ويقدم كل ما تتسع له الامكانات المتاحة

وفى الوقت نفسه ـ ومع تقدم الزمن ـ يزداد عدد المقاعد التى يجلس عليها ابناؤنا



المتعلمون في ارجاء وطننا العربي ، وكذلك تزداد قاعدة الهرم السكاني العربي اتساعا الى درجة ان بعض الاحصائيات تقدر ان لدينا ما يقارب ٤٠٪ من السكان في الوطن العربي هم دون الخامسة عشرة من اعمارهم ، أى ان قاعدة الهرم السكاني في وطننا العربي شابّة وعريضة ، وهى شديدة الظمأ الى كل مشروع جاد لخدمة هؤلاء الصغار من مختلف الاعمار .

قرية صغيرة

□ ونضيف الى كل تلك الاعتبارات المهمة والرئيسة اعتبارات لاتقل عنها أهمية ، فنحن مجتمع عربي ، تقع أرضه على مفترق الطرق بين الشرق والغرب ، في زمن تقلصت فيه المسافات بين القارات والشعوب ، وتطورت اساليب التأثير على الجماهير ، وتضاعفت اهميتها خصوصا في كل ما يتصل بالاطفال في كل الشعوب ، ذلك لان هذا التأثير الراهن فيها اليوم انما هو ضمان لسلوكها الاقتصادى والسياسى والاجتماعى في المستقبل .

واذا ربطنا كل ذلك بما قلناه آنفا من أن معارف الطفل مرتهنة بما يحيط به من تغيرات ، وان الطفل في الغالب يتأثر بعناصر ثقافية سابقة الرسوخ في مجتمعه ، وان هذا المجتمع هو نفسه عرضة لتأثيرات ثقافية متجددة لا يملك دفعا للكثير من عناصرها ، هنا يقع الطفل في صراع ثقافي متعدد الاطراف ، صراع بين الثقافتين . ثقافة متأصلة الرسوخ ، وثقافة متغيرة ، صراع بين القديم والحديث ، ان لم يعالجه القائمون على ثقافة الطفل العربي اليوم في حرص ووعى ، فان مصداقية هذه الثقافة سوف يعتورها التصدع ليس بالنسبة لمضمونها فقط ، وانما لعجزها عن الثبات امام الثقافة الغازية

لذلك فان اثراء الثقافة المطروحة امام الطفل العربي مسئولية عظيمة لا يسعنا ان ننكص عنها لما لها من أثر كبير في تنشيط الدوافع المكتسبة كالاكتشاف والانتماء ، والاتصال والمشاركة والوعي الديني والوطني والقومي ، حتى تستقيم توجهات الطفل الى ما يخدم الوطن والامة ويقيها الهوان والجمود .

ولعل مجلة للاطفال ، فيها من الجاذبية النفسية للمادة المطبوعة من جهة ولافضليتها النسبية على الاشرطة المسموعة والمرئية ، من حيث زهادة السعر والسيطرة على الموقف القرائي وأختيار الوقت حسب الفراغ والحاجة وسهولة الاستعادة والتكرار من جهة أخرى ، إلى جانب كون المادة المطبوعة من اقدم وسائل الاتصال الجماهيري المعروفة . . لعل كل هذه العناصر التي تؤكد اهمية المجلة المطبوعة ، هي التي دفعت مجلة العربي ـ ضمن عوامل اخرى ـ ان تنتهز قرب بلوغها الثلاثين من عمرها لتقديم مجلة مستقلة للاطفال العرب ، هي « العربي الصغير » ، التي صدرت في البداية في عددين تجريبيين ثم انفصلت بقوامها المستقل عن مجلة العربي منذ فبراير الماضي كي تصل الى كل الاطفال العرب وهي تحمل كل هذه المعاني التي ترجو ان تصل الى عقول أبنائنا .

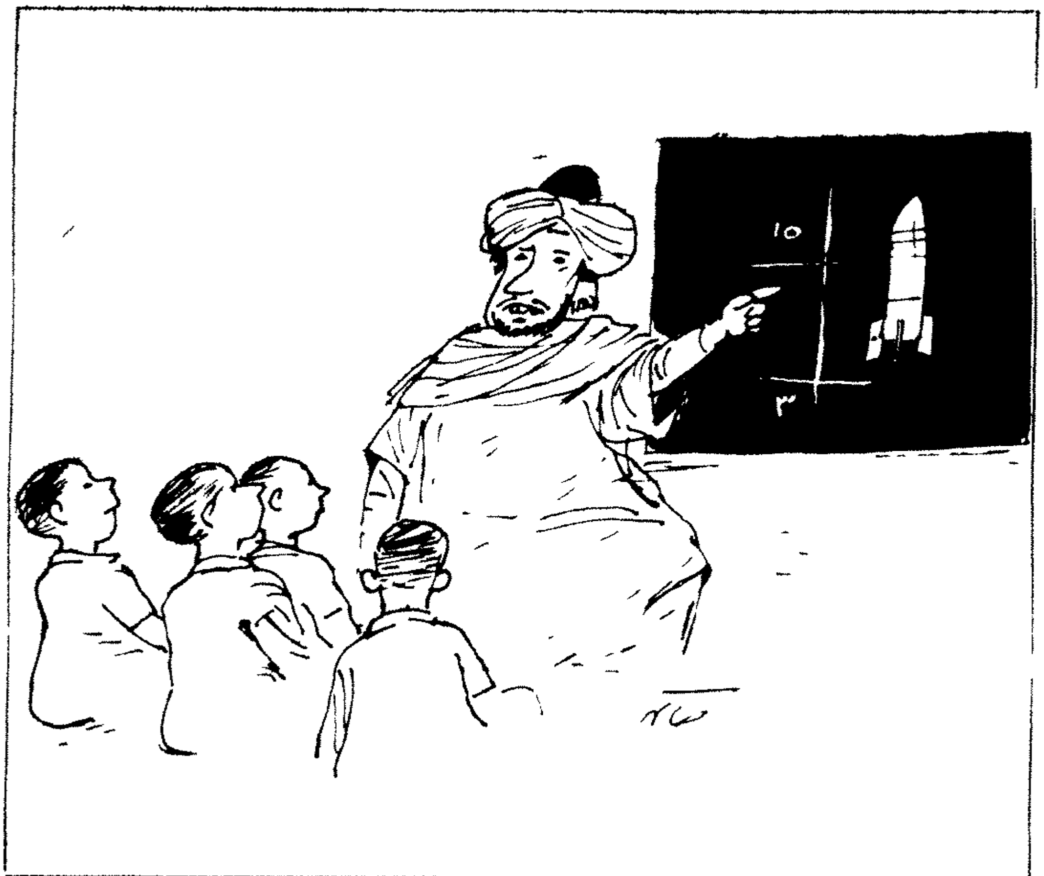
رسالة ثقافية عربية

□ ولا اظن ان هناك ما يدعو لاعادة طرح القضايا التي طرحت من قبل بعناية شديدة بين ايدي المهتمين بثقافة الطفل ، سواء كانوا متخصصين أو اباء وامهات مهتمين بثقافة اطفالهم من تلك القضايا ان وطننا العربي قد ابتلي بأشكال من النتاج الثقافي للاطفال مجلوبا من الخارج غير نابع من طبيعة الوطن ، لقد اعتبر البعض ان الاطفال العرب « سوق » يجري عليه ما يجري على كل الاسواق من ترويج البضائع بأسلوب الواجهات المضيئة والاجتذاب الباهر ، حتى اقتحمت أذهان اطفالنا أشياء عجيبة ، منها شخصيات الرجل الخارق والمرأة الحديدية ، دون اهتمام بالمضمون ، ودون وفاء بمطالب الاطفال واحتياجاتهم الفكرية الطبية لكل عمل هادف

من هنا جاءت « العربي الصغير » كمشروع ثقافي للطفل العربي بديل للكثير مما هو مطروح ، بديل يهتم بالمضمون الى جانب الشكل ، مشروع يعترف بأهمية الخيال المجنح في آفاق التسلية النافعة والمتعة البريئة والتصورات المتفننة ، وليس الخيال الشرس العقيم



وقد أولينا اهتماما خاصا بتراثنا وحرصنا على تقديمه في اطار شيق ملائم ، ولم نغفل نواحي العلم والتقنية الحديثة ومجالات تطبيقها في نطاق الواقع العربي ووضعنا المشروع كله تحت النقد وأمام أعين الرقابة الوطنية العربية ، ولذلك فقد سعدنا عندما جاءتنا اقتراحات وانتقادات وتوجيهات واعية من الكويت ومنطقة الخليج ، ومن مصر العربية ، ومن الجمهورية العراقية ، ومن الجمهورية الجزائرية . . ومن كل اقطار الوطن العربي تقريبا ومن خارجه ، من مؤسسات وافراد ومفكرين ومسئولين ومثقفين ومدرسين واباء وأمهات ومن الاطفال انفسهم ، وقد عبروا فيها بطريقتهم عن استحسانهم أو نقدهم لهذا الموضوع أو ذاك في الاعداد التمهيدية « للعربي الصغير » ومن الاتجاهات الاساسية التي تستحق في رأينا الرصد والتبويب ـ كدراسة عملية لمشروع ثقافي للاطفال العرب ـ اتجاهات اتفقت فيها أغلب الرسائل .



الأهــداف والقــيــم

☐ من بين هذه الاهداف والقيم التى يجب ان تتبناها المجلة

* القيم الدينية الاصيلة والواضحة ، التى تمنح الطفل التوازن النفسى والامن والثقة بالحياة ، وتؤكد على النزعة الانسانية ووحدة البشر أمام خالقهم ، وتنزع الى تحرير الانسان من مخاوفه واوهامه ، بالشكل الذى يمكن للطفل ان يتقبلها به وتؤثر في سلوكه .

* القيم العربية التى تؤكد انتهاء الطفل الى أمته العربية ، وتحرره في الوقت ذاته من التعصب العرقى أو الطائفى أو المذهبى أو الاقليمى ، وتبرز تفاعل الثقافة العربية مع الثقافات الانسانية في الماضى والحاضر ..... كما تبرز التوجه العام والانسانى للثقافة العربية .

* القيم الانسانية المعاصرة ، (مع ابراز جذورها في الماضى وتطورها في الحاضر وتوجهها للمستقبل) مثل احترام العقل ، النظرة العلمية والموضوعية ، الحق ، الواجب ، احترام الأخر واستقلاليته ، معنى الحرية ، حدود الحرية ، قيمة العمل ، الابداع ، الانتاج ، المبادأة ، الايجابية ، أهمية الوقت ..... الخ مع الاخذ في الاعتبار بتداخل هذه الحلقات والمنظومات .

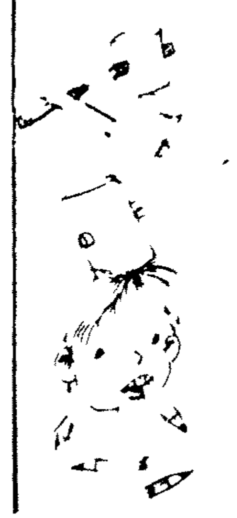
* اما فيما يتعلق بوسائل تحقيق هذه الأهداف والقيم فقد كان من بين الاتجاهات نقاط محددة ·

* عن القصص المسلسلة ذات الصور : هناك رسائل من ذوى الاختصاص تؤكد على اهمية خلق شخصية اساسية يتعلق بها الطفل وتنشأ بينه وبينها علاقة ، وهذه مسألة تهم الاطفال من ٨ ـ ١٢ سنة وهى سن الخيال الايهامى النشط عند الطفل ، ومن خلال تفاعل هذه الشخصية المحورية مع بقية الشخصيات الثانوية في المسلسل ومع احداث القصة ، وتقمص الطفل لهذه الشخصية ، يمكن بث القيم المنشودة في نفس الطفل

* عن الصور المرافقة للمسلسل كان هناك تأكيد على أهمية ان تكون الصور واضحة ومترابطة في تتابعها بحيث يمكن للطفل ان يفهم الاحداث من تتابع الصور ، وفي ذات الوقت كانت هناك دعوة الى الحذر من الاسراف في هذه المسلسلات دات الصور المتلاحقة والحوار القصير داخل الصورة لانها تحرم الطفل من متعة القراءة الحادة المتواصلة ولكن لان الاطفال في هده السن اصبحوا يقبلون على مثل هذه المسلسلات المصورة فيجب على الاقل ان تكون الصور كبيرة وواضحة ، وان تكون الكلمات تحت الصور لا داحلها بحيث لا يتمرق النص الادبى المقروء

* هناك تأكيد على ان تعنى المجلة بقصص الخيال العلمى سواء فى شكل مسلسل أو قصة قصيرة واحدة ، على ان تربط هذه القصص الطفل بروح البحث العلمى وتعرفه باتجاهات العلم فى عصرنا مع اشباع حيال الاطفال واثارة قوة الابداع فيهم

الصورة والكلمة



☐ حول صفحات دائرة المعارف اكدت كل الرسائل تقريبا على اهمية هذا الباب فى المجلة وبهذا الصدد كانت هناك اقتراحات بان يكون تسلسل دائرة المعارف خاضعا للترتيب الابجدى مع تعدد الاغراض فى كل عدد ، بحيث يمكن للطفل ان يحتفظ بها منفصلة كمرجع حاص ، وان يستفتى الاطفال فى الموضوعات التى يحبون ان تقدمها لهم دائرة المعارف

واقترحت بعض الرسائل ان يطلب الى الاطفال ان يقدموا ما يحبون تقديمه من الوان المعرفة لهذا الباب

* وعن الاستطلاع كان هناك اجماع على أهميته ، واعجاب بما قدم منه ، وعلى انه من افضل السبل لتعريف الطفل بوطنه العربي بشكل حذاب ومشوق ، ومناسب وبهذا الصدد كانت هناك ملاحظة واحدة تؤثر ان يكون الاستطلاع معتمدا أساسا على الصور وبأقل قدر من الكلمات ، كما كانت هناك دعوة الى ان يطلب من الاطفال تقديم استطلاعات عن بلادهم أو بيئاتهم فيتعرفون هم عليها ويعرفون غيرهم بها

* عن مادة التراث والتاريخ اكدت رسائل عديدة على أهمية تعريف الاطفال



بتراث أمتهم وأوطانهم وتاريخها ، بما يؤكد انتماءهم لأمتهم مع الاخذ فى الاعتبار رغبة الطفل وحاجته الى الايمان بمثل عليا فى هذه المرحلة من العمر وخصوصا من ١٢ الى ١٥ . واشارت الرسائل الى ان هذا الهدف يمكن ان يتحقق من خلال « القصة » ودائرة المعارف » « والاستطلاع » و « المسلسل » ، و « الحكايات المأخوذة من التراث » لكن المهم فى كل هذه الاشكال هو الاختيار الجيد للمادة التراثية أو التاريخية ، والتقديم المناسب لها ، بما يسهم فى تحقيق الهدف المنشود . ويحث الطفل على البحث بنفسه فى المراجع الخاصة بهذه المادة . ومن هنا اقترحت بعض الرسائل ضرورة الاشارة الى المراجع فى مثل هذه المواد ، فالمجلة ينبغى ان تكون طريق الطفل الى الكتاب لا بديلا عنه .

* وعن الصفحة الدينية ، أكدت رسائل عديدة على هذا الجانب ، بينما اقترحت بعض الرسائل ان تبث القيم الدينية خلال الموضوعات المختلفة بشكل غير مباشر ، لان هذا افضل من تركيز المسألة فى صفحة خاصة ، وان كانت بعض الرسائل قد اقترحت ان تكون الصفحة خاصة بالثقافة الدينية التى تقدم فى فقرات قصيرة واضحة سهلة الاستيعاب ، أو فى شكل سؤال وجواب .

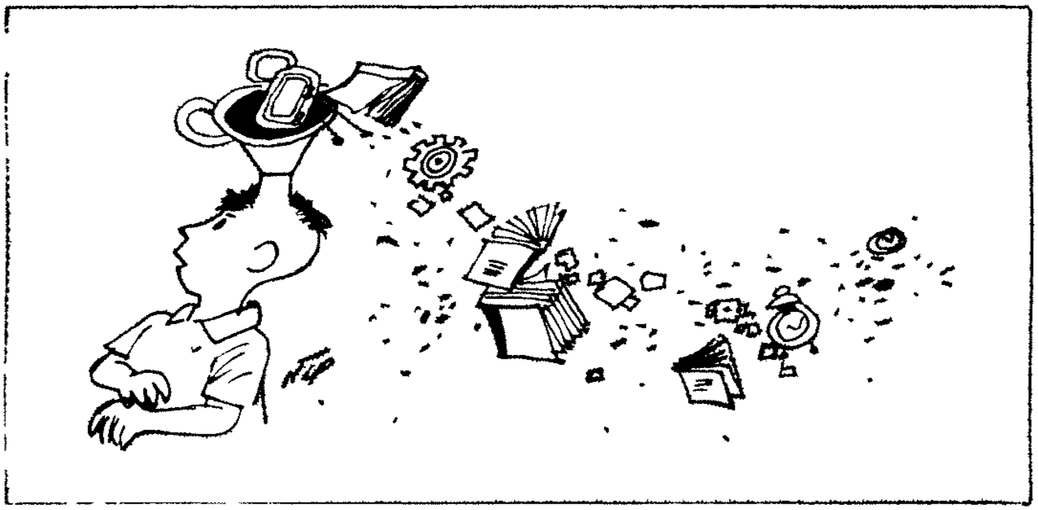
* وعن صفحات المسابقات ، والالعاب ، والتسلية ورسائل القراء فقد اكدت رسائل كثيرة ، على ضرورة ان تكون المسابقات احدى وسائل المجلة لتنمية الذكاء ، والمعلومات واثارة الرغبة فى القراءة ويمكن ان تتطور لتشجيع الاطفال ذوى المواهب فى الادب أو الفنون على تقديم انتاجهم فى مسابقات أدبية أو فنية مناسبة يمكن نشر ما يفوز منها فى مجلتهم « العربي الصغير » .

* أما عن باب : « اعمل بيديك » . فقد لقى استحسانا كبيرا من اغلب من كتبوا عن الاعداد التجريبية ، ونبهت بعض الرسائل الى ان تكون الاجهزة التى تتناول فى هذا الباب من الانواع المألوفة والمعروفة لدى اكثرية الاطفال ، بحيث يمكن ان يجربوا بالفعل المعرفة التى تقدمها لهم المجلة .

* أما الكاريكاتير فهو يلبي حاجة الطفل للمرح ، ويقترح البعض ان يوجه الكاريكاتير لنقد بعض العادات السيئة التى يمكن ان ترافق سنوات الطفولة ، واقترحت رسائل اخرى فى مجال الاستجابة لروح المرح لدى الاطفال تقديم صفحة خاصة بالفكاهة والطرائف . . . . .

الأمية التشكيلية

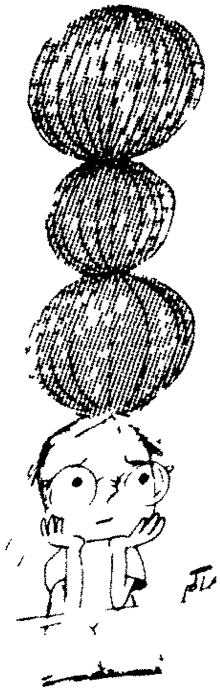
☐ يقول احد المتخصصين فى الميدان : اننا كعرب لدينا فعلا أمية تشكيلية على حد تعبير احد الفنانين العرب ، فهل يمكن ان تقوم المجلة بدور بارز فى محو هذه الامية لدى الجيل الجديد عن طريق نشر لوحات للفنانين العرب المعاصرين مع شروح لهذه الاعمال حتى تتفتح حواس اطفالنا على هذا الفن الجميل وينمو ذوقهم الفنى منذ البداية فى الطريق الصحيح ، كما اقترحت بعض الرسائل نشر الرسوم الجميلة التى يقوم الاطفال برسمها .



* وقد طرحت ايضا فكرة الاستعانة بدراسة قامت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « عن الالفاظ والتعابير المشتركة بين اطفال الوطن العربي » وذلك لمساعدة المحررين على التركيز على المشترك والابتعاد عن سواه بقدر الامكان

* وتلح رسائل كثيرة على العناية باللغة العربية تقول ان مجلة يتناولها الاطفال العرب أجدر من سواها بالحرص على سلامة الاستخدامات اللغوية كما تقول رسالة اخرى ان الدقة في تشكيل الكلمات أمر ذو أهمية ليتلقف الاطفال منذ البداية الكلمة الصحيحة

* وثمة مخاوف ومحاذير اخيرة عبرت عنها بعض الرسائل خلاصتها « أن توجه المجلة لفئات العمر من ٥ الى ١٤ سنة يعني انها ستخاطب فئات مختلفة في احتياجاتها النفسية والفكرية ، والتحدي الماثل يكمن في ان عليها ان تكسب كل هذه الفئات بحيث لا تشعر فئة من هذه الفئات ان المجلة ليست لها وحدها ، أو انها لا تجد نفسها فيها بالدرجة الكافية مما قد تكون بعض نتائجه التضحية بفئة من هذه الفئات أو تسربها ، ان على المسئولين عن هذه المجلة ان يكونوا على درجة عالية من اليقظة لكسب المعركة في الجهتين ، فيكون الانتصار عظيما حقا »



وبعـــد . .

* لقد دخلنا المعركة ، معركة تنوير عقل الطفل العربي ، ولسنا وحدنا في هذا المجال ، فهناك الى جانبنا مؤسسات وافراد في طول الوطن العربي وعرضه يناضلون من اجل غد أفضل لهذه الامة ، وما مجلة للاطفال في رأينا الا احد الاسلحة في هذه الحرب الحضارية ، ونحن عازمون على المضي فيها الى آخرها ، لا يعوزنا التصميم ، ولا تنقصنا العزيمة

محمد الرميحي

اقرأ في العدد القادم من العربي

إبريل

الفلبين على مفترق الطرق

استطلاع: سليمان مظهر

ضرورة معجم عربي عصري	الطريق إلى حماية إنتاجنا الغذائي	عربسات في عيده الأول
د. اسماعيل صبري عبدالله	د. عز الدين فراج	طاهر شكر القيسي

- سباق التسلح النووي وموقف العلماء والمثقفين / د. عبدالمالك التميمي
- الاستراتيجية الإسرائيلية في ظل سياسة الترابط / أمين هويدي
- الأيام الأخيرة للسلطان عبدالحميد.. بقلم ابنته / د. محمد عيسى صالحية
- قراءة في أعمال فاروق شوشة / محمد ابراهيم أبوسنة
- كيف غنى الشعراء في المربد؟ استطلاع بالألوان / سليمان الشيخ
- وجهاً لوجه: د. علي الراعي مع د. أمين العيوطي
- البيت العربي: ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

واقرأ أيضاً للكتاب:

د. محمد الرميحي - د. عبده بدوي - د. محمد علي الفرا - د. سعد البكري
د. محمد عبدالله المشاري - فاروق خورشيد - د. ابراهيم أبوربيع - د. عبدالعزيز المقالح

إدارة الأزمات الإقليمية

بقلم أمين هويدى

درجت على ألسنتنا كلمة « الأزمة » مع غيرها من كلمات سادت مجتمعاتنا العربية ، بل تسود العالم الحديث ، فما هي « الازمة » وماهي طبيعتها ، وكيف يمكن ادارتها والتعامل معها اذا ما ثار غبارها ؟ خصوصا في واقع متشابك القضايا مثل واقعنا ؟

كانت الامكار تساب ى عمق وهدوء اثناء سدوة رائعة تشرفت مادارتها ى مقر « اتحاد المحامين العرب » ى القاهرة عن « ارمة الشرق الاوسط » وهى احدى النقط الساخنة بل الملتهبة « ى قوس الازمات » الذى حدده « رىحيو بريجسكي » بالقوس الذي يمتد من افغانستان شمالا الى القرن الامريقي حتوبا مارا بمنطقتنا العربية دات الاهمية الحيوية ى « الاستراتيجية العالمية »

وكان من الضرورى أن يتناول الحوار مواضيع مختلفة مثل القوة ، الاستقرار ، وتوازن القوى ، حل الأزمة ، ادارة الازمة وهذا شىء طبيعى عند معالجة مثل هذه الموضوعات وعلى هذا المستوى ومجأة وى كلمة أحد الحاضرين رجا الجميع أن يكفوا عن الحديث عن « توازن القوى » اذ انه لايعترف به بل - وعلى حد قوله - يسبب له ارتكاريا »

وبصراحة صدمني الحديث وحيرني أشد الحيرة ، فالحديث من استاذ جليل يعالج المواضيع السياسية ى الكتب والصحف والمجلات، بل يقوم بالقاء المحاضرات المتعددة ى « ادبيات السياسة » وهذه كلها موضوعات لا يتم الاقتراب الصحيح منها الا من خلال التفهم العميق « لاستخدام القوة في السياسة » خصوصا وان الاتفاقيات حتى اذا تم التوقيع عليها - انما تعبر عن « قوة الموقعين عليها وصياغة الاتفاقيات ى ابوابها وفصولها وبنودها انما هى ترجمة أمينة « لقوة الأطراف » على الطبيعة أو ى مسرح العمليات

وهذا الحوار جرى على معالجة موضوع الأزمات الاقليمية ، خصوصا وأن « أزمتنا المستعصية » تمر



بأخطر مراحلها ، وأدق ظروفها .

الأزمة سواء كانت عالمية أو اقليمية تعني مجموعة من التفاعلات المتعاقبة بين حكومتين أو اكثر لدول ذات سيادة ، تعيش فى حالة صراع شديد ، ولكن بدرجة أقل من الحرب والمواجهة المسلحة ، مع الادراك بوجود احتمال عال لنشوبها ووقوعها . . . وتعني ايضا ادراك صاحب القرار بوجود موقف يهدد المصالح العليا للوطن ويتطلب وقتا قصيرا للتعامل مع هذا الموقف باتخاذ قرارات جوهرية .

الخصائص

وبشكل عام فانه يمكن تحديد خصائص الأزمة بأنها :

* نقطة تحول فى أحداث متعاقبة اصبحت تهدد أهدافا عليا للدولة .
* تتزايد فيها الحاجة الى الفعل المؤثر لمواجهة الظروف المتحددة .
* قرارات مواجهتها مصيرية اذ تشكل نتائجها تغييرا فى مستقبل الأطراف
* تتميز بدرجة عالية من الشك في الخيارات المطروحة
* يقتضي فيها التحكم فى الأحداث وخصوصا وان « مديري » الازمة » يعملون فى ظل نقص المعلومات أو عدم وضوحها وتحت ضغط نفسي تحسبا للتصرفات المفاجئة للاطراف الاخرى المشتركة أو المتدخلة .
* تسبب حالة عالمية من التوتر خلال فترة قصيرة وتكون محل جذب لقوى اخرى بدرجات متفاوتة حسب درجة تأثر مصالحها بتطورات الأزمة .

واذن وكما نرى فان « الازمة » هى درجة من درجات « الصراع » الدائر بين الدول الصديقة والمعادية . وعلينا أن نتذكر أنه حدث تطور خطير فى مفهوم الصراع ، إذ كان الشائع أنه تصادم ارادات وقوى خصمين أو اكثر يكون هدف الأطراف المشتركة فيه « تحطيم بعضهم » كليا أو جزئيا ، حتى تتحكم اراداتها فى الخصم ومن ثم يمكنه ان ينهى الصراع بما يحقق أهدافه . الا ان « تحطيم » الارادات فى ظل الظروف المعقدة للصراعات وتداخل الصراعات الاقليمية مع الصراعات العالمية بحيث اصبحت فى الجانب الكبير منها صراعات بالوكالة أصبح أمرا مستحيلا ، وبذلك فان الصراع لايمكن أن يحقق « الاغراض الكاملة للاطراف بل ينتهى فى واقع الحال الى نقطة بين « الهزيمة » والانتصار ، أو مزيج من الانتصارات والهزائم ، وبذلك أصبح الغرض من الصراع هو تليين الارادات « لاتحطيمها » حتى يتم تحقيق الاغراض الناقصة

وعلينا أن نتذكر هذه التطورات في المفاهيم ونحن نواجه ازماتنا الخطيرة ، وقد أعجبني قول « ريتشارد نكسون » وهو يلخص رأيه في تعريف الازمة « إن مفهومي الأفضل للازمة توضحه الطريقة التي يكتب بها الصينيون الكلمة باللغة الصينية اذ يرمزون لها بشكلين أحدهما يعبر عن الخطر ، والآخر يعبر عن الفرصة »

وهو يعني بالخطر احتمال تصاعدها ـ أي الأزمة ـ الى مستوى المواجهة المباشرة باستخدام القوة ، ويعني « بالفرصة » سرعة اتخاذ القرار لتطويع اتجاهات الازمة بما يخدم اغراضنا فالتصرف الموضوعي الذي يتسم بالبراعة والحنكة اثناء تطور الازمة يوفر لنا القدرة على دفع الامور لايجاد حل لصالحنا ، بل كثيرا ماتفتعل الازمات لاعادة صياغة النظام العالمي أو النظام الاقليمي وبذلك يصبح قيام « الازمة » نتيجة للحاجة الملحة لتعديل النظام السائد « واسرائيل » تقوم دائما بافتعال الازمات لتعديلات تريد ادخالها على الامر الواقع وبذلك يمكننا أن نقول إن خريطة الشرق الأوسط تتغير تدريجيا ، ووسيلة هذا التغيير افتعال الأزمات وتفجيرها على فترات متعاقبة ، يتم في الفترات الفاصلة بين كل ازمة وما يليها من أزمات عملية التغيير

تفاعل التناقضات

اذن فالأزمة عبارة عن تفاعل التناقضات الموجودة وتراكمها ووصولها الى درجة الحرارة الساخنة ، ومهما اتخذت الأزمة من اساليب تعبر بها عن نفسها فان القوة كما جاء في كتاب سيوم براون « أزمات القوة » هي العامل الفعال لطريقة اداراتها ، بل في الصورة التي تنتهي بها ، فالعلاقات الدولية سواء كانت ايجابية أو سلبية تنظر الى « القوة » باعتبارها العامل الأسمى في السياسة القومية ، فهي أشبه بالمركز العصبي في جسم الانسان، يمكن عن طريقها دفع التهديدات ، وتحقيق الأغراض الحيوية،وحماية المكاسب الوطنية واطلاق الجهود الخلاقة لبناء الوطن تحت حماية درع القوة ومن الطبيعي فانه اذا كانت القوة تحقق هذا الذي شرحناه ـ فالقدرة ـ باعتبارها محصلة لمجموع قوى الدولة في المجالات المختلفة « حرِّية » بالتعامل الايجابي في غابة السياسة الدولية ، لمقاومة اي محاولات للسيطرة والتهديد ـ بمعنى أن تكون قويا لايقل ابدا عن الحياة نفسها ، فالحياة لامعنى لها دون قوة ، اذ بدونها تصبح الدولة نهبا للطامعين من السهل عليهم قضمها وابتلاعها وهضمها

واذا ماوصلت الأزمة الى درجة الحرارة العالية فإن الذي يحول بينها وبين أن تصل الى درجة الغليان ـ أي الى المواجهة الفعلية ـ هو « توازن القوى » ويكون هناك « توازن » اذا وصلت قوة الأطراف المشتركة في الأزمة حدا يتعذر عليها جميعا في ظلها اللجوء الى استخدام القوة لفض المنازعات ، أو ان يقتصر استخدامها في اضيق نطاق) اذ يتحقق في ظل هذا التوازن مايسمى بالردع المتبادل ويتم هذا « الردع » عن طريق حسابات معقدة يقتنع خلالها الطرفان أن الخسائر المحققة تفوق المكاسب المرجوة نتيجة لاطلاق القوة من عقالها

توازن القوى

ولكن كيف يمكن « لتوازن القوى » هذا أن يحد من درجة حرارة الأزمة دون تشغيله اثناء الصراع أو اثناء تفاعل الازمة ؟ إن تفسير ذلك يكمن في خواص القوة التي تعبر عن نفسها إما في الحالة الاستاتيكية أو الثابتة أو في الحالة الديناميكية أو المتحركة والشيء الغريب أن مفعولها في الحالتين يكاد يكون واحدا في نظر اصحاب المعرفة بشئون الصراع ، لان الجهل بمثل هذه الامور يقود دائما الى حسابات خاطئة تؤدي الى أسوأ العواقب

فالحسابات الدقيقة للقوة وهي ثابتة أو وهي في المخازن أو حتى وهي على خطوط الانتاج في المصانع قد يكون مانعا أو حافزا لاطلاقها هذه الحسابات تشكل اطارا تدار داخله الازمة على نفس طريقة اعمال « العملة النقدية » في السوق التجارية « حيث يعرف « التاجر الشاطر » قيمة مالديه من مال وقيمة مالدى الطرف الآخر من بضاعة ويجري التعامل في السوق ، فقد تحصل على اكثر أو اقل مما دفعت ، وقد تحصل على سلعة مغشوشة ، وقد يأخذ منك الطرف الآخر كل مالديك من نقود ولايعطيك شيئا !!!



والحسابات الدقيقة تجرى لقياس عدة عوامل :
- القوة المتاحة .
- الارادة والتصميم على استخدامها .
- تصديق الاطراف لهذين العاملين .

ويخطىء من يظن ان الردع هو عبارة عن حاصل جمع هذه العوامل ، اذ انه فى واقع الحال نتيجة أكيدة لها .

وهناك فارق كبير بين الامرين . فاذا كانت محصلة هذه العوامل صفرا فان الردع يفشل فى احداث اثره المطلوب . فعامل القوة مهما كانت قيمته يفقد هذه القيمة اذا كان الاصرار على استخدامها محل شك . كذلك إن توفرت القوة ووجدت النية على استخدامها دون أن يصدق العدو ، فشل الردع

وفشل الردع معناه بدء القتال وتنقلب الجهود المبذولة لادارة الازمة الى جهود تبذل لادارة الحرب التى هى عبارة عن مأساة كبرى تعنى فشل الساسة فى ادارة الازمة واحالتها الى القادة العسكريين لحسم الموقف . وليس معنى بدء القتال انهاء الحوار ، كما لاتعنى بداية الحوار إنهاء احتمال القتال اذ ان الاستقرار المطلوب - على حسب تفسير الاطراف له يتطلب من مزيجا من الدبلوماسية والقوة . واستخدام القوة دون دبلوماسية أى كوسيلة وحيدة لممارسة السياسة هو نوع من أنواع التهور ، يؤدي الى فشل ذريع فى تحويل الانتصارات أو الهزائم الى واقع سياسى . كما ان استخدام الدبلوماسية دون ارتباط وثيق بالقوة عمل عقيم يدخل فى نطاق « الرومانسية » وهى مجال لايصلح للصراع الذى لايعرف الا الواقعية .

لهجات الحوار

اذن فالحوار هو الوسيلة الوحيدة لادارة الازمة والحوار ليس حديثا كله على موائد المفاوضات المستطيلة أو المستديرة أو البيضاوية ، لكن قد يجرى الحوار فى نفس الوقت فى ميدان القتال أو تحت التهديد بانطلاق القوات العسكرية من معاقلها . فالكلمة المكتوبة أو المنطوقة سواء بطريق مباشر أو عن طريق طرف ثالث ، لهجة من لهجات الحوار ، والطلقة سواء من الطرف المباشر فى الازمة أو الطرف غير المباشر الذى يلعب خارج الملعب لهجة من لهجات الحوار ، وهذا ما اسميناه دائما فى ابحاثنا « كلام كلام - قتال قتال » .

« واذا كان الغرض من اى صراع هو الوصول الى اتفاق فان المفاوضات تكون نهاية المطاف . فلم يعرف التاريخ قتالا استمر الى مالا نهاية ، كما لم يعرف التاريخ ان ازمة تتعلق بالمصير والمستقبل تم حلها بالتفاوض الى ما لانهاية . ولكن اختيار الوقت لاستخدام القوة المسلحة يحتاج الى مهارة ، اذ ان اللعب بالسلاح أمر خطير للغاية لايقر به العقلاء الا فى حالة الضرورة القصوى ، أو فى حالة الثقة الكاملة بالانتصار . كما ان اختيار الوقت للتفاوض يحتاج الى الوصول الى حالة معقولة من توازن القوى اذ ان التفاوض الذى لاتسنده القوة هو حوار من جانب واحد هو الجانب الاقوى .

وعلينا ان نتذكر - ونحن ندير الحوار - أن الحرب والسلام عمليتان غير منفصلتين ، بل هما عمليتان متعاقبتان . اذ ان الغرض من ادارة الأزمة - اى ازمة - هو الوصول الى حالة أفضل من الاستقرار - فعلينا ونحن نقاتل الا تغيب رؤ يتنا لشكل السلام الذى نريده ، وان نحن لم نفعل هذا انفصلت الاستراتيجية عن السياسة . اى يكون « الجزء » - وهو الاستراتيجية - قد لعب دورا خارج اطار « الكل » - اى السياسة - وهذا خطأ وقعنا فيه دائما فى الماضى وأرجو أن نتفاداه الان .

والازمة تحدث لاسباب معينة ، ولايمكن أن تزول الا بزوال هذه الأسباب ، وعلى ذلك ففك الاشتباك بين أطراف الازمة ليس حلا لها بل هو تأجيل لاضطرامها فى أول فرصة يعاد فيها ترتيب الاوراق .

ويقصد « بالاشتباك أو فكه » دوام الحوار سواء بالكلمة أو بالطلقة ، فالمواقف السلبية وتجاهل الازمة القائمة من طرف لايعني أن الطرف الآخر لن يستمر في اجراءاته الايجابية أو انه سينصرف عن اهتمامه بالأزمة فكما سبق في حديثنا فان الموضوع كله يتعلق بالارادات المتصارعة ، من يتأوه أولا يخسر الشوط

الجانب الآخر من التل !

ان النظر وبصفة مستمرة الى « الجانب الآخر من التل » شرط أساسي لادارة الأزمة فالمدير « أي صاحب القرار لاينظر فقط الى « الجانب القريب من التل » أي الى مايحدث عنده ، ولكن عليه أن ينظر دائما وبعناية الى الجانب البعيد ، ويستمع الى كل مايصل من هناك ان مايحدث هناك سواء كان كلاما مباشرا أو غير مباشر ، وسواء كان مقالا صغيرا أو واسعا إنما هو في حد ذاته رسائل مرسله لايجوز تجاهلها ، بل من المحتم الرد عليها علما بأن تجاهل الرد هو في حد ذاته ردّ وعلى سبيل المثال فان ضرب المنظمه في تونس في اكتوبر (تشرين أول) من العام الماضي كان رسالة واضحة من اسرائيل موجهة الى كل الدول العربية تقول اننا لن نقبل بدولة فلسطينيه ، « وانا مصرون على ذلك وقادرون عليه وذراعنا طويلة ، ومايقال عن تنازلات من جانبنا محض افتراء وكان صمت الأطراف العربية المعنيه وعدم قيامها برد الفعل المناسب ردا واضحا يقول « وصلت الرسالة وقرأناها وفهمناها وما باليد حيلة » ثم كثر الكلام بعد ذلك عن السلام والتفاوض !

وكما رأينا فان ادارة الازمة ليست مجرد مباراة بالنصوص بين رجال اذكياء يملكون ناصية الفصاحة والتلاعب بالألفاظ ، ولكنها إدارة تعبر عن قوى حقيقية تضاربت مصالحها ، الأمر الذي يقتضي المرونة وسرعة التجاوب بين الأحداث على أساس أن نتيجة الأزمة لايمكن أن ترضي كل الأطراف بل من المحتم أن تنتهي بما يسمى « بالرضاء الناقص » ولكن كثيرا ما يصل المتفاوضون الى طريق مسدود ، وهنا تتحرك القوات في مسارح العمليات من جديد لاحداث مزيد من تليين الارادات وان حدث هذا فإن مرحلة جديدة قد تبدأ لتنهي الأزمة أو تبقيها ولو الى حين

وكم هي عملية صعبة أن يصبح السياسي مديرا لأزمة ساخنة ؟! فالسياسي وهو مدير الأزمات المصيرية يشبه ـ كما قال هنري كيسنجر ـ في كتابه « عالم أعيد بناؤه » أبطال الدراما الذين يحترقون بمصيرتهم نحو المستقبل ، وان كانوا عاجزين على تحديد معالمه والشعوب تتعلم بالتجربة ، ولذلك فالسياسي العظيم هو الذي يسبق شعبه ويتحرك وكأن بصيرته هي التجارب التي حدثت وكأن احلامه هي حقائق الحياة ، فلذلك فمصير السياسيين كمصير الانبياء ، ولا نبي في قومه □

تعاريف مختلفة لمادة التاريخ

هناك تعاريف عديدة للتاريخ ، فالأقدمون عرفوه بأنه ، « معرفة البلاد والعادات والآثار الماضية والحاضر » ، أما المؤرخون العرب ومنهم السخاوي فقد عرفه بأنه « فن يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت »

ويعرفه المؤرخون الغربيون في العصور الوسطى بأنه « دراسة تعاقب أحداث الماضي الكبرى » أما مؤرخو العصر الحديث فقد جعلوا التاريخ أشبه بالمعادلة الكيماوية موادها المتفاعلة الانسان + الزمان + المكان وناتجها التاريخ أما التعريف الحديث للتاريخ فانه « دراسة الماضي الحي » أي دراسة أعمال الانسان وأقواله المهمة وتدوينها وهي التي تركت أثرا في الوقت الذي حدثت فيه ، وامتد أثرها الى الأجيال المتعاقبة

أقوال

☐ انني أتعامل مع التراث لا لكي أفرض عليه معاصرتي ، بل كي أراه كما هو في ضوء فكري المعاصر .

د . حسين مروة

كاتب عربي من لبنان

☐ أتمنى أن يتناسق عمري الكتابي مع عمري الجسدي .

نجيب محفوظ

كاتب عربي من مصر

☐ أتمنى أن ينتهي عمري مع انتهاء طاقتي على الخلق والابتكار

د يوسف ادريس

كاتب عربي من مصر

☐ الثقافة ليست ممارسة سياسية أو اقتصادية يمكن لشعب ما أن يمارسها اذا توفرت له حرية الممارسة والامكانات المادية والبشرية ، ولكنها عملية تمثل فكري وثقافي لكل القيم التراثية والحضارية والمستقبلية

عبد الكريم علاب

كاتب عربي من المغرب



نجيب محفوظ



د . يوسف ادريس

تنويه



لم يظهر اسم الأستاذ الشاعر أحمد العدواني ضمن قائمة الأسماء التي فازت بجائزة الكويت ، التي تقدمها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي للمبدعين والعلماء والباحثين ، ضمن استطلاع « مهرجان العلم في الكويت » الذي نشر في العدد ٣٢٧ شباط ـ فبراير ١٩٨٦ من « العربي » .

علما بأن الاستاذ الشاعر العدواني كان أحد الفائزين بجائزة الشعر سنة ١٩٨٠ م .

وقد أمضى الأستاذ العدواني سنوات طويلة من عمره المديد في خدمة الثقافة العربية ، في كل المواقع المهمة التي شغلها ـ وما زال يشغلها ـ سواء في مجاله الابداعي الشعري ، أو على صعيد المواقع المهمة التي شغلها في وزارتي التربية والاعلام ، أو المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ، الذي يشغل أمانته العامة منذ انشائه سنة ١٩٧٣ م حتى الآن .

دوافع ومعوقات الحوار العربي الأوروبي

بقلم : الدكتور يوسف صايغ*

نحن فى عصر تغير فيه وصف العالم ، من قارات ومحيطات الى قرية كبيرة ، يستطيع فيها أى انسان أن يصل الى أية بقعة فى العالم خلال ساعات قليلة

لذلك فان « الحوار » فى هذا النوع الجديد من « العالم » أصبح ذا أهمية قصوى للتفاهم على الكثير من القضايا

وهذا ما يطرحه الكاتب على صفحات العربي . . ولكن مع من يكون الحوار ؟ وما هى دوافعه ؟ وما الذي يؤمّل منه ؟

لماذا الحوار ؟

من المناسب جدا أن نلقى السؤال من البداية لماذا يجب على الأوروبيين والعرب أن يفتحوا حوارا فيما بينهما ؟ وأجرؤ على افتراض صدور الاجابة بالشكل التالى : انه منذ قرون نشأت بين العرب والأوروبيين علاقة خاصة جعلت من الممكن بل والضروري فى أيامنا هذه اقامة حوار ، يخدم تلك الروابط والمصالح ، التى جعلت من تلك العلاقة شيئا خاصا ، ثم التشخيص والمواجهة للقضايا التى تحيط بهذه العلاقة . وهذا الافتراض يرتكز على أساس من هذه العلاقة التاريخية أولا ، واحتمالات المستقبل التى سيكون امامها وتهيئتها من قبيل قصر النظر

لا أعتقد أنى بحاجة الى اللجوء الى اثباتات تاريخية لتوكيد حقيقة أن الطرفين كونا خلال تاريخهما علاقات تاريخية واقتصادية وثيقة . ذلك أن البلدان الأوروبية ارتبطت بعلاقات وثيقة مع بلدان غير عربية فى آسيا وافريقيا وخاصة القارة الهندية ، لكن خصوصية العلاقة العربية الأوروبية فى هذا المجال أنها ربطت بين العديد من البلدان الأوروبية العربية والبلدان

* استاذ وكاتب وباحث اقتصادى ، عمل مستشارا في عدد من المؤسسات العربية والعالمية . له العديد من المؤلفات في هذا المجال . عضو لجنة تنفيذية سابق في منظمة التحرير الفلسطينية . رئيس سابق للصندوق القومي الفلسطيني

العربية ، خاصة القريبة منها على البحر الأبيض المتوسط ، الذي كان لموقعه فعل العامل المساعد في نمو هذه العلاقة

حقا ، ان الروابط والعلاقات لم تكن طيبة ومتوازنة على الدوام ، لكن علينا فقط أن نذكر أنفسنا أن جميع البلدان العربيه الحالية ، باستثناء السعودية واليمن ، قد خضعت للاستعمار الأوروبي العربي في فترة أو أخرى وهي فترات لم يكن للعرب خيار فيها ، بل كانت بالنسبة لهم علاقة قسرية ، استخدمت فيها القوى الاستعمارية التعسف والعنف فان تركنا قليلا الجانب السياسي العسكري الى الجوانب الاقتصادية والثقافيه فاننا سنجد أن العلاقة تتضمن الاستغلال الاقتصادي والاغتراب الثقافي بدرجات متفاوته من الشدة والقسوه

ومع ذلك ، فقد حملت تلك العلاقه معها تغييرات وتطورات مهمة ، رغم ان التحول الراسمالي بتأثير من الاستعمار قد صمم بشكل اساسي ، بحيث يخدم مصالح القوى الاستعما به ، لم يكن رداد العائدة من هذه العمليه على المستويات الثقافيه والسياسية أكثر من فائدة هامشيه معثرة وكان من الأجدى لو لم تأت دون الافكار وتحول المؤسسات ضمن العمليه الاستعماريه ، ومع كل ذلك فان العلاقة التاريخيه تترك اليوم امالا كبيرة في الجانب العربي

قضايا الحوار

ان الحاجه الى حوار في المرحلة الراهنه قد اتضحت خلال السبعينيات وهذا يعني وجود قضايا تحتاج حوار البناء ، ويجب ان نذكر أن التغيير الهائل الكبير خلال تلك الفترة في وضع أسواق النفط ، قد بلور فكرة الحوار حين وقف العرب والأوروبيون على طرفي علاقة عمل كبيرة بدأت في خريف عام ١٩٧٣ ، بعمليات بيع كبيرة للنفط العربي لأوروبا ، بالمقابل ، فقد صبت الأموال الضخمة مع البضائع ، خدمات في الاتجاه المقابل

وكان للنفط دور الدافع من اجل حوار عربي وروبي ، وحددت حقائق السبعينيات معها عددا من القضايا التي كانت بحاجة الى بحث في تلك الفترة ولكن ذلك لم يكن سوى مدخل لترشيد الحوار فمن الناحية المفهومية والتحليلية يجب توافر ثلاثة شروط من أجل حوار مثمر

الأول أن المجموعة الكبيرة من القضايا الحقيقيه المرتبطة بالنفط التي تقع ضمن العلاقة الأوروبية العربية يجب وضعها على جدول الأعمال ، رغم ان من غير الضروري بحثها في الوقت نفسه ، أو أن تكون بنفس الدرجة من الالحاح

والثاني أن تكون قضايا الحوار المختارة مهمه بالنسبه للطرفين

والثالث أن تكون القضايا طويله الأمد وليست عرضية

ويجب أن نبحث الشروط الثلاثة معا وبهذا الافتراض سأنتقل الان من العموميات الى التحديد الدقيق للقضايا الرئيسية لبحثها

تندرج المجموعة الأولى ضمن المجال الاقتصادي وهنا فان النفط يجب أن يؤخذ ضمن مفهومه الواسع الذي يتضمن النفط والغاز والمشتقات المكررة والبتروكيماويات وسأحاول أن أطرح اهم الهموم العربيه الرئيسيه في كل قضيه نريد الوصول الى فهم مرض لها

لقد تغيرت ظروف القطاع النفطي بشكل جذري منذ بدء الثمانينات ومصدرو النفط غير قادرين الان على الحفاظ على أسعار تضعهامنظمه الأوبك) رغم أن الاسعار قد انخفضت من ٣٤ الى ٢٨ دولارا لبرميل النفط العربي الخفيف وبالتأكيد فان النفط الان تحت الضغط فيما يتعلق بالكمية المصدره ، والأسعار نقصت عام ١٩٨٤ عما كانت عليه عام ١٩٨٠ وقد كان هذا اثار خطيره على التنميه العربيه الوطنيه والقومية ، وعلى نفقات الدفاع والتجاره الخارجيه ودفع المعونات ضمن الاطار العالمي

وصلة هذه التطورات بحوار محتمل صلة وثيقه فعلا ويبدو في الظاهر أن الأوروبيين سيشعرون بالفتور نحو وضع النفط على جدول أعمال الحوار ، لانه لا يشكل ما كان يشكله في السبعينيات من أهمية فالنفط الخام متوفر بكثرة في أسواق كثيرة والأسعار خفضت ولا تزال تحت الضغط لمزيد من التخفيض ، وذلك في ضوء اقتصاديات النفط السائدة

والمنافسة الواضحة ، حتى بين أعضاء الأوبك تجاه المشترين. ويبدو ان هذا الحال سيستمر على الاقل عقدا قادما.

ومن جانب البلدان الاوروبية العربية فان هنا اسبابا اضافية للراحة فيما يتعلق بالطاقة ، فلديها الان موارد متزايدة من النفط ، عندا التحول من نفط الاوبك الى النفط من خارج اطار الاوبك ، ولدى هذه البلدان ما يمكنها من التغلب على حالات النقص عبر وكالة الطاقة الدولية ، اما الأوبك فهي حالة فوضى مفتوحة. لذا فلربما يتساءل الأوروبيون وما شأننا بحوار حول النفط.

النفط والتنوع

أعتقد أن هناك الكثير للاوروبيين في حوار مثل هذا. فعلى المستوى الأكثر وضوحا علينا أن نذكر أنفسنا بأن الاحتياطي النفطي العربي لا يزال كبيرا ، وله أهمية كبيرة في مجال الطاقة لعقود قادمة ، وأكثر من ذلك فالنفط مصدر طاقة ذو قدر كبير من التنوع في الخصائص المادية والنفعية ، مما لا يوجد في أي مصادر اخرى. ولكن الحوار ضروري بالأولى ، لأن السيادة الحالية لسوق المشتري أهملت من شأن البحث عن مصادر بديلة للقرن القادم. وقد يخلق هذا ان يسارع النقص بخلق أزمة في التموين ، أو حالة خوف ربما تؤدي الى ارتفاع الأسعار كما حدث في السبعينيات.

وحتى لو توافر النفط الخام للمستقبل المنظور ، يبقى هناك سؤال يتطلب نقاشا معمقا ، وهذا يتضمن مستوى أسعار النفط ، وقلق المصدر حول وجود ما يوازي من الطلب ، وقلق المستورد من وجود مخزون كاف ، وتزيد فوق ذلك قضية أخرى هي تسويق منتجات البتروكيماويات العربية في الأسواق الأوروبية. وبالنسبة للنقطة الأخيرة ، فان العرب يشعرون بأن لديهم حقا مشروعا في نسبة من هذ السوق دون ان يشكل ذلك تغلغلا خطيرا في سوق الصناعات البتروكيماوية الأوروبية.

هناك جزء اخر من عملية تصدير المنتجات لأوروبا ، وهو استخدام الجزء الأعظم من عائدات التصدير لشراء بضائع من اوروبا ، ومرة اخرى يبدو ذلك في الظاهر وكأنه أمر عادي لا يستدعي نقاشا مهما. وهنا فاني أركز على النواحي الاقتصادية المباشرة للاستيراد العربي من أوروبا ، **التي** تتضمن حجم المستوردات التي **تستدعي** وحدها نقاشا ، لضمان ألا تخضع تلك التجارة الى ترد وتأرجح كبيرين في حجم التجارة وقيمتها. مما يرافق ذلك من اثار على ميزان المدفوعات ، ولكن لأن هذين الحقلين تقليديان ، فاني أتطرق الى قضيتين متعلقتين بمسألة لم يمسه اليها الكثيرون ، وهي تسعير المستوردات وما اسميه « تكييف نمط الاستهلاك ».

ليس سرا ان الأسعار أو التمييز في أسعار السلع والخدمات المصدرة للبلدان المصدرة للنفط ، قد طبقته الشركات المصدرة الكبرى. وبالتأكيد فان مثل هذا الاستغلال التجاري يشكل ازدراء بالطرف الذي جرى التمييز ضده ، ويولد شعورا بالغبن لديه واستمرار ذلك لسنوات عديدة ، الى جانب حجم التجارة العربية الكبير من أوروبا ، يحتم النقاش من اجل وضع معايير سلوكية ، من شأنها التخفيف من هذه الاوضاع غير السوية ، ان لم يكن القضاء اصلا عليها. ولا يكفي الجانب الأوروبي القاء اللوم على المستوردين ، لعدم تخطيطهم في وضع شروط صفقاتهم التجارية ، فالحجم الهائل للتجارة بين مجموعتي البلدان (العربية والأوروبية) من الأهمية بحيث يجب عدم السماح بتدهورها الى مستوى المماحكة في المساومة ، كما هو الحال في « البازار ».

وعلى المدى الطويل ، فان القضية الثانية في مجال البحث مهمة بقدر ما هي خطيرة ، وما أقصده هنا هو ما اسميته « تكييف نمط الاستهلاك ». واعني بذلك القوة الهائلة لشركات الاعلان والاعلام الغربية ، التي تسخرها في خدمة الشركات العملاقة المنتجة لأنماط واسعة من السلع الاستهلاكية ، وهذه « القوة » تمارس بطريقة من شأنها خلق الرغبة في سلع السوق المحتمل ، ثم تحويل هذه الرغبة الى حاجة ملحة. وفي النهاية تدخل سوق المستورد سلع غير ضرورية فعلا. وهكذا فان نمط الاستهلاك يكون في الغالب غريبا عن المجتمعات المستوردة ، ويشكل هدرا لموارد مادية كبيرة الأهمية بالنسبة لها.

ولا تقف مشكلة كثير فهم بعض الشركات

لمصدره العملاقة ، التي تصنع ها فروعا في البلدان المستوردة لانتاج بعض السلع . وفي المثال فإننا نلمس نموها في نمو الانتاج في جانب « التحكم بنمو الاستهلاك »

تفسير أم تبرير

وربما يقال في معرض التفسير ان لم يكن التبرير ، ان النظرية الاقتصادية تعتبر ان المستهلك حر في ما يختار شراءه . لكن المرء يتساءل عن مدى مشروعية حديث حول هذه الحرية ، اذا تعدى الاعتبار قوة الاعلام بوسائله المختلفة ، فكم من احتياجات للمستهلك الضعيف [illegible] وهي بعض المنتجات المذكورة [illegible] ؟

ومع ذلك [illegible] لماذا [illegible] التحكم بنمو الاستهلاك مهم ، بحيث [illegible] ؟

وان [illegible] هذه [illegible] فلماذا لا [illegible] خصوصا في وسائلهم الاعلامية ومناهجهم [illegible] ؟

كل ما نستطيع **قوله هنا** ، هو [illegible] المستعمر ، من [illegible]

[illegible]

[illegible]

تلك الاستثمارات . وهذه قضية أخرى من الأهمية ، بحيث تستحق الادراج في جدول أعمال الحوار ، خاصة وأنه لا يزال هناك بعض العائدات النفطية العربية التي يمكن استثمارها رغم اختفاء أي فوائض نفطية جديدة في المستقبل القريب .

ولقضية نشر سؤالين . احدهما يتعلق بالمبدأ ، والثاني بالجانب العملي مبدئيا ، ومن حق العرب أن يتساءلوا عن مشروعية تدفق الاستثمارات الأوروبية بحجم [illegible] الى الوطن العربي في الماضي ، والاستمرار في ذلك ، بينما ليس من الصحيح للعرب ان يفعلوا الشيء نفسه في الاتجاه المعاكس ، رغم ان الاستثمارات العربية عبر متوسطة لمشاريع استعمارية ، كتلك التي جاء بها الأوروبيون قبل استقلال الدول العربية .

وعلى المستوى العملي ، فان الاستثمارات العربية [illegible] بها تقدر بالمليارات ، الا انها لا تمثل سوى جزء ضئيل من حجم اقتصادات البلدان الأوروبية المعنية ، فضلا عن انه بالامكان [illegible] هذا التدفق من [illegible]

[illegible] **في أوروبا ، يمكن أدراج الاستثمارات الاوروبية** [illegible]

المعونات والتقنية

[illegible]

بشروط ميسرة ، وبالنسبة للجانب الأوروبي فان البلدان العربية غير النفطية مدرجة هنا ، لأنها المرشحة لمثل هذه المعونة والجانب الأوروبي سيواجه باصرار عربي على زيادة المعونة للجانب العربي ، للوصول الى مستوى معقول من الناتج القومي الاجمالي المخصص للعالم الثالث وهنا يجد العرب أنفسهم في مركز قوة ، فقد ساعدوا في حصول الدول النامية على نسبة عالية من الناتج القومي الاجمالي العربي ، رغم أن العرب النفطيين هم أنفسهم ما زالوا ينتمون الى الدول النامية والفقيرة وفي الواقع فان مجموع الناتج القومي للبلدان العربية الاحدى والعشرين قارب عام ١٩٨٠ ـ وهو عام ذروة العوائد ـ الناتج القومي لايطاليا وحدها ، وهي من أفقر الدول الأوروبية ، في الوقت الذي يبلغ فيه عدد سكانها ٢٨ / من عدد سكان الدول العربية مجتمعة

وأخيرا فان النفط ثروة ناضبة ، وعوائد صادراتها غير متجددة ، مثل السلع الغذائية والآلات أو الخدمات التقنية ، هذا كله ـ الى جانب هشاشة عوائد النفط ـ يوجب طرح قضية المعونة الاقتصادية في الحوار ، بهدف تقسيم الأعباء والمسؤولية بعدالة أكبر

والمجموعة الثانية من القضايا التي تستحق الحوار هي ما أصبح يعرف بانتقال التقنية ، وأعتقد أن من الافضل بحث هذا الموضوع بمفرده بدلا من بحثه ضمن مجموعة القضايا الاقتصادية ، رغم علاقته الوثيقة بالانماء الاقتصادي وتتضمن هذه العلاقة الوثيقة الاعتماد الهائل للوطن العربي على المقدرات التقنية للبلدان الصناعية المتقدمة ، كما أن للتبعية التي تنجم عن الاعتماد مضامينها السياسية ، وكذلك الاقتصادية والاجتماعية

وفي اعتقادي أن تطبيق الاستراتيجية الضرورية لاستيعاب امكانات اكتساب القدرة التقنية هي مسؤولية عربية في المقام الأول لكن بامكان أوروبا تقديم الكثير في هذا المجال ، عن طريق الاسهام في الجهود العربية لتأسيس قاعدة علمية مناسبة للتطبيقات التقنية

ويجب أن يكون المبدأ المرشد في هذا المجال ربط المتدربين العرب في أوروبا بالنواحي المختلفة لنقل التقنية ، مثل التصميم والتخطيط والبناء والصيانة وغيرها وبالتحديد ، فان مثل هذا الربط سيزيل التقليد السائد باعتماد « عقود المشروعات المتكاملة » أي التي تنجز الشركات الأوروبية كل شيء فيها من بدايتها وحتى النهاية ، وهذا أحد التقاليد الضارة بالنسبة لنقل التقنية

وطموح البلدان المتلقية هو في رفع الكفاءة ، بحيث يمكن القيام بكثير من الوظائف التي تنجزها الان أوروبا ، مثل التصميم والتمويل والادارة الخ

وفي النهاية ـ فان المرحلة الأخيرة في عملية اكتساب القدرة التقنية ، هي الاستيعاب الداخلي الفردي المجتمعي للتقنية الملائمة ، مع الأخذ باعتبار للمعطيات العربية ، من موارد مادية ومالية وقوى عمل ومؤسسات

انتقال التقنية

لا يعني « انتقال التقنية » بأي حال تضحية الأوروبيين على المدى الطويل بأية مكتسبات اقتصادية ـ فيما عدا المدى القصير ـ فالعملية ستكون بطيئة بطبيعتها ، بل ربما بحاجة الى جيل بأكمله ، فضلا ، عن ان التعاون بين اوروبا والوطن العربي سيتمخض عن تبادل في السلع والخدمات واخيرا فعندما يصبح العرب قادرين على القيام باسهام مهم في حقل المعرفة التقنية ، فان الفائدة لن تقتصر عليهم وهذا ليس حلما ، فلدينا تراث عربي غني في حقو العلوم والفنون والفكر والثقافة

ويجب ان نوضح ونعترف ـ بأن الاوروبيين لم يكونوا مساعدين في حقل نقل التقنية بقدر الأمل والتوقعات لكننا في الوطن العربي نعترف ايضا بان العون يكون فاعلا ، بقدر ما نستطيع نحن بناء قاعدة وطنية وقومية للتقنية والعلوم الحديثة ، بما يعنيه ذلك من تطوير لمعارفنا ومهاراتنا وانشطتنا ومؤسساتنا المختلفة ، واستخدامنا السليم لهذه الموارد ، فاكتساب القدرة التقنية يجب ان يبدأ في الوطن ، لكن يجب الا يتوقف فيه

وبسبب الموقع المركزي والحرج لامتلاك القدرات التقنية في مجال الانماء فان من الضروري دفع امكانات

الابداع العربية ، من اجل تشجيع تحقيق انماء معتمد على النفس سليم وقوي ومتصل ، الى ان يكون الاعتماد الاساسي على الامكانيات والمعطيات الوطنية والقومية . لكن على العرب ادراك ان اللجوء الى الاعتماد على النفس وتخفيف الاعتماد على المصادر الخارجية لايعني الانغلاق ورفض الاعتماد المتبادل الصادق ، ولكن في اسوأ الاحوال ستكون تلك ممارسة لخداع النفس تؤدي عمليا الى اطالة امد الاعتماد على المجتمع الصناعي المتقدم ، بما يحمله ذلك من استغلال وانكشاف وعدم طمأنينة .

ويمكن وضع السؤال على النحو التالي : كيف يتفق كل هذا مع الاندفاع والسير نحو حوار ذي معنى ؟ ان الاجابة في الذهن العربي سهلة ، فالمكافأة للاعتماد على النفس بالنسبة للعرب ستكون بالنتيجة تعاونا حقيقيا متوازنا ، وفتح طرق عديدة للتبادل الاقتصادي والتقني والثقافي .

الحوار والسياسة

المجموعة الثالثة والاخيرة من القضايا المقترحة لجدول اعمال الحوار العربي الاوروبي سياسية ، فالمنطقة العربية ابقيت مشغولة بعدد من الصراعات التي تستدعي حلا سريعا ، كالقضية الفلسطينية التي هي قلب الصراع العربي الاسرائيلي ، والحرب الأهلية اللبنانية ، ونتائج غزو « اسرائيل » للبنان عام ١٩٨٢ ، بما في ذلك احتلال جزء من الجنوب اللبناني ، والحرب العراقية الايرانية ومشكلة الصحراء بين الجزائر والمغرب ، وغيرها من بؤر التوتر والخصومة في الوطن العربي . ورغم ان الصراع في كل مثال له ابعاده الدولية ويتضمن تدخلا خارجيا ، ولو بشكل هامشي او سري ، الا اننا نرى ان القضية السياسية التي تتطلب تعاونا عربيا اوروبيا واضحا وملحا هي القضية الفلسطينية . ذلك لان القضية الفلسطينية او الصراع العربي الاسرائيلي ، كما يود الاوروبيون تسميته موضوع معقد فهي تشمل **احكاما أخلاقية وتثير مشاعر وارتباطات ثقافية وتاريخية لا يمكن ضبطها بسهولة ضمن إطار التحليل السياسي . وكنتيجة ، فان تحليل القضية لايؤدي بالضرورة ولا يخضع لمعادلات الكلفة والمردود السياسية ورغم ذلك فان هذه القضية يجب أن تكون لها أولوية كبيرة فى أي حوار عربي أوروبي .**

ليست هناك سوى قيمة ضئيلة في اللجوء الى الجدل ، او تبني موقف المناظرة في هذا المجال . فأساس الحقائق التي افرزت وضعا مأساويا بالنسبة للقضية الفلسطينية يهدد بمزيد من العنف ، يكفي وحده لانذار الجميع بخطورة القضية وطبيعتها المتفجرة والمكلفة .

فان لم يحل الصراع حلا عادلا خلال فترة قصيرة نسبيا ، فسيكون جميع المسؤولين عن الفشل مذنبين ، باعداد حفرة هلاك لملايين البشر .

الحقائق الأساسية المتعلقة بهذا الموضوع ستة سأوجزها فيما يلي :

- الفلسطينيون شعب جُرِّد واقتلع من أرضه بقسوة ، وترك للتشرد والفاقة ، والحرمان من فرصة السيادة على تراب وطنه .
- الفلسطينيون يصرون على العودة الى فلسطين (على الاقل الى الضفة الغربية وغزة) حيث يمكنهم ممارسة حق تقرير المصير بحرية ، ويتخلصون من وضع التشرد واللجوء والحصول على الأمن الاقتصادى والكرامة الوطنية والهوية المجتمعية .
- اسرائيل تتحدى التاريخ القديم والحديث بادعائها ان الفلسطينيين لم يقتلعوا من أراضيهم ، وترفض الاعتراف بالمسؤولية الاخلاقية والقانونية والسياسية والاقتصادية عن الخراب الذى حل بالفلسطينيين .
- الدول الأوروبية الغربية (وخاصة بريطانيا والمانيا) والولايات المتحدة الأمريكية تتحمل مسؤولية ايجاد المشكلة الفلسطينية فى القرن العشرين وتعقيداتها المتزايدة ، مما سمح « لاسرائيل » أن تتجاهل الفلسطينيين وحقوقهم .
- بالنسبة للعرب فقد فشلوا فشلا ذريعا فى استخدام مواردهم الاقتصادية وعزيمتهم السياسيه فى فرض العدل والتصحيح . وحتى عندما بدأوا فى التوكيد على الطرق السياسية والدبلوماسية للحل ، فقد فشل العرب فى تقديم أنفسهم للمجتمع الدولى بصورة موحدة ومقنعة .
- موقف « اسرائيل » سلبي تجاه المطالب الشرعية للفلسطينيين ، اضافة الى موقف الولايات المتحدة

والدرجة القصوى التى تساعد بها « اسرائيل » فى سياستها التوسعية ، ومكافأتها على ذلك ، رغم امتلاكها التأثير فى مجرى الاحداث حيث تريد . وهكذا فان تسوية عادلة وسلمية تواجه مأزقا مستحيلا تقريبا .

ثلاثة توقعات

اذن ، فماذا ينتظر العرب من الأوروبيين ؟ هناك ثلاثة توقعات تتحكم فى تفكير العرب فى هذا الخصوص وتحليلهم . الأول : أن يكون الأوروبيون فهما أشمل وأعمق للقضية الفلسطينية ، بحيث لا يسمحون لانفسهم بالانجذاب بعيدا عن جذور القضية نحو قضايا جانبية . وقد قامت أوروبا بجهد فى هذا الاتجاه ، انعكس جزئيا فى عدد من التصريحات والاعلانات لدول بمفردها . وللاسرة الأوروبية كمجموعة . لكن يبقى الكثير مما يمكن عمله . ويمكن للحوار أن يكون صيغة **مفيدة** لتعميق فهم القضية .

والثانى : هو أن أوروبا الغربية يجب أن تكافح من أجل سياسة شرق أوسطية أكثر استقلالا عن امريكا مما هى عليه . فنحن نشعر أن اوروبا تستجيب للولايات المتحدة فيما يتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي ، الى درجة مبالغ فيها ، رغم الاستقلال الجزئى الذى لوحظ أخيرا .

نحن نعلم ان علاقات أوروبا بالولايات المتحدة **علاقات** استراتيجية ، خاصة عندما يتم تقييمها فى اطار المواجهة بين الشرق والغرب والاستراتيجية الدولية ومصالح الغرب . لذا فان من العبث الطلب من أوروبا نزع ارتباطها الأمريكية ، على أن ما نطلبه هو مزيد من الاستقلالية فى الفهم ، وتقييم مضامين المصالح والعلاقات الأوروبية مع الجيران العرب . فالحوار ليس جغرافيا وحسب ، بل هو سياسى واقتصادى كذلك ، ويقوم على علاقات طويلة الأمد .

أما الثالث فى حال تكوين فهم أساسى ومتوازن للقضيه الفلسطينية ، وفى حال تحقيق موقف أكثر استقلالا (أى أكثر أوروبية) فان توجه البلدان الأوروبية ينبغى أن يتخذ شكلا آخر ، وحتى الآن فاننا لم نحصل من أوروبا الا على النزر اليسير ، فى الوقت الذى تتعقد فيه القضية وسبل حلها ، **لقيام** اسرائيل باستمرار بما تسميه « خلق حقائق جديدة فى النواحى التاريخية والجغرافية **والديمغرافية** . وان نحن طلبنا عملا فى هذا المجال ، فاننا لا نطلب المستحيل ، مدركين حدود القدرة الأوروبية على التحرك والتأثير .

معوقات الحوار

اعتقد أن العوائق الأساسية تنشأ عن عدم تماثل الوضعين العربي والاوروبي فيما يتعلق بفكرة الحوار . وأول مظهر لعدم التماثل هو بين تقييم الطرفين لمدى الحاح الحوار وقيمته وعمقه **وشموليته** . فرغم أن الأوروبيين أظهروا اهتماما عميقا بالحوار فى السبعينيات ، الا أن هذا الاهتمام انتهى بتحويل الموقف النفطى العربي ، وظهور أزمة الصناعة النفطية ، ويمكن أن نطلق على المعوق الرئيسي الثانى عدم تماثل اليه الحوار ، وهذا يتضمن أمرين : التنظيم الفعلى لحوار الطرفين والقوة التفاوضية الحقيقية لهما . وأنا اعتبر تفتت الوطن العربي **عائقا** أمام مطالبة العرب بالحوار ، كما أن الطرف العربي لم يتابع القضية بحماس ، وبالمقابل فقد بدأ الطرف الأوروبي من نقطة مدروسة جيدا ، وبأهداف استراتيجية وتحركات واضحة . هذه على الأقل هى أجزاء الصورة التى جمعتها من مراجعة اجتماعات الحوار .

أما الوجه الاخر لعدم التماثل الثانى الذى نحن بصدده ، فهو اختلاف القوة التفاوضية بالنسبة للطرفين ، وهذا يعود جزئيا الى تدهور الأوضاع النفطية العربية . الا أنه أيضا انعكاس للوضع الأوروبي الأكثر قوة ، بسبب مستوى تطور أوروبا الاقتصادى ، وكذلك هناك قدرة الأوروبيين على بيع الاسلحة المتطورة . وبفضل هذه المزايا معا ، فان ضعف الجانب الأوروبي فى حقل النفط لم يكن سوى أمر عابر . لذا لم يتخذ الأوروبيون بصدده سوى اجراءات مؤقتة .

اذن يجوز الاعتقاد أن الأوروبيين شجعوا الحوار العربي الأوربي في السبعينيات كترضية للعرب ، وقد دخل الأوروبيون في حوار في السبعينيات لدغدغة مشاعر العرب وتخديرها ، والحصول على أكبر مبلغ ممكن من أموالهم ، مقابل مجموعة كبيرة من السلع والخدمات المصدرة . لذا فانني اتساءل عما اذا كان هنالك مجال بالفعل لحوار جدي في النصف الثاني من الثمانينيات ، ما لم تكن هناك نظرة أوروبية طويلة المدى تتجاوز العقد القادم . وعلى أي حال ، فبالرغم من تدهور عوائد النفط ، الا أن فوائد التجارة تبقى واعدة رغم أي تقلص ظاهر .

وسط تفاعل النقطتين السابقتين ، ينشأ جانب ثالث لعدم التماثل ، يمكن أن نسميه مفهوم اختلاف دوافع الحوار لدى الطرفين . وفي هذا الصدد فلدى العرب ميل مزاجي وثقافي للدخول في الحوار من زاوية عريضة جدا ، أما الاوروبيون فانهم يفضلون مدخلا عمليا مصلحيا متدرجا ، ذا أغراض محددة وجزئية الى نتائج متواضعة . وربما يبالغ المدافعون عن كل من الاسلوبين بصدد فعاليته ، لكننا لن ندخل في مفاضلة بينهما .

الحوار والساخرون

الا انني اعتقد أن من الضروري القول ، بأن المدخل الواقعي ـ أي الأوروبي ـ ينظر اليه كثير من العرب بشكلية وعدم ثقة ، لأنه يخفي النوايا الاوروبية الحقيقية في التخفيف من الاضطرار لتقديم تنازلات حقيقية . وخلف هذا الفرق في الاسلوب يكمن فرق التقييم ، « فالواقعيون » يفضلون الأمد القصير ، بينما يعتقد « الشموليون » أن ما يبدو غير واقعي على المدى القصير ربما تثبت واقعيته على المدى الطويل .

وفضلا عن ذلك فان الساخرين العرب يعتقدون أن المدخل الواقعي المتدرج الأوروبي الطابع ، انما يخفي ترددا في تقديم تنازلات لبلدان كانت حتى وقت قريب مستعمرات لديها . وأخيرا فاننا كعرب نفضل أن نبدأ باعتبارات السياسية ، حتى وعندما نبحث المسائل الاقتصادية ، ومرة اخرى ربما كان الخلاف الحقيقي هو في اسلوب الموافقة على تحديد الاولويات وتدرج أهميتها . يبقى أن الاستنتاج النهائي هو التشكيك باحتمالات قيام حوار شامل وصادق وفعال في المستقبل المنظور . □

ثقافة كاتب الديوان

كانت وظيفة الكتابة في ديوان الانشاء قديما عند العرب من أهم الوظائف ، فكان هذا الديوان يتولى كل ما يصدر عن الحاكم ، من عهود وعقود ومكاتبات ، الى الولاة والوزراء وأصحاب المناصب المختلفة في الدولة ، والى أصحاب العلاقات السياسية والأخوية من الدول الأخرى ملوكا وسلاطين .

وكان لابد لمن يتولى العمل في ديوان الانشاء ، أن يكون عالما باللغة والقرآن والحديث والأدب ، محيطا بالمعلومات العامة ، عارفا بالروايات المختلفة والألقاب ، وما يستحق أن يُهدى ، خبيرا بقيمة كل نوع من حيوانات الزينة والركوب ، والطيور الجميلة ، والأحجار الكريمة ، وأنساب العرب وعاداتهم ، وأوابدهم وأيامهم ، وتاريخ الدول المجاورة ، ومواقع كل دولة ، والطرق الموصلة اليها ، ومن أين تجلب الأشياء ذات القيمة العالية ، قادرا على الكتابة في كل لون من ألوان المخاطبات ، مع معرفة ما يناسب ابتداء كل مخاطبة ومكاتبة ، مما يجعل الانسان منا يعجب كيف أرهقوا أنفسهم ، فأحاطوا بكل هذا ورتبوه .

الشئون الدنيوية في أحاديث الرسول

بقلم : الدكتور عبدالمنعم النمر

في غمرة الشبهات والخلافات التي أحاطت ببعض شئون ديننا الدقيقة ، يبرز تساؤل ملح من عديد من المسلمين حول ما تحدث به الرسول (ص) أو ما أبدى فيه رأيه من أمور دنيانا المعاشية البعيدة عن مقومات ديننا الملتزمة بالكتاب والسنة وروافدهما .

فهل كل ذلك في نطاق الايحاء السماوي الملتزم ، أو أن هناك أقوالا صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم على أنه بشر مثلنا ، ولا علاقة لها بوحي أو الزام ؟

حينما نتصفح أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في شئون الطب مثلا ، وهل كانت عن وحي ، أو كانت عن تجارب البيئة ومعرفتها مما يعتبر من شئون الدنيا ، التي لم يرسل الرسول (ص) لتعليمها للناس مثلها مثل الشئون الزراعية والحربية والصناعية والمهنية والعلمية الرياضية وغيرها ؟ مما يدخل تحت قوله عليه الصلاة والسلام « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ؟ .

وما ينطق عن الهوى

ان أول ما يتبادر الى ذهن المستمع ولسانه أن يقول متسرعا : كان ذلك كله عن وحي ، لأن الله يقول « وما ينطق عن الهوى » ومعنى هذا ان كل كلام ينطق به الرسول انما هو عن وحي يوحى اليه كما يقول الله بعد ذلك « ان هو الا وحي يوحى » . .

وهذا فهم خطأ للآية مع أنه شائع لدى العلماء والمتعلمين ، ولذلك كان لابد لنا من وقفة مع هذه الآية ودلالتها الصحيحة مع ما حولها من الآيات . لتظهر الحقيقة ، وتتحدد معالمها .

لقد جاءت هذه الآية « وما ينطق عن الهوى » ضمن آيات من أول سورة النجم تقول : « والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الاعلى » . . الآيات ، « وشديد القوى ، وذو مرة فاستوى »

الخ ، المراد به جبريل الذي ينزل بالوحي . .

وهذه الآية : « وما ينطق عن الهوى » لو جردناها عما قبلها وما بعدها ، ولم نراع ما سبقت لأجله ، تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا ينطق في أي كلام يقوله عن هوى وغرض شخصي . وانما كل كلامه للمصلحة سواء كان كلامه بالقرآن ، أو بالأحاديث القدسية أو في أي أمر آخر من أمور الحياة ، فهو صلى الله عليه وسلم مبرأ من الهوى الذي يميل به عن الحق ، حتى في مزاحه ، فهو « يمزح ولا يقول الا حقا » . وحتى في كلامه العادى مع زوجاته ، ومع الناس عموما لا يصدر كلامه عن هوى وغرض شخصي ، مثل الكثيرين من الناس . . وهذه حقيقة نؤمن بها جميعا . .

لا بد من مراعاة السياق

وهذا وان كان حقا لا شك فيه الا أنه قطع للآية عما قبلها وما بعدها ، وبعد بها عن الهدف الذي سيقت له ، وسيقت من أجله آيات كثيرة في القرآن ، لترد على المشركين زعمهم بأن القرآن ليس من عند الله وانما هو من كلام محمد نسبه الى الله زورا كما عبر عن ذلك القرآن في آيات متعددة ذكرت هذا الاتهام : « وقال الذين كفروا ان هذا (أي القرآن) الا أفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض » ، وقالوا :

« ان هذا الا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا ؟ » « أألقى الذكر عليه من بيننا ؟ بل هو كذاب أشر » وقد رد الله عليهم اتهامهم هذا حيث ذكره ودافع عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأكد لهم ولغيرهم أن القرآن من عند الله « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » وقال : « ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر . لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » فكيف يأتي تعليمه ؟ . .

وقد أقسم الله في رده عليهم « فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين »

ويقسم كذلك على هذه الحقيقة في أول سورة النجم : (والنجم اذا هوى) الآيات . . . ، ويشير في قسم إلى أن الذي تتهمونه بالكذب بعد أن بلغ هذه السن ، هو صاحبكم الذي تعرفونه تماما ، وعاش بينكم قبل البعثة أربعين عاما ، ولم تجربوا عليه أنه كذب مرة من المسرات ، حتى أطلقتم عليه لقب « الصادق الأمين » ، فكيف يكذب عليكم الآن بعد أن بلغ هذه السن الكبيرة ؟ ويختلق القرآن من عنده ، ويكذب ويدعى أنه من عند الله ؟ هذا غير معقول منكم . . فما ينطق محمد بآية من القرآن ، الا وقد أوحيناها اليه ، وأنزلها عليه جبريل ، ولم يقلها لاشباع هوى أو غرض في نفسه ، ثم ينسبها الى الله ، كما تقولون وتدعون عنادا ومكابرة لدعوته « ان هو (أى القرآن) الا وحى يوحى » بوساطة جبريل . فالمنطق المقسم عليه هنا هو النطق بالقرآن خاصة ، اذ هو محل النزاع وموضع المكابرة من الاتهامات من المشركين . فما ينطق محمد صاحبكم بالقرآن عن هوى وغرض شخصي في نفسه . وما القرآن الا وحى يوحى اليه بواسطة جبريل ، الذي علمه إياه « علمه » أي علم محمداً القرآن جبريل ، شديد القوى . ذو مرة (وقوة) فاستوى . . وتأتي الآيات بعد ذلك لتصف جبريل ونزوله على الرسول بالقرآن . .

فالآية « وما ينطق عن الهوى » وان كانت صالحة بألفاظها لأن تفيد ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا ينطق ولا يتكلم بكلام نابع عن هوى وغرض شخصي ، بل كل نطقه حق أو ما يراه أنه الحق والمصلحة ، الا أن هذا المعنى وان كان حقيقة ويشمل في عمومه القرآن ، الا أنه ليس المعنى هنا ، وليس في قوة تخصيص النطق بالقرآن ، الذي سبقت الآيات ، والقَسَم هنا لتأكيد ان محمد لا يفتريه ، ولا يكذب به على الله ، كما سبقت الآيات ، والقسم في سورة الواقعة وصرحت في جواب القسم « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين »

فالقسم في سورة النجم هو على خصوص نطق الرسول بالقرآن ، كالقسم في سورة الواقعة ، على أنه

قرآن كريم ، وتنزيل من رب العالمين . وقد ذكر أبو حيان في تفسيره ـ كما فعل الالوسي ـ أن سبب نزولها قول المشركين ان محمدا يختلق القرآن . فالشواهد كلها تؤكد على ان المراد بنطق الرسول في الآية هو خصوص النطق بالقرآن فقط ، لا كل النطق الذي يتلفظ به في شتى المجالات الأخرى .

على أن الذين يريدون ان يجعلوا كل نطقه بوحي ، يصدمهم ما صرح الرسول به في احيان كثيرة وورد في الأحاديث ، بأن كلامه في هذا الأمر ليس عن وحي ، ولكن عن تدبير منه حسبما يراه من المصلحة ، وكان أحيانا يرجع عما قاله حين تظهر المصلحة في رأى غيره .

وأقرب مثل في هذا وأشهره ، نردده كثيرا هو حين وقف الرسول في موقع بجيشه في موقعة بدر ، فقال له الحباب بن المنذر : أهذا منزل أنزلكه الله (أى بوحي) أم هو الرأى والحرب والمكيدة (أى برأيك) ؟ فقال له الرسول : بل هو الرأى والحرب والمكيدة (أى برأيي أنا وليس بوحي) . . وهنا تقدم الحباب برأى أخذ به الرسول ، وغير موقع جيشه . وكان النصر . . ومثل ذلك حدث أيضا في غزوة الخندق ـ الاحزاب . . حين اتفق الرسول مع قبيلة غطفان على أن يرجعوا عن محاصرة المدينة مع قريش ، ولهم جزء من تمر المدينة ، ولما رجع للأنصار واخبرهم سألوه : أهو عن وحي او رأى لك ؟ قال الرسول : بل تدبير أصنعه لكم ، وليس عن وحي ، وهنا تقدم الانصار برأيهم ، ولم يوافقوا على ما اتفق عليه الرسول مع غطفان . وأخذ الرسول برأيهم . . ولو كان نطق الرسول وفعله بوحي ، ما حصل ذلك . بل ان الرسول نفسه صرح بأنه ليس عن وحي ، بل عن رأى له . وهذا معناه الصريح ودلالته الواضحة ، أنه ليس كل ما ينطق به الرسول يكون بناء عن وحي وتعليم من الله نزل عليه . . بل أحيانا ما يكون عن وحي وتعليم من الله ، وأحيانا لا يكون ذلك . بل يصدر عنه صلى الله عليه وسلم بناء عن رأيه الخاص في تحقيق المصلحة ، وقد يحدث ما رآه الرسول مصلحة ، وقد يرى مصلحة في شيء ، ويظهر خلافها ، كما قرر الكثيرون من كبار أسلافنا العلماء . استدلالا بالأحداث والوقائع . بل استدلالا بكلام للرسول نفسه .

اجتهاد الرسول ومتى يكون ؟

وهذا الاجتهاد إنما يكون في غير ما أمره الله بتبليغه ، فما أمره الله بتبليغه من شئون الدين يبلغه الرسول بالنص كما أمر الله « **يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس** » أما ما عدا ذلك مما يتصل بأمور الدنيا والتعامل فيها وتعريف شئون الحياة من زراعة وصناعة وطب وحرب . وما يشبه ذلك مما لم يرد عنه شيء من القرآن فليس من وظيفة الرسول أن يعلمها للناس ، وأن يحدد لهم كيفياتها . فاذا تكلم فيها كان كلامه عن رأى واجتهاد له حسبما يراه من مصلحة ، وقد يظهر خلاف ما يراه . .

وأمامنا مثل مما أشار به الرسول في شئون الزراعة من عدم تأبير النخل وتركه دون وضع طلائع الذكور فيه ، والله هو الرزاق . . فكانت النتيجة لما عمل الصحابة بمشورة الرسول ، أن النخل لم يثمر كعادته ، بل أخرج شيئا لا يؤكل . . ولما علم الرسول بذلك قال لهم : « **انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن** » ، كما روى الامام مسلم وكما قال في رواية أخرى : « **ما أنا بزارع ولا صاحب نخل** » يعني لم تسبق له تجربة وفي رواية أخرى « **انما أنا بشر ، فما حدثتكم عن الله فهو حق ، وما قلت فيه من قِبَل نفسي فانما أنا بشر أخطيء وأصيب** »

وفي هذا الحديث حدد الرسول مهمته ، وما يجب على أتباعه أن يأخذوه قضية مسلمة لا نقاش فيها من أقواله ، كما جاء في رواية أخرى . ما حدثتكم فيه بشيء من أمر دينكم فخذوه ، وما كان من أمر دنياكم فاليكم ، وأنتم أعلم بشئون دنياكم » ، وما يجوز لهم أن يناقشوا ويبدوا رأيهم فيه مما يقوله ، ولهذا كانوا يسألونه : أهذا عن وحي أو تدبير ؟ . . وهذا يدل أيضا على أنه ليس كل ما كان ينطق به الرسول عن وحي . . بل فيه ما هو عن وحي ، وما هو عن رأى واجتهاد . . وان الانسان ليعجب ممن يقول من العلماء قديما أو حديثا : ان كل نطقه كان بوحي ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الأحاديث الصحيحة ما يخالف كلامهم ، والوقائع المروية ترد كلامهم أيضا . . وتبين بوضوح لا لبس فيه : أنه كان للرسول صلى الله عليه وسلم تفكير واجتهاد خاص ،

وآراء خاصة ، ناتجة عن تفكيره هو ، وما يراه مصلحة ، لا عن وحي سواء في أمور المعايش أو في بعض الأحكام كما حصل في سوقه الهدي معه ، حين حج حجة الوداع وقال حين وجه أصحابه ممن لم يسوقوا الهدي أن يجعلوا حجتهم عمرة ، ويتحللوا ، حتى يأتي وقت الحج فيحرموا به « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ، ما سقت الهدي ، ولجعلتها عمرة » أي مثلكم وهذا يدل على أن سوقه الهدي كان باجتهاد منه ، اذ لو كان عن وحي ما جاز أن يقول « لو استقبلت من أمري الحديث »

وكذلك لما أمر بقتل « النضر بن الحارث » ، لكثرة ايذائه له وللدعوة وبعد فيه أمر القتل ، وجاءت أخته تنشد للرسول قصيدة قالت فيها

ما كان ضرك لو مننت وربما
منّ الفتى وهو المغيظ المحنق

رق قلب الرسول لها وقال لو سمعت هذا قبل قتله ما قتلته

وهذا يدل على أن أمره صلى الله عليه وسلم بقتل النضر ، لم يكن عن وحي وكان باجتهاد في الحكم ، اذ لو كان عن وحي ما قال الرسول هذا

واذا كان هذا قد حدث من الرسول في بعض الأحكام ، ودل على أنه كان يجتهد فيها بناء على ما أمامه من نصوص وقواعد ومصلحة فان اجتهاده وكلامه في أمور المعايش وارد ورودا أوليا بل إنه قد يكون هناك من هو أعلم وأكثر تجربة في أمور المعايش من الرسول وقد كان الفلاحون في المدينة أكثر تجربة في أمور النخل من الرسول ، وكان الحباب أكثر خبرة بأمور الحرب منه صلى الله عليه وسلم ، وقد سبق أن ذكرنا ما قاله في حادث تأبير النخل « ما أنا بزارع ولا صاحب نخل » وهذا يعني أن غيره من الزراع وأصحاب النخل أكثر تجربة منه ومعرفة بأمور الزراعة ، اذ لم يرسل لتعليم الناس الزراعة وأمثالها

« وهذا لا يعتبر - كما يقول القاضي عياض - منقصة فيه صلى الله عليه وسلم ، انما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها ، وشغل نفسه بها ، وهو صلى الله عليه وسلم مشغول القلب بمعرفة الربوبية »

ونحن نلمس في حياتنا أن الفلاح ، أو النساك ، أو الخياط ، أو أصحاب الحرف والاختصاصات عموما ، هم أعلم بأمورهم وحرفهم من أعلم العلماء بشئون الدين أو الطب أو الذرة ولا يعيب أحدا أبدا أنه يجهل اختصاصات الآخرين فلكل علم أو حرفة أناس مختصون ، وأهل الذكر والعلم فيه نلجأ اليهم في اختصاصهم والله يقول قولا يمكن أن يكون قاعدة عامة في احترام التخصصات « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » والرسول في شئون الدنيا أو في غير اختصاصه في أمور الدين والتبليغ عن ربه بشر مثل كل البشر ، يعلمون ما يعلمون ، يعرفون شيئا ، وتغيب عنهم أشياء ، والنبي يباشر من أمور الدنيا ما يباشره البشر ، الا ان يكون نقيصة أو غير لائق بمقامه قد يرى المصلحة في شيء ويظهر خلاف ما رآه كما يقرر القاضي عياض والتوردي وغيرهما من أكابر العلماء وفي القرآن والسنة أمثلة كثيرة على هذا وقد تعرض القرآن لحادثة كاد الرسول صلى الله عليه وسلم يحكم فيها بناء على أدلة وشهود ، تآمر بعض المسلمين عليها بعصبيتهم ليدينوا يهوديا ظلما ، ويبرئوا رجلا منهم مسلما ، فأنزل الله ايه ليكشف للرسول الحقيقة ، بعد أن كاد يحكم على اليهودي وهو بريء ، بناء على ما أمامه من أدلة ظاهرية يأخذ بها كل قاض فقال تعالى « إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله » الأيات من سورة النساء من أول أية ١٠٥ الى قوله تعالى « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك » الأيه ١١٣ ، وحال بينه وبين الوقوع في الخطأ وفي هذا أيضا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « انما أنا بشر ، وأنكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم ان يكون ألحن (أى أوضح وأفصح) بحجته من البعض الآخر ، فأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذ منه شيئا ، فانما أقطع له قطعة من نار » رواه الشيخان وأبو داود والرسول لا يعلم الغيب ولكنه كما يقول « إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر »

وهذا صريح في أن الرسول قد يحكم بغير ما هو حق لأنه بشر ، ويأخذ بالأدلة مثل أى قاض يحكم بما أمامه من أدلة والعلم عند الله ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يمكن أن نقول بعد هذا إن كل نطق ينطق به الرسول يكون عن وحي والا لاطمأن الرسول تماما الى أن أحكامه تطابق دائما

الحق . فلا حاجة لأن يقول « كأنما أقطع له قطعة من نار » .

حقائق علمية

ومن هذا الذي قدمناه ، وباختصار قدر الامكان ، تتضح أمامنا حقائق لا بد أن نعرفها :

١ ـ ان مهمة الرسول وهدف رسالته أن يبين للناس أمور دينهم من العقيدة والعبادات والاخلاق . والحلال والحرام ويوضح لهم ما جاء في القرآن عن ذلك وعن بعض المعاملات الدنيوية كالربا والرهن والميراث ومبدأ التراضي في التجارة ، وعدم أكل أموال الناس بالباطل وأحكام الزواج والطلاق والرضاع والميراث . وبعض العقوبات المهمة . . وهذا هو المَعْنِيُّ بقول الرسول « ما حدثتكم فيه بشيء من أمر دينكم فخذوه . وبقول الله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وبالأوامر الواردة في القرآن بطاعة الرسول في غير هذه الآيات.

٢ ـ أنه ليست من مهمة الرسول والرسالة أن يعلم الناس شئون الزراعة والصناعة وفنون القتال والطب والرياضة وعلوم الحياة .

٣ ـ أن أحاديث الرسول الصحيحة الواردة في كتب الحديث بناء على ما تقدم ـ أنواع من حيث الالتزام والتقيد بها ، وعدم الالتزام والتقيد بها :

أ ـ احاديث التشريع العام المتصلة بمهمة الرسول في التبليغ وهذه علينا جميعا أن نلتزم بها ، وتسمى أحاديث التشريع العام .

ب ـ أحاديث تشريع خاص ، كالتى صدرت عنه صلى الله عليه وسلم بصفته قائدا أو إماما وحاكما للمسلمين كبعث الجيوش وإعلان الحرب ، وعقد الهدنة ، وصرف الأموال وجبايتها ، وتولية القضاء . وما يشبه ذلك وهذه ليست تعبدية ولا تشريعا عاما يلتزم به جميع المسلمين . ولكنها تصرفات إجرائية لها ظروفها . ترجع الى رأى القائد والحاكم ، يحكم بها أو لا يحكم حسب الظروف التى أمامه . .

جـ ـ ما صدر عنه من أحاديث بوصف أنه قاض ، وهذه كسابقتها ليست تشريعا عاما على كل مسلم تنفيذها أو على كل قاض تنفيذها بنصها ، لأن لكل قضية ظروفها الخاصة بها . وعلى القاضى دراسة أوراق كل قضية ، وإصدار حكم خاص بها . .

د ـ أحاديث وردت خاصة في الأمور البشرية كالأكل والشرب والنوم والمشى والملبس والتزاور الخ .

هـ ـ أحاديث وردت في أمور تجريبية وعادية كالتى وردت في شئون الزراعة والطب وما يشبه ذلك .

و ـ أحاديث وردت على سبيل التدبير الانساني على ضوء الظروف التى أمامه كتوزيع الجيوش وصفها الخ . .

وهذه الأخيرة أيضا (د) ، (هـ) ، (و) ليست أحاديث تشريع عام يلتزم بها المسلمون فعلا أو تركا ، وانما هي من الأمور البشرية . التي لا يجب أن نلتزم بمحاكاتها ولا العمل بها . وهي داخلة تحت قوله صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بشئون دنياكم » . □

عمر الشهيد

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على عمر بن الخطاب قميصا فقال له : أجديد قميصك أم لبيس ؟ قال عمر : بل لبيس يارسول الله . فقال له النبى : البس جديدا وعش حميدا و مت شهيدا ، وليعطك الله قرة عين في الدنيا والآخرة .

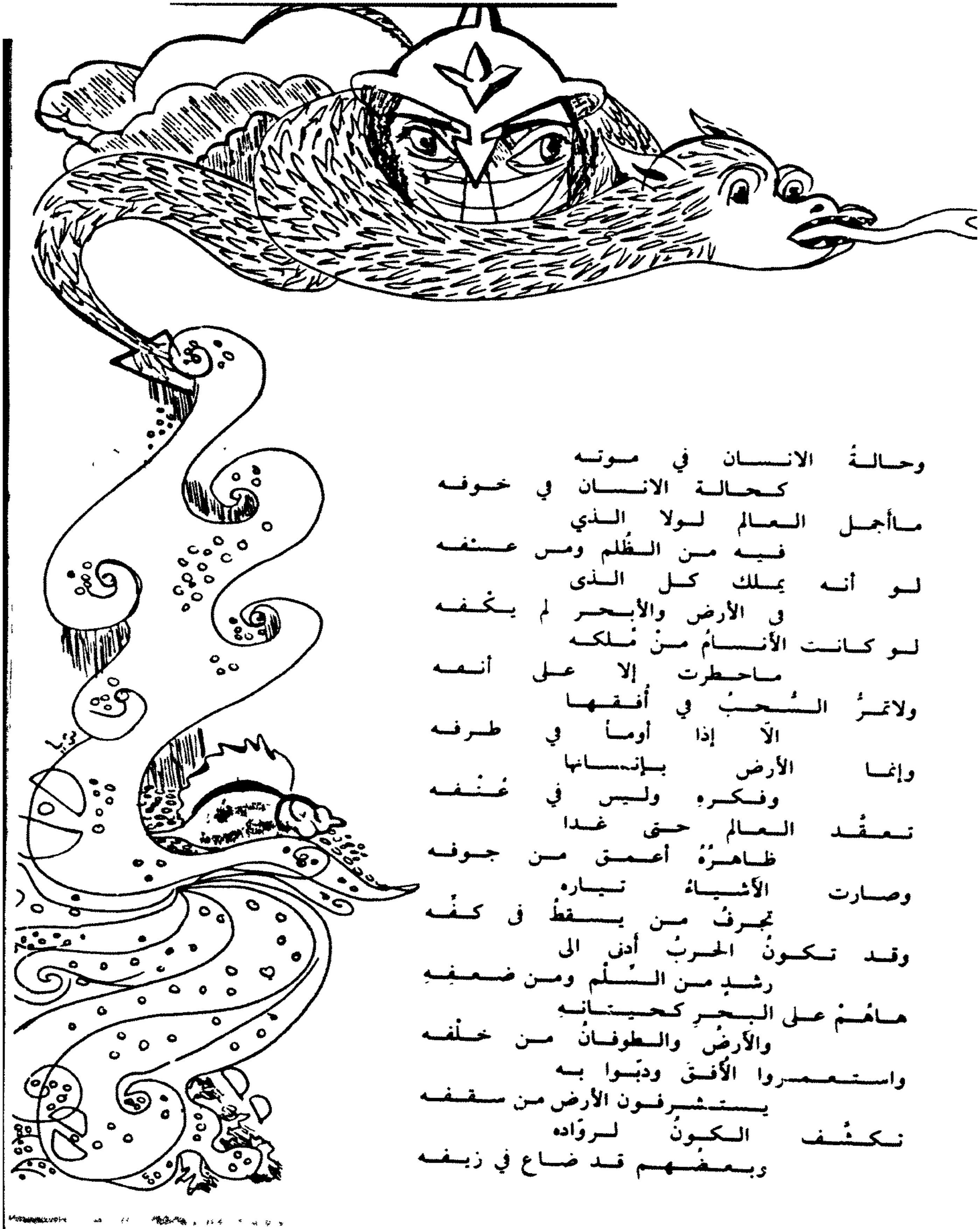
وكان عمر يسأل الله شهادة في سبيله ، ووفاة في بلد نبيه . وقد استجاب الله له فمات شهيدا في مدينة الرسول ، قتله رجل مجوسى ، تم قتله في أحب الأوقات الى الله عز وجل ، وهو الوقت الذى تؤدى فيه صلاة الفجر ، ويروى أن عمر سقط وهو يقول : وكان أمر الله قدرا مقدورا .


العربي الصغير

الوحش

شعر : محمد الفايز

قد خرج العالم من كهفه
وجاء مثل الوحش في زحفه
ولم يكن وحشاً ولكنه
كلُّ وحوش الأرض من صنفه
أغراهم البحر ومرجانه
ويقظة الأحياء في جُرفه
والشُجرُ الوارفُ في ظِله
ورملُه المسرفُ في نزفه
ويومُه النشْوان من خسنه
وليلهُ المشرقُ في لطفه
وتلكُم الأطواد ذاتُ الذرا
وصقرُها الشاخصُ في طرفه
يستقبلُ الأرضَ التي أقبلت
تنسفُ ماتقوى على نسفهِ
كأنما الأشلاءُ من فوقها
مايترك العاصفُ في عصفهِ
والأرض كالأنثى اذا جاءها
مخاضُها لابُدَّ من قذفِهِ
كأنها تجاوزت أمسَها
تجاوزَ الرّاسفِ في رسفِهِ
يملكُها القارىء أوقاتها
كالشجرِ الداني الى قطْفِهِ
يملكُها الموغلُ في عُمقِها
والثائر الساخر من حتْفِهِ



وحالةُ الانسان في موته
كحالة الانسان في خوفه
ماأجمل العالم لولا الذي
فيه من الظُلم ومن عسفه
لو أنه يملك كل الذي
في الأرض والأبحر لم يكْفه
لو كانت الأنسامُ من مُلكه
ماخطرت إلا على أنفه
ولاتمرُّ السُحبُ في أُفقها
الآ إذا أومأ في طرفه
وإنما الأرض بإنسانها
وفكرهِ وليس في عُنفه
تعقَّد العالم حتى غدا
ظاهرُهُ أعمق من جوفه
وصارت الأشياءُ تياره
تجرفُ من يسقطُ في كفِّه
وقد تكونُ الحربُ أدنى الى
رشدٍ من السِّلْم ومن ضعفِهِ
هاهُمْ على البحرِ كحيتانِهِ
والأرضُ والطوفانُ من خلْفه
واستعمروا الأُفقَ ودبّوا به
يستشرفون الأرض من سقفه
تكشَّف الكونُ لروّاده
وبعضهم قد ضاع في زيفه

أرقام

بقلم : محمود المراغي

الصين عام (٢٠٠٠)

هل تستطيع دول العالم الثالث أن تلحق بالدول الصناعية ؟ .. وهل تستطيع أن تختصر المسافة التي تتسع كل يوم بين المجموعتين ؟

يكاد الاحتمال أن يكون متعذرا .

ومع ذلك هناك استثناء واضح في دولة تحتل من حيث عدد السكان خمس العالم .. لكنها تنتمي من حيث الدخل ودرجة النمو الى العالم الثالث .

الصين تحاول الاقتراب من الدول الصناعية المتقدمة ، والبنك الدولي - في تقريرأخير له - يقول : نعم .. ان هذا ممكن .. والرقم المستهدف كمتوسط لدخل الفرد الصيني عام ٢٠٠٠ هو (٨٠٠) ثمانمائة دولار أمريكي ، .. مقابل ثلاثمائة دولار في أوائل الثمانينيات .

وحين تنتقل الصين من المتوسط الراهن في الدخل الى المتوسط المستهدف - والمتوقع - تكون قد انتقلت من حيث التقسيم الدولي ، من الدول منخفضة الدخل إلى الدول متوسطة الدخل .. و .. بين النقطتين رحلة طويلة لا يميزها الطموح فقط ، ولكن يميزها أيضا أنها تقدم نموذجا للاعتماد على الذات ، كما تقدم نموذجا لادارة الأعداد الكبيرة .

الرقم المستهدف للسكان عام (٢٠٠٠) هو (١٢٠٠) مليون نسمة ، وذلك يعني أن الصين سوف تظل بطبيعة الحال هي الأكثر ضخامة ، وبما يرتبه ذلك من نتائج أبرزها : عشرة ملايين من المواطنين يدخلون سوق العمل لأول مرة .. كل عام .

ولكن ..

وحتى يتم تشغيل هذا العدد ، كما يتم الوصول الى هدف الدخل المقترح ، الذي ينقل الصين خطوة تجاه مستويات الدول الصناعية ، لكي يحدث ذلك فلابد أن توجه الصين ثلاثين بالمائة من ناتجها القومي للاستثمار .. وهو مستوى غير بعيد المنال ، لأن الصين قد استطاعت أن تفعل ذلك في السنوات الماضية .

و .. مع ذلك فان خبراء البنك الدولي يقولون : ان تخفيض الاستثمار أمر ممكن .. والهبوط بالرقم من ٣٠٪ الى ٢٦٪ من الناتج القومي يفيد ولا يضر اذا أحسن استخدام الموارد ، وتم ترشيد الاقتصاد ، كما تم التوسع في الخدمات ، وتقليل نسبة العمالة في الزراعة .. كيف ؟

يعتمد هذا الرأى على مشروعات مكثفة للعمالة ، وليست مكثفة لرأس المال ، كما يعتمد على التسليم بأن النموذج الصيني حالة خاصة ، وان ادارة التنمية في بلد بحجم القارة لا يمكن الا أن تكون ذات نمط خاص .. و .. حين ناقش خبراء البنك الدولي - وهو بنك عالمي ذو توجه رأسمالي - التجربة الصينية وتنبؤات المستقبل ، وحين وضعوا شهادتهم في صالح

هـذه التنبؤات المتفائلة ، كـان هنـاك تسليم من جـانبهم بـأن أسس ادارة الاقتصـاد الصيني ـ وهي أسس اشتـراكيـة ـ صحيحـة وتسـاعـد عـلى بلوغ الهدف .

قالوا : انه لابد من استمرار التخطيط المركزى . . وينبغى أن تزداد كفاءة التخطيط ، وان كان للتوجيه أسلوبان . . مباشر ، وغير مباشر ، وعلى الصين أن تأخذ بالأسلوبين .

قـالـوا أيضـا : ان استمـرار سيـاسـة العـدالـة الاجتماعية أمر ضرورى ، ويرتبط ذلك بـالتنمية ، ولا تملك الصين الا أن تستمر في ذلك .

ثم . . أضافوا بعد التسليم بهاتين الركيـزتين في ادارة الاقتصـاد والمجتمـع ، انـه لابـد من تحـديث الاقتصاد وتطوير اداراته .

هنا . . تتعدد الاقتراحات .

اقتراح أول بأن يجـرى تطعيم الاقتصـاد الصينى بنظام السوق . . حرية أكثر للمشروعات . . مركزية أقل . . تنافس ونظام للحوافز تتمتع به المشروعات ، ويتمتع به الأفراد ، وذلك حتى يمكن تحسين الانتاج كما ونوعا ، وتقديم منتجات جديدة دون توقف .

اقتـراح ثان بـأن يتم تعـديـل نـظم المؤسـسـات والسياسات الاجتماعية . . . مع الحفاظ على هدف العدالة الاجتماعية .

اقتراح ثالث بأن يزيد انفتاح الصين على العـالم الخارجي ، فيجرى الأخذ بوسائل التقنية الحديثة ، كما يجرى تقـديم تشجيع أكـثر للاستثمـار الأجنبى خلال ذلك .

. . مجتمع آخر

هـذه الرحلة التي تستهـدفها احـدى دول العـالم الثـالث لا يمكن أن تكـون مقصـورة عـلى الجـانب الاقتصادى . . فقبول قدر أكبر من التعامل مع العالم الخـارجي ، سـواء في مجـال التقنيـة أو الاستثمـار الأجنبى ، يـطلب قـرارا سيـاسيـا وتبـدلات في السياسة ، التي كانت تعتبر المال الأجنبى رجسا من عمل الشيطان . .

في نفس الوقت فان ذلك الانفتاح على العالم لابد أن يكون مصحوبا بعملية اختيار دقيقة ، تحدد نطاق التماس ونطاق العزلة ، ونطاق التفاعل والحماية أيضـا ، ونطاق المنفعـة المتبادلـة والضـرر من فتـح الأبواب .

وقـد بـدأت الصـين السـير في هــذا الـطريق ، ووصلت مرونتها في أكثر من مجال من بينهـا : فتح الباب للاستثمار الأجنبى ، وتجربة هونج كونج التي سوف تحتفظ بنظامها الرأسمـالي فترة طـويلة ، بعد العودة الى أحضان الصين .

وعلى الجانب الاجتماعي فلن تكون الرحلة أقل مشقة،فبوصلة العدل يجب ألا تسقط ، وزيادة الدخل المستهدفة لابد أن يتم توزيعها بكفاءة ، ونظم الحوافز وفتح نافذة على الغرب والتجارب الرأسمالية ينبغى الا يكون مصحوبا بنظام طبقى جـديد ، يغـير من طبيعة التوجه الاشتراكي ويؤثر على مسيرة التنمية .

والأكثر ، أن هناك جوانب أخرى تتعلق بالانتقال من القرية الى المدينة ، ونشوء مدن حديدة وأساليب حياة أكثر حداثة . . بل . . هناك تـطور في تركيب المجتمـع ، حيث تـزداد نسبـة كبـار الـسن . . « العواجير » ، فالتحكم في الزيـادة السكانيـة يعنى تقليل نسبة الوافدين الجدد وصغار السن ، بما يعكسه ذلك على طبيعة القوى العاملة ، ونسبة الإعالة داخل الأسرة .

لقد كانت الصـين ، وطوال السـنوات العشرين الماضية ، نموذجا متقدما ، بالقياس للكثير من الدول الفقيرة والنامية . . فسجلت نسبة نمو سنوي بلغت (٤ر٤) بالمائة كمتوسط عام . . وظلت أسعار السلع والخدمات تتناقص بين عامى ٦٥ و ١٩٧٣ ، حتى أن نسبـة التضخم . وفقـا لتقـديـرات البنـك الـدولي أيضا . . كانت بالسـالب ، وبلغت (ـ ١ر) بالمائـة سنويا . . فلما جـاءت موجـة التضخم العالميـة عام ١٩٧٣ ، أصبحت نسـبـة التـضـخم وحتى عـام ١٩٨٣ : (٧ ر ١) بالمائة فقط سنويا .

و . . كمحصلة للسياسات الصحيـة والغذائيـة ونمط الحيـاة ، تتمتع الصـين بمتوسـط عمـر يندر أن يحدث في الدول الفقيرة . . فالعمر المتوقـع للصيني عند ولادته هو : (٦٧) سنة .

ترى . . ماذا يحدث في هذه المجالات ، عندمـا يزيد التحديث والانتاج على العالم والاتجاه للمدينة ؟

التجربة الفريدة سـوف تجيب ، ولكن . . ليس الآن . □

العربي ـ العدد ٣٢٨ ـ مارس ١٩٨٦



أندريه مالرو والسينما

(١٩٠١ ـ ١٩٧٦)

بقلم : الدكتورة زينب عبد العزيز*

أندريه مالرو روائي له شهرته ويعرف مالرو أيضا كمناصل من أجل الحرية في أماكن متعددة من العالم ، ولكن من يعرف أندريه مالرو المخرج السينمائي ؟

في عام ١٩٣٧ دهب مالرو الى اسانيا لمساعدة الجمهوريين في حربهم صد الديكتاتورية .عن هده التجربة كتب رواية « الأمل » التي قام باخراجها للسيما أيصا ، فماذا عن مالرو المخرج السيمائي ؟

ربما أثار ارتباط اسم أندريه مالرو بالسيما بعض التساؤلات ، اد أن ماهو معروف عن نضاله صد الفاشية ، وارتباطه بالسياسة والادب ، أكثر شيوعا من صلته بالمجال السيمائي ومع أن تجربته في هدا الميدان ظلت وحيدة في حياته ، الا أنها تعد علامة من علامات تطور السيما الأوروبية في أواخر الثلاثينيات ، أي أن أهمية هذه التجربة قد تعدت نطاق المقارنه المحلية الفرنسية ، لتدخل في نطاق تطور السيما بصفة عامة ، أي نطاق السيما كلغة تعبير وفن راق

حتى أواخر الثلاثينيات ، لم تكن السيما قد جذبت انتباه اندريه مالرو ، الا كأحد المشاهدين العاديين المعجبين بها وقد كان شديد الاعجاب بالأفلام الألمانية التأثيرية الطابع ، التي كانت تحتل الصدارة انداك ، وبالافلام السوفيتية التي كانت تلفت نظره من حيث القيمة الجمالية ، التي تحتوي عليها ، ومن حيث أهميتها كمجال يصلح للدعاية أو لنشر فكرة معينة

* استاذة الحضارة بكلية الدراسات الانسانية ـ جامعة عين شمس ـ القاهرة

وتعد التجربة التي عاشها مالرو عند اشتراكه في الحرب الأهلية الاسبانية ، من أصدق التجارب وأعمقها في حياته . اذ كانت أول مرة يساهم فيها بالنضال الفعلي ، ولمدة سبعة أشهر متتالية ، للتعبير عن تضامنه مع الوطنيين الاسبان ، في دفاعهم ضد الفاشية . وكان وقع هذه الأحداث شديد الأثر عليه كفنان مبدع .

في الطائرة الأخيرة :

وما ان اندلعت هذه الحرب ، في الثامن عشر من شهر يوليو عام ١٩٣٦ ، حتى هرع مالرو الى مدريد على متن آخر طائرة ، متجهة مباشرة من فرنسا الى اسبانيا ، وكان ذلك في العشرين من نفس هذا الشهر ، أي بعد يومين من بداية الاشتباكات . وما كاد مالرو يصل الى أرض المعارك ، حتى عهد اليه الثوار بشراء عدة طائرات من فرنسا لدعم حركة المقاومة . ونجح مالرو في الحصول على خمسين طائرة . ولم يكن هناك بين صفوف المقاومة الاسبانية عدد كاف من الطيارين . فتولى هو مهمة جمع المتطوعين للاشتراك في هذه الحرب الوطنية . وتم تعيينه كأحد قادة هذا السرب ، وان لم يكن معدا من قبل لتولي مثل هذا المنصب . الا أنه اشترك بحماس صادق ، وخاض الكثير من الغارات بجوار الطيارين المحترفين . وكان سربه هو الوحيد الذي اشترك في معارك قريتي « مدلين » و « ترويل » .

وفي نفس هذه الآونة ، قام أندريه مالرو ، الأديب ، بالتعبير عن تلك التجربة الانسانية التي خاضها ، في كتاب بعنوان « الأمل » ، ظهر في شهر ديسمبر عام ١٩٣٧ . وفور ظهور هذا الكتاب ، سافر مالرو الى الولايات المتحدة وكندا ، لالقاء بعض المحاضرات عن الحرب الأهلية الاسبانية ، وجمع بعض التبرعات لتزويد الوطنيين بالسلاح ، وبدعمه مستشفياتهم بما ينقصها من معدات . وأثناء هذه الجولة ، مر بمدينة هوليود ، مدينة السينما التي دفعت الى ذهنه بفكرة عمل فيلم سينمائي ، يقوم بالدعاية لهذه الحرب ـ لعله ينجح في ايقاظ ضمائر البلدان الديمقراطية الأخرى . اذ من المعروف أنه بخلاف مساندة الاتحاد السوفيتي والمكسيك ، لم تتقدم أية حكومة ديمقراطية أخرى لمنع توغل النظام الفاشستي في اسبانيا .

وعاد أندريه مالرو في أوائل عام ١٩٣٧ الى اسبانيا ، ليعرض فكرته على المسئولين المناضلين وأعضاء الحكومة الجمهورية موافقتها التامة ، لكي يقوم باخراج هذا الفيلم عن الحرب الأهلية . وكان مالرو يرغب في القيام بعمل يهز مشاعر الجماهير العريضة في كل مكان . كان يفكر في فيلم ينقل اليها الواقع ، بكل ما فيه من شجاعة وحماس ، وكل ما يحتوي عليه من قهر ومعاناة . لذلك كان البطل الحقيقي في هذا الفيلم هو مأساة الحرب الأهلية ، التي كانت تمثل جزءا من مأساة انسان القرن العشرين .

« الأمل » في علبة فارغة :

وعندما تولى مالرو صياغة السيناريو ، لم يتردد في تعدي نطاق حبكته الفريدة في روايته « الأمل » التي تعتمد أساسا على قصة حياة الطيارين التي عاشها كواحد منهم وانما أضاف اليها ما يدعم فكرته العامة عن هذه المعركة ، فأدخل مساندة العمال والفلاحين لقوى المناضلين ، ونضال فرق المتطوعين ، واشتراك الجيش الجمهوري أثناء المعارك . واعتمد على قصة الطيارين كدعامة خلفية ، تربط بين أحداث الفيلم ، أي أنه خرج بعمله هذا من واقع التجربة الفردية ، الى نطاق معاناة الجماهير العريضة ، ممثلة في مختلف القطاعات التي عاشت هذه المحنة .

وبدأ تصوير الفيلم في ظروف مادية وحربية شديدة الصعوبة ، فبخلاف مشاكل الانتقال الى مكان التصوير ـ الذي كان يبعد خمسة كيلومترات عن ضواحي برشلونة ، لم يكن التيار الكهربائي منتظما بسبب الغارات . مما كان يفسد عمليات التصوير والتحميض . كما كانت هناك صعوبات جمة من حيث الحصول على عتاد حربي لتصويره ، أو لاقامة

الديكورات الثابتة اللازمة للتصوير ، ومن جهة أخرى ، كانت الأنباء الحربية تزداد سوءا يوما بعد يوم . وظل أندريه مالرو يعمل بدأب وحماس ، حتى قبل دخول قوات فرانكو واستيلائها على برشلونة بيوم واحد .

وجمع أندريه مالرو كل ما تم تصويره من لقطات ، وطار به الى باريس ، حيث استطاع استكمال الفيلم ، بفضل مساعدة المنتج ادوارد مولينييه . وفي شهر يوليو ١٩٣٩ عرض فيلم « سييرا دي ترويل » في حفل خاص حضره أعضاء الحكومة الجمهورية المنفيون في باريس . وكان الفيلم يحمل اسم القرية التي عاشت إحدى أهم المواقع الحربية . الا أنه عرض بعد ذلك بنفس الاسم الذي تحمله الرواية وهو : « الأمل » .

وتم الاتفاق على أن يعرض الفيلم في قاعات العرض العامة ، خلال شهر سبتمبر من نفس عام ١٩٣٩ ، الا أن الحرب اندلعت في فرنسا ، وفرضت الرقابة على كافة المجالات ، ومنها السينما ، ولم توافق الرقابة على عرض فيلم « الأمل » ، لكي لا تثير عداء الجنرال فرانكو ، الذي كان قد استتب له الأمر في اسبانيا .

كما قام الألمان أثناء احتلالهم لفرنسا وضمن حملاتهم التفتيشية ، بالاستيلاء على كافة الأفلام الوطنية واعدامها . وهنا تدخلت الصدفة لانقاذ نسخة واحدة من فيلم « الأمل » ، وكان أحد العاملين قد وضعها في علبة فارغة مكتوب عليها عنوان أحد الأفلام الهزلية الشهيرة ، فلم تمس العلبة ! وبعد تحرير فرنسا . أمكن استخدام هذه النسخة الوحيدة لطباعة عدة نسخ أخرى ، وتولت احدى الشركات السينمائية الفرنسية مهمة توزيع الفيلم ، الا أن الجمهور الفرنسي الذي كان يعاني من وطأة الحرب العالمية الثانية ، كان قد نسي الحرب الأهلية الاسبانية ، ولم تعد تشغل باله .

ورغم فتور الجمهور ، الا أن النقاد قد اهتموا بهذا العمل السينمائي الفريد ، واستقبلوه بحماس شديد . ومهما اختلفت آراء النقاد من حيث التفاصيل ، فقد أجمعوا على ما في هذا العمل من صدق وبساطة ، وعلى نوعية ما يتركه في المتفرج من انفعال عميق . وفي نفس عام ١٩٤٥ حصل فيلم « الأمل » على جائزة « لوي ديللوك » في المهرجان السينمائي المقام بمدينة بال بسويسرا .

المحاكاة والتخطي :

وعلى الرغم من أن مساهمة أندريه مالرو في المجال السينمائي ظلت فريدة من حيث الكم ، الا أنها ظلت فريدة أيضا من حيث المستوى . فهي تعد مساهمة أساسية وعميقة الأثر ، لما احتوت عليه من **مفاهيم ومعان ، كانت سابقة على عصرها** بعشرين عاما . وقد اعتمد مالرو ـ عند القيام باخراج هذا الفيلم ـ على فلسفته الفنية التي كثيرا ما عبر عنها في مؤلفاته فيما بعد ، وهي : « أن الفن لا يكمن في محاكاة الطبيعة وإنما في تخطيها » . .

ومن أهم معالم هذا الفيلم أنه يقدم وجهة نظر مالرو ، الذي حاول أن يتخطى الأحداث التي عاشها ، والامكانيات المعطاة له . لذلك ركز اهتمامه على مايربط السينما بالفنون التشكيلية الأخرى ، وعلى ما في امكانية المجال السينمائي من خلق ابداعي وخيالي . ولعل ذلك هو ما كان يجذبه الى السينما التاثيرية الألمانية والسينما السوفييتية ، أيام الأفلام الصامتة ، أو الأفلام الحربية في العشرينات . ولا أدل على مدى اهتمام مالرو بمجال السينما الا ما أصابه من حزن في الأعوام الأخيرة ، وكل ما راح يعرب عنه من قلق وهو يرى المجال السينمائي يخضع لسلطان النفوذ المادي ، ويغرق بابتذال في عالمي الجنس والعنف . فالسينما في نظره مجال ابداعي ، يمكنه المساهمة بشكل فعال وسام في تحرير انسان القرن العشرين .

وقد أرادَ مالرو لعمله السينمائي هذا أن يكون مثل رواياته ، عملا منتميا ، يدافع عن قضية معينة ، فهو كأديب ، لم يلجأ أبدا الى أسلوب الخطابة ، والاسهاب في الشرح أو التطويل في الدفاع . وذلك هو ما اتبعه أيضا حينما قام باخراج فيلم « الأمل » فقد

بحح في استحدام الامكانيات السيمائية والاسلوب السيمائي في التعبير عما عاشه وعما راه بصورة مقنعة ، بل لم يلتزم بروايته كأديب ، وانما حاول التعبير عن نفس الحدث أو نفس الشعور لكن من خلال الامكانيات الذاتية المميرة للسينما ، مما أضفى المزيد من الواقعية والاقناع على هذا الفيلم ، ولعل ذلك يفسر قوله عن فيلم « الأمل » ووصفه بأنه « آخر فيلم ثوري تم تصويره ، وأن السينما لن تتعداه قبل سنوات طويله »

ومن الواضح أن أهم ما ساعد على إبراز عظمة هذا الفيلم ، أن مالرو قد التزم العقل والاتزان ، سواء ككاتب للقصة وللسيناريو أو كمخرج عندما راح يعبر عن الثوريين أو عن أعدائهم كما أنه لم يغرق في المنازعات السياسية ، وانما تخطاها ليبرز مواقف الشجاعة والتضامن والكرامة الانسانية ، ومن الجدير بالذكر أن هذا الفيلم لايظهر فيه أي شخص من أتباع فرانكو صراحة ، كما أنه لم يظهرهم في أي وضع مشين أو ساخر ، ذلك لانه قد اهتم بتمجيد لحظات المعاناة الانسانية ، والنضال من أجل المبادىء ، بلا أحقاد وبلا احتقار للغير ، على الرغم من قيامه باخراج وتصوير الفيلم أثناء الحرب ذاتها

ومن جهة أخرى فانه لا يظهر فيه أي افتعال حماسي سياسي ، أو أية اشارة لتولي السلطة ، فالشخصيات الأساسية في الفيلم لا تظهر كأبطال أو كرجال فوق مستوى البشر انهم يبدون في غاية الطبيعية والواقعية بل ان أهم مالفت نظر مالرو في هذه التجربة هو التحرك الجماهيري في حد ذاته لذلك تداخلت شخصياته وذابت في خضم الحركة الجماعية ، وربما لجأ الى أناس بسطاء ، لكي لا تطغى شهرتهم على أهمية الحدث ، ولكي لا يتجه انتباه المتفرج الى متابعة « البطل » كفرد ، وانما ليغرق في معايشة هذا الواقع الذي يراه ماثلا أمام عينيه

لحظة التعبير الفني :

ونظرا للظروف السياسية الدولية آنذاك ، فلم يحقق فيلم أندريه مالرو الهدف الذي كان يرجوه منه اذ تم عرضه على الجمهور بعد تأخر بلغ ستة أعوام عن التوقيت الذي كان يعنيه وهكذا لم يعد فيلما حماسيا لقضية مازالت تشغل بال الجماهير ، وانما أصبح - من حيث التوقيت الزمني - فيلما تاريخيا عن الحرب الاهلية في اسبانيا

أما من حيث ما أضافه هذا الفيلم من جديد في المجال السينمائي ، فبخلاف أنه قد تم تصويره في المواقع الحربية نفسها ، وأثناء رحى هذه الحرب الأهلية ، فهو أول فيلم تظهر فيه طائرات حربية ودبابات بشكل واقعي واضح ، وقد استعان مالرو بتجاربه أثناء اشتراكه في الغارات الجوية ، ليخرج لقطات سينمائية جديدة بالنسبة للطيار المحارب داخل طائرته وهي لقطات لا تلتزم بالقواعد السينمائية ، بقدر اهتمامها بابراز الحدث

ومن أهم ما نجح فيه مالرو من حيث الاخراج ، فهو تمكنه من التعبير الواقعي ، بحيث اعتقد معظم الذين شاهدوا الفيلم أنه قد تم تصويره أثناء الأحداث ، وأن الكاميرا كانت مختبئة في مكان ما ، وسط المعدات الحربية ، أو مع بعض المحاربين .

انه أسلوب خاص بأندريه مالرو أسلوب شديد البساطة ، يعبر عن النقاء المقنع ، وعن الصدق ووضوح الرؤ ية بلا افتعال فقصه « الأمل » هي قصة بعض الأحداث البسيطة المحددة ، ولكن مالرو قد بلورها في وقار وشاعرية عبر وجهة نظره الذاتية ، ورؤ يته الفنية ، التي أضفت عليها تلك المسحة المأساوية الصافية ، فبدت وكأنها حوار تم التقاطه في لحظات خاطفة من الحياة ، ومن الصراع

هكذا استطاع مالرو أن يترجم تلك المحنة التي عاشها الى لغة تشكيلية ، والى تعبير درامي ، يعبر عن العالم المأساوي الذي تألمه في رواياته ، والذي اعتمد في ابرازه على شدة نقاء اللحظة التعبيرية وعلى الحوار المقتضب والمرح بينهما ، مما جعل هذا الفيلم يبدو كصرخة من الأعماق ، تتردد أصداؤها في صمت مهيب فالصمت ، الصمت الأصم ، يمثل في هذا الفيلم نفس تلك المكانة التي يحتلها في حياتنا المأساوية

□

دور الموسيقا في تطور الشباب

بقلم : الدكتورة سمحة الخولي

لانفع للموسيقا ان لم تكن قريبة من الشباب ـ عصب الحياة ـ يتأثرون بها ويؤثرون ، فيضيفون اليها من نبض حياتهم انغاما تطبعها بطابعهم .

اما موسيقا الكبار فقد هجروها وعزفوا عنها ، فماذا يريدون اذن ؟ وما السبيل الى ارضائهم وجرهم إلى الاستماع ، ومن ثم ممارسة التأثير عليهم من خلال مايسمعون ؟

دبت الحيوية فجأة في القصر التاريخي القديم بمدينة فايكرزهايم الالمانية الصغيرة حين تقاطرت عليه وفود الشباب والشيوخ من الموسيقيين ـ فنانين وباحثين ومعلمين ـ ومن علماء الاجتماع والكتاب والصحفيين ومسئولي الموسيقا في الاذاعات ليشتركوا في الندوة الدولية التي عقدت في تلك المدينة للبحث في دور الموسيقا في تطور الشباب تلك الندوة التي أعلن عنها ضمن الاستجابات الموسيقية المهمة لروح العام الدولي للشباب .

الموسيقا في العام الدولي للشباب

ولعل هذه الندوة ، التي طرحت موضوعا جوهريا تستمد أهميتها الخاصة من ندوة الانشطة الفكرية على الساحة الدولية في العام الدولي للشباب ، اذا ماقورنت بالانشطة والعروض واللقاءات الموسيقية الفنية ذات الطابع العملي .

فقبل ذلك بأسابيع قليلة ، حشد الاتحاد الدولي للشباب الموسيقي أوركستراه السنوي الدولي للشباب في أوسع جولة قام بها مند ربع قرن ، حيث عزف في كندا ثم اليابان وكوريا . وفي شهر يولية من هذا الصيف انعقد في كندا أكبر مؤتمر للشباب الموسيقى الدولي ، وقدم فنانون ومجموعات مختارة من الموسيقيين من كل أنحاء العالم ، واشتركت فيه مصر بمجموعة فريدة من عازفي الوتريات ، انتزعت الاعجاب بعزفها المتقن للموسيقا العربية التقليدية ،

وللموسيقا الغربية في آن واحد .

وفي غمرة هذا النشاط الفني الواسع ، لم تشغل قضايا الموسيقا والشباب حيزا ملموسا يتكافأ مع المشاكل الجديدة المعقدة التي تواجه شباب اليوم في تناوله للموسيقا ، كما تواجه الموسيقيين والمربين الموسيقيين في تعاملهم مع الشباب . وبصفة عامة فان نصيب الدراسات المحيطة بالموسيقا والشباب كان محدودا في هذا العام .

طابع مميز

انعقدت الندوة من ٢٦ الى ٣٠ أغسطس في مدينة فايكرزهايم ، التي يقع فيها مقر الشباب الموسيقي الالماني ، والتي شيد فيها حديثا « بيت الموسيقا » ، ليكون مكانا لاقامة الشباب الذين يحضرون لهذه المدينة طوال العام ، ليشاركوا في الدورات والدراسات الموسيقية المتنوعة ، سواء من المانيا أو من البلدان الأوروبية وغير الأوروبية (وقد شارك في هذه الندوة مندوبون عن المانيا الشرقية ، والغربية ، وبلجيكا ، والمجر ، والنمسا ، واليونان ، وبولندا ، وكندا ، والولايات المتحدة ، ومصر . غير أن الطابع الغالب عليها والذي جعلها تنفرد بين مثيلاتها من الندوات الدولية ، حتى ندوات الشباب الموسيقي » - هو طغيان عنصر الشباب ، وأقصد بهذا ، الشباب تحت سن الثلاثين ، بل حتى تحت سن الخامسة والعشرين ، فقد حضر الندوة وشارك في أعمالها عدد من الطلاب الألمان ، من الجنسين ، وكانوا يمثلون مراحل العمر المختلفة ، فمنهم طلاب بالتعليم الثانوي ، ومنهم طلاب بالتعليم الجامعي ، ومنهم طلاب متخصصون في الموسيقا . وكادت نسبة الشباب الحاضرين أن تصل الى النصف . وهذا ما أضفى على ندوة فايكرزهايم جوا خاصا ، أكد معنى « الشباب » كما أنه أطلعنا عن شيوخ الموسيقيين من كل التخصصات على وجهات نظر الشباب في أمور بالغة الأهمية ، تتصل بمفهوم الموسيقا لدى هذه الأجيال الجديدة ،

وقد قسم عمل الندوة الى أربعة محاور رئيسية تتناول كل منها جانبا من جوانب البحث ، لتحديد مفاهيم ومواقف الشباب ، سعيا الى التوصل الى فهم أعمق وفاعلية أكثر للموسيقا في تنمية الشباب .

وكانت المحاور التي دار حولها عمل الندوة : -

- العروض الموسيقية المتخصصة المتاحة للشباب في مجالات عامة .
- وظائف الموسيقا وقيمتها من وجهة نظر الشباب .
- الفرص المتاحة للمؤهلات الموسيقية .
- الموسيقا في العلاقات الدولية

وقد خصص لكل واحد من هذه الموضوعات الرئيسية يوم كامل ، وذلك بعد يوم الافتتاح الذي خصص للتسجيل والتعارف وبعض الترفيه الموسيقي . ونظم العمل على أساس تقديم البحوث في الفترة الصباحية وحينما كان في الوقت متسع كانت تناقش بعض الأسئلة حول النقاط المثارة في البحوث ، بينما كانت الجلسات الرئيسية للندوة وقفا على المناقشات التي يثيرها الشباب وعلى العروض المرئية والمسموعة التي توضح المسائل التي تم عرضها في الندوة ، مثل عروض الفيديو أو الأفلام أو الاداء الموسيقي للشباب من أعضاء الندوة وغير ذلك . أما الأمسيات فكانت كلها مخصصة تماما لعروض موسيقية تولاها الشبان ، الذين شغلوا في دراسات موسيقا الحجرة تحت اشراف نخبة من الأساتذة الدوليين ، وكان الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله تلك الدراسات العملية هو : « **من مصادر يوهان سباستيان باخ : موسيقا الحجرة عبر ثلاثة قرون** » وكانت الحفلات الموسيقية على أعلى مستوى من الاتقان والجودة ، رغم أن أعضاء المجموعة الواحدة ، كالخماسي أو التساعي لم يجتمعوا للعزف معا الا في هذه الفترة في فايكرزهايم ، ومع ذلك حققوا اندماجا فنيا رفيع المستوى . وكان وقع هذه الحفلات الموسيقية أكثر عمقا ، حيث كانت تقدم في « قاعة الفرسان » الفخمة في قصر فايكرزهايم التاريخي الشهير ، الذي يفد السائحون من كل أنحاء أوروبا لزيارته وزيارة تلك القاعة الذهبية بالذات

عروض موسيقية متخصصة

قام د . مايكل يينه ، رئيس الشباب الموسيقي الالماني ، ومعظم المشتركين في الندوة بافتتاح العمل فقال : اننا أردنا أن يكون هذا لقاء مفتوحا حول

الموسيقا والشباب ، وقد طلبنا من المتحدثين أن يجعلوا بحوثهم مبسطة وواضحة ، وان يبتعدوا عن الأفكار النظرية العامة قدر الامكان .

وتولى ادارة النقاش في ذلك اليوم د . هلموث لوس ، وعاونه عالم اجتماع ألماني آخر اسمه / برنهارد ماير ، وكان على قائمة المتحدثين خمسة أسماء من ألمانيا الاتحادية وألمانيا الديمقراطية والولايات المتحدة .

وأهم ما ناقشته بحوث المسئولين الألمان (الغربيين) عن الاذاعات الألمانية أن هناك تحولا جوهريا قد حدث في مفهوم « الموسيقا » في نظر الشباب الالماني ، وأن تلك الاذاعات تعمل في اطار هذا المفهوم الجديد وتكريسه ، ولعلها تضيف اليه أبعادا جديدة .

ولسنا هنا بصدد الحكم على أي من المفاهيم أو الاتجاهات السائدة حاليا حول فن الموسيقا في ألمانيا بالذات ، ولكننا استمعنا الى أحد علماء الاجتماع الالمان ، وهو يقرر أن الموسيقا في نظر الشباب هي ـ أساسا ـ الموسيقا « الترفيهية » بكل أنواعها ، ومن الضروري هنا أن نوضح مايستخدمه هذا المقال من اصطلاحات : فمعنى كلمة « الموسيقا الترفيهية » هنا هو النظير المقابل « للموسيقا الفنية أو الكلاسيكية » أي أن لفظ الموسيقا الترفيهية يشمل كل الأنواع المختلفة ، من الموسيقات الخفيفة التي تتميز بالوقع السريع ، وهذا يضم موسيقا الجاز والبوب والروك وغيرها ، وهي موسيقا تعتمد أساسا على الآلات الكهربائية ، ويلعب المكرفون دورا جوهريا في احاطتها بالجو النفسي الملائم وبالصوت الجهير ، بما يجمع بين المؤدين والجمهور برباط نفسي وثيق في جو تلقائي صاخب ، منطلق ، لاتحيطه قيود الاستماع الموروثة في قاعات الموسيقا الفنية الكلاسيكية ، ومايحف بها من تقاليد وقيم فنية خاصة .

موسيقا الشباب

وقد أثار عدد من القائمين على برامج الموسيقا في الاذاعات الالمانية قضية برامج « موسيقا الشباب » وأوضحوا أنه ليست هناك موسيقا فنية كلاسيكية تصلح للشباب (أو لشباب هذه الاجيال في أوروبا) ولذلك فليست هناك برامج موسيقية موجهة للشباب بخاصة ، وكل مافي الأمر أن أغلب المنظمين يحرصون على تحين الفرص ، لادخال العناصر التثقيفية فى اطار برامج موسيقية يغلب عليها عنصر الترفيه ، وهذا هو ما يطلقون عليه « برامج الشباب الموسيقية » .

وتحدث مندوب المانيا الديمقراطية أولريش باك أوفين ، عما يقدم فيها من الموسيقا وفنونها للطلبة والشباب ، غير أنه كان حديثا ابتعد عن الموضوعية والحيدة الضرورية في مثل هذه المحافل العلمية ـ فهو قد لجأ سياسيا لالمانيا الغربية منذ أقل من عام ، وحصل على جنسيتها ، ولذلك جاء تمثيله لألمانيا الشرقية غير منطقى ، وكان حديثه عنها مغلفا بكثير من السخرية ، ولم يكن اعتراضه الجوهري على كم أو نوع الموسيقا الذي يقدم هناك للشباب بل كان منصبا بالطبع على الاطار العقائدي الذي تقدم فيه هذه الحفلات ، وعلى المعاني السياسية التي تجد طريقها اليها دائما .

وأظنه كان سيقنع المستمعين بوجهة نظرة بشكل أكثر تلقائية ، لو أنه تجنب التعريض بموطنه الأصلي . . وهكذا جاءت إضافته للندوة سلبية في محصولها وبعض أثرها ، وان كانت قد فتحت أذهان بعض المحايدين من الحاضرين على الكم الكبير والتنويع الهائل في أنواع العروض الموسيقية التي تقدمها ألمانيا الشرقية لطلاب المراحل التعليمية المختلفة بانتظام ، وتوفرلهم السبل لحضورها بعناية بالغة .

وكانت جلسة بعد الظهر مجالا لمناقشات الشباب ، حول ماقدم في الصباح ، وطرحت ارآء الشباب الألماني فيما يقدم لهم من موسيقا ، واتضح أن هناك شكوى عامة من ضيق المجالات أمام فرق الشباب الموسيقية ، وان الصلات بين المؤسسات الرسمية الموسيقية في ألمانيا وبين الشباب ضعيفة ومفككة ، وان الاعلام عن الحفلات الموسيقية بكل أنواعها ضعيف جدا ، وان كان هناك اعتراف بأن حرص الشباب على معرفة التفاصيل عنها ضعيف أيضا وأثاروا غلاء ثمن التذاكر ، وعدم وجود نظام الاشتراك فى الحفلات الموسيقية ، ويبدو أن المناطق التى تبذل اهتماماً موسيقياً خاصا بالشباب انما تفعل ذلك من منطلق سياسي .



قاعة الفرسان بقصر فايكرزهايم التاريخي الذي عقدت فيه جلسات الندوة الدولية حول الموسيقا وتنمية الشباب

وكان اليوم الثاني مخصصا لبحث« **وظائف الموسيقا وقيمها من وجهة نظر الشباب** »بينما كان البحث في اليوم الثالث في موضوع « **الفرص المتاحة أمام المؤهلات الموسيقية** » وكان المتحدثون فيهما جميعا من الألمان . وقد اتخذت الدراسات الخاصة « بوظائف الموسيقا وقيمها » صورة أقرب للحوار العام ولدراسة آراء الشباب دراسة علمية المنحى ، ولكن في نطاق ضيق وذلك عن طريق استبيان أعدته مجموعة أعضاء من الشباب الموسيقي الألماني ولخصوا فيه أهم الأسئلة التي تدور في الأذهان ، والتي تستطيع اجاباتها ان تنير الطريق ، لفهم وجهات نظر الشباب في وظيفة الموسيقا في حياتهم وعلاقتها بالاسرة وبالهواية ، والى أي حد يتأثر الشباب بأذواق آبائهم في الموسيقا ، سلبا وايجابا ، وماهي طبيعة المتعة التي يستمدونها من موسيقاهم المفضلة ، وكم عدد مرات ترددهم على حفلات الموسيقا بأنواعها الترفيهية والجادة ، كما خصصت بعض الأسئلة لعلاقة الشباب بالمسرح

وقد كان هناك بعض التداخل بين بحوث المحورين الثاني والثالث ، ولذلك نعرض لأهمها هنا ، حيث قدمت فيها بحوث جادة غلب عليها الاتجاه العلمي والاحصائي ، وتناولت جوانب تهم كل المشتغلين بالتربية والثقافة الموسيقية .

وسنبدأ هنا عرضا موجزا لبحث قدمه هاينز جنبريس من برلين ، عن « **الاستعداد الموسيقي والنمو الفردي** » وقد ناقش فيه جنبريس قضية الموهبة الموسيقية ، وهل هي موروثة أو مكتسبة ؟ وهي قضية لم تحسم بعد ، ولكن هناك شواهد عديدة تدل على أن عنصر الوراثة يلعب دورا في المواهب الموسيقية ، ومن أشهر الأمثلة لذلك أسرة باخ ، التي امتدت فيها المواهب الموسيقية مايقرب من قرنين كاملين ؟ واستشهد في ذلك برسم لشجرة عائلة باخ - ثم هناك أسرة موتسارت (الأب والابن والأخت) . وقد كان فرانسيس جالتون من أوائل المحبذين لفكرة الموهبة الموروثة ، اذ جمع أسماء ٩٧٩ من مشاهير الموسيقيين

ممن كان آباؤهم يتمتعون باستعداد موسيقي ليدلل على نظريته

وخلال المناقشات حول هذا البحث أثارت مندوبة مصر قضية « الاستماع المطلق » باعتبارها مفهوما أوروبيا بحتا ، ولاينطبق على الحضارات ذات الموسيقا غير العربية ، اذ ان « الاستماع المطلق » للطبقة مرتبط أساسا بنظام السلم المعدل وبالآلات الغربية الثابتة ، أما في الشرق فان مفهوم الطبقة الصوتية ليس ثابتا ثبوتا مطلقا ، فقد كانت الآلات الموسيقية في التخت الشرقي الى عهد غير بعيد ، تسوى اما تبعا للطبقة « الصغيرة » أو للطبقة الكبيرة » - وذلك تبعا لصوت المغني الذي يصاحبه التخت ، ومن هنا تبدو الحاجة الى التوصل الى تعريف دولي شامل لمعنى « الاستعداد الموسيقي والموسيقية الطبيعية تعريفا لايصطدم بتقاليد حضارات موسيقية أخرى ، كما أن اختبارات الاستعداد الموسيقي نفسها بحاجة لمراجعة أساسية عند تطبيقها على أطفال البلاد العربية ، التي تقوم موسيقاها على خط لحني مفرد « ميلودية » ولموسيقاها أبعاد خاصة تميزها عن الموسيقا الغربية ، ولذلك فنحن بحاجة لدراسات عميقة لتطوير اختبارات الاستعداد الموسيقي تطويرا أساسيا ، لكي تلائم الأطفال في منطقتنا العربية حسميا وفنيا ، وهو مابدأت به بعض البحوث ، بواسطة المتخصصين في التربية الموسيقية في مصر حاليا

الشباب وصناعة الموسيقا

كان بحث الدكتور / هانس باستيان عن « تراجم الموهوبين موسيقيا » ذا طبيعة احصائية لم تغفل الجوانب الانسانية وهو بحث ميداني لدراسة نوابغ الشباب ، ممن تقدموا للمسابقات الموسيقية الألمانية السنوية المسماة Jugend Musiziert « وأقرب ترجمة عربية لها هي الشباب يصنع الموسيقا أو الفائزين في هذه المسابقات ، وهدفه أن يتتبع بدقة عن طريق الأحاديث المباشرة مع الموهوب (وبعيدا عن الأبوين) ، أهم التجارب في حياته الموسيقية ، وأثر التفوق الموسيقي على حياته ، ونظرته للحياة وكيفية تداخل التفوق الموسيقي ، وتأثيره على نموه في نواح أخرى من الشخصية ، وماقد يترتب على ذلك التميز الموسيقي من اهمال لبعض جوانب الثقافة ، أو الشخصية لدى الشباب الموهوب

وحرص البحث على معرفة نقطة البداية للدراسة الموسيقية ، وهل هي بتأثير الأسرة أو المدرسة ، أو بتأثير نموذج شهده وأراد أن يحتذيه ؟ وماهي أهم التجارب المؤثرة في المدرسة ، وماهي تجاربهم في معاهد الموسيقا ، وكيفية قضائهم لأوقات الفراغ ، وعلاقاتهم بأصدقائهم وصلاتهم بوسائل الاعلام - وماهي أحلامهم وطموحاتهم للمستقبل ؟ كما امتد البحث كذلك لدراسة الأطفال ذوي المواهب الموسيقية الخارقة ، وأثر المواهب على طفولتهم ونمو شخصياتهم

وقد جمع فريق الباحثين سبعين حديثا من مناطق مختلفة مع الفائزين في هذه المسابقات ، وتم تقسيم الأحاديث حسب مراحل العمر ، واستكملت بأحاديث مع الأبوين ، ثم تم تفريغ هذه البيانات وبرمجتها بواسطة الكومبيوتر كمرحلة أولى ، وتجيء بعدها مرحلة التحليل الاحصائي وكل هذا أملاً في التوصل الى أفضل الوسائل لرعاية المواهب الموسيقية وتعليمها موسيقيا ولتصحيح الأخطاء التربوية ، واقتراح السياسية الثقافية والتربوية المثلى في هذا المجال،وهذا المشروع ترعاه وتموله وزارة البحث العلمي الألماني

وكان اليوم الاخير من أيام الندوة أكثر دولية من الأيام السابقة اذ قدم فيه دنيس هاميل من كندا بحثه عن « تأثير الوسائل البصرية على التذوق الموسيقي لدى الشباب ، وقدمت ان مامروت من بولندا ورقة عن « التنشيط الموسيقي في نطاق موسيقا البوب » كما ألقت آن باندان من بلجيكا موضوعا عن « الشباب الموسيقي الدولي وخبرات اللقاءات الدولية »

بحث مثير للجدل

وقد اثار بحث هاميل جدلا كبيرا ، وبذلك يكون قد نجح فعلا في اثارة اهتمام الحاضرين ، وقد بدأ بحثه بتقرير حقيقة توصل اليها احصائيا في دراسة حول اتجاهات شباب المدارس الكندية ، من سن ١٢

الى ١٦ سنة فقد اتضح له أن أغلبية كبيرة منهم « مضادة » للموسيقا الكلاسيكية ! وحتى القلة التي تحبها فانها لاتجاهر بهذا الرأي احتراما للاغلبية ، وتبين من بحثه عن أسباب عزوف الشباب الكندي عنها الأسباب الاتية : انها طويلة أكثر مما يجب - ليس لها ايقاع (ويقصدون النبض المحدد القوى) - وأنها مرتبطة بالماضي وبالارستقراطية (ولعل بعض الاعلانات التليفزيونية تعين على تأكيد هذه الصورة) - انها مركبة والآلات فيها متعددة والاصوات (أي النغمات) متشابكة الخ . . .

وهكذا تأكد له أنه لابد أن يجد منفذا لعقول وآذان هذا الشباب بوسائل أخرى غير تقليدية ومن ذلك طريقة أستاذه الامريكي : سول فاينبرج التي كان يسميها مسودات للفهم الموسيقى » وهي تعتمد على قيمة العنصر المرئي في التربية الموسيقية .

فقد قام هاميل باعداد رسم ايضاحي لنوته حركة من السيمفونية الخامسة لبتهوفن ، ألغي فيها استخدام المدرج الموسيقى للتبسيط ، ورسم النوتات الموسيقية المرتفعة الطبقة لأعلى ، والمنخفضة الطبقة الأسفل ، وبدلا من كتابة أسماء الآلات كما في المدونة الموسيقية ، كان يرسم الآلات الموسيقية نفسها ثم يبين ارشادات الأداء للشدة واللين ، برسم النوتات متدرجة في أحجامها للدلالة على ذلك . وكان يحرص على رسم نوتات كل لحن رئيس بلون معين ، ويحرص على المحافظة على نفس الرمز لنفس اللحن طوال القطعة ، ، وعرض هاميل هذا الرسم بالفانوس السحري ، مصحوبا بالاسطوانة ، ووقف بين الصورة والشاشة وأخذ يشير بأصبعه اشارات ايقاعية ، تدل على المسار الموسيقي ليتسير متابعة الرسم الايضاحي للنوتة . وقال انه وجد هذه الطريقة ناجحة في اكتساب عادات سمعية جديدة ، حيث استمع الطلبة الى هذه الموسيقا سبع أو ثماني مرات دون ضجر ، وكانوا هم أنفسهم يشاركون في الاشارات على الرسم التوضيحي ، وبذلك حقق هدفه الاساسي وهو خلق الألفة بينهم وبين هذه الموسيقا .

وفي محاولة لتقييم أثر هذه الطريقة طلب منهم كتابة آرائهم ، فكتب بعضهم انه أصبح أكثر تقبلا لهذه الموسيقا وآخر : أنه الآن لايغضب اذا استمع والده لهذه الموسيقا ، وكتب ثالث : انه قد غير رأيه في الموسيقا الكلاسيكية ، ووجد أنها تستحق الاهتمام الخ . . و أشار هاميل الى أنه طبق ذات الطريقة على عدد من الأعمال الكلاسيكية والرومانسية والتأثيرية ، وأنه يسعى الآن إلى تحقيق مرحلة أعلى بتطبيقها في مجال الفيديو) وكان محور الجدل أن كثيرين رفضوا مبدأ تقديم « هيكل عظمي » للموسيقا ، كبديل لدروس التذوق والاستماع الحقيقية ، كما أن بعض الحاضرين رأوا أن اشارات الاصبع التي يتابع بها هاميل الموسيقا على الرسم ، تبدو مثيرة للضحك . . . وقامت مقارنات بين ماهو متبع في بعض المدارس من مصاحبة الموسيقا ، بعزف الطلبة لأحدى الآلات السهلة ، ولتكن من الآلات الايقاعية ، كوسيلة لتحقيق نوع من المشاركة الايجابية من الطالب ، تعينه على الاقتراب من الموسيقا وتذوقها بشكل أفضل ومهما يكن فقد كانت اضافة طريقة للندوة ، ولعلها تحتاج لتطوير واستكمال لكي تحقق أغراض التذوق الموسيقى تحقيقا أكثر اقناعا .

وبعد . . فقد أردت أن أقدم صورة قريبة لواقع الندوة لكي أقرب نصها وفكرها الى القارىء ، لكن في النهاية كان هناك شعور بأنها لم تكن ندوة « دولية » بالمعنى الحقيقي للكلمة ، شغلت الموسيقا غير الأوروبية حيزا ضيئلا جدا فيها ، وذلك من خلال المناقشات وحدها لأن معظمي الندوة لم يخطروا المدعوين اليها بموضوعات البحث الرئيسية ، ولم يطلبوا اسهامهم في طرح القضايا المثارة عن الموسيقا ودورها في تطور الشباب من وجهة نظر مجتمعاتهم وتجاربهم التي كان يمكن أن تضيف للندوة ثراء حقيقيا ، سواء بالبحوث والدراسات من بلاد وحضارات مختلفة او بالمعلومات الاحصائية والاستبيانات التي تفيد في استجلاء ومقارنة مواقف الشباب من الموسيقى على مستوى العالم المتحضر على اتساعه ! . . ورغم ذلك فقد كانت أياما شيقة وحافلة بالمتعة الموسيقية ، وخصوصا في الحفلات اليومية التي استمعنا اليها من نخبة من الشباب ، من أصحاب المستويات الفنية القيمة ، والأمل أن يكون الحضور العربي في مثل هذه الندوات الدولية أعمق وأوسع ، لكي تتحقق الفائدة التي تعقد من أجلها ، ولكي تأتلف الأفكار والقلوب حول الموسيقا . □

أول محطة إذاعة تعمل بالطاقة الشمسية

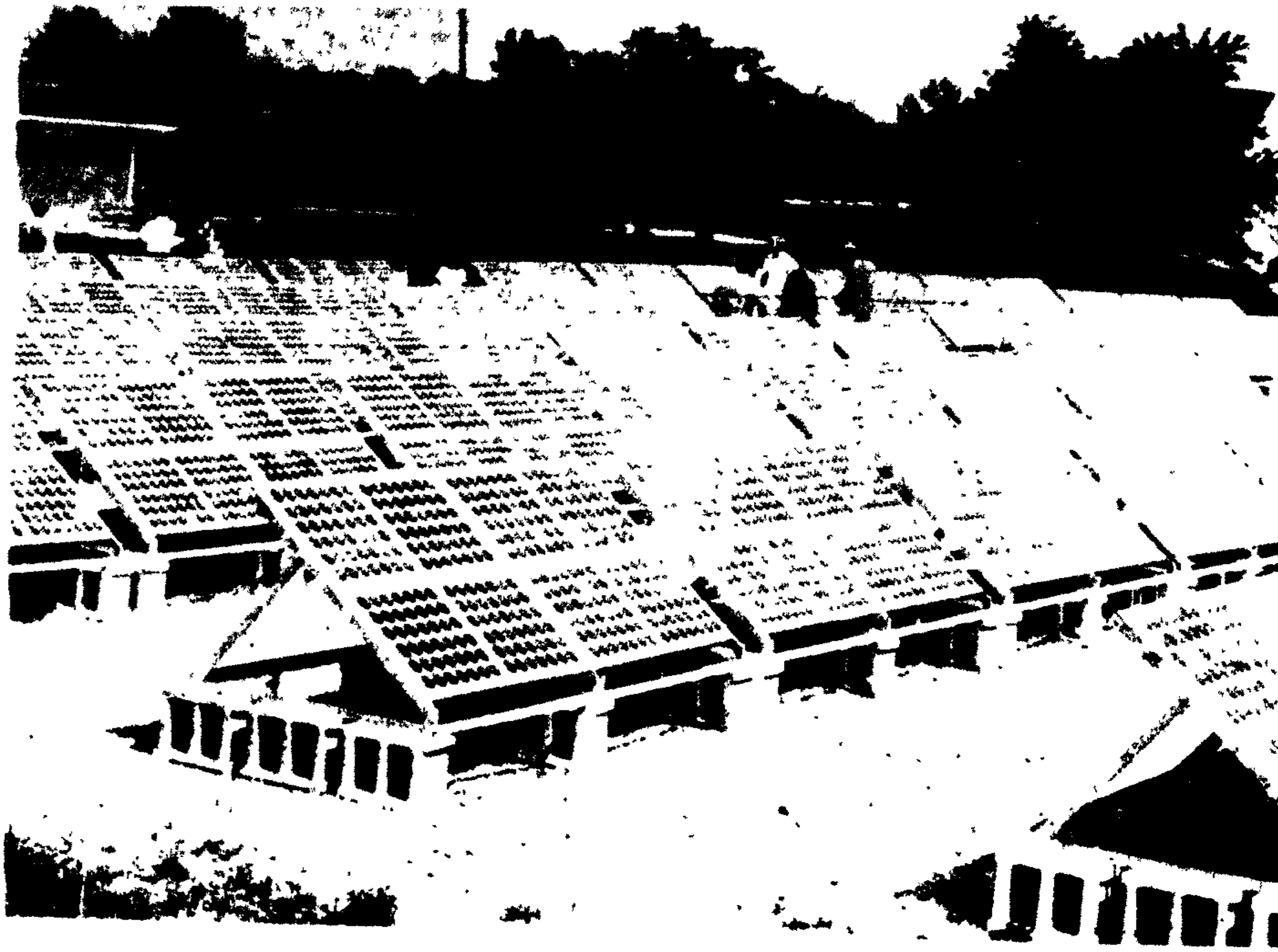
بقلم : الدكتور مظفر صلاح الدين شعبان
جامعة حلب ـ كلية الهندسة

الشمس متوارية عن الأنظار في كبد السماء ، وراء حجاب من الغيوم ، التي تظلل المنازل الريفية والمزارع في شمال غرب ولاية اوهايو الامريكية ، والمنطقة غزيرة الأمطار صيفا ، بينما تغطي أرضها في الشتاء طبقة سميكة من الثلوج ولا يتمالك الانسان نفسه من الشعور بالحيرة الممزوجة بالاستغراب عند سماع مذيع احدى المحطات المحلية يقول : « هنا بلد الشمس » ! فهذه هي المحطة الاولى في العالم التى تتغذى « بطاقة الشمس » وحدها ، دون الاعتماد على أي شكل آخر من مصادر الطاقة .

افتتحت محطة (بريان) بثها الاذاعى في ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٧٩ م ، وتستمر في الارسال يوميا من الفجر الى الغسق ، وتستمد القدرة اللازمة لتشغيل جميع أجهزتها (٥٠٠ وات) من خلايا شمسية تحول ضوء الشمس مباشرة الى كهرباء .

الطاقة الشمسية :

تعتبر الشمس أصل معظم مصادر الطاقة الأرضية قاطبة ، فبفضل الشمس تتبخر مياه المحيطات والبحار ، وبفعل فروق الحرارة الشمسية تهب الرياح التي تسوق الغيوم ، لتتساقط بشكل أمطار تغذي



محطة اذاعية تعمل بالطاقة الشمسية في ولاية اوهايو الأمريكية حيث الشمس هي المصدر الوحيد لبث البرامج في اذاعة برياں

لأنهار السدود المقامة على الانهار تزودنا بالكهرباء المائية

كذلك فقد ظلت النباتات على سطح الارض تتاغى أشعة الشمس طوال ملايين السنين . ونتيجة للتسخين البطيء والضغط ، تحولت هذه النباتات الى فحم ونفط وغاز طبيعي ، تمثل حوالي ٩٥ بالمائة من مصادر الطاقة التي يستخدمها انسان العصر الصناعي .

كمية الطاقة الشمسية الواصلة الى الارض ضخمة جدا ، تفوق حدود التصور البشري : ما تستقبله الارض خلال أسبوعين فقط يكافىء مجموع احتياطيات الفحم والنفط والغاز ، أو يزيد .

البدء بتسخير طاقة الشمس شكّل أساس تطور الحضارة . وقد تمثلت نقطة الانعطاف في الاعتماد على أشكالها غير المباشرة (طاقة الماء ، وطاقة الرياح) كقوة دافعة لانجاز أعمال ميكانيكية . كذلك فقد اقتصر الأمر في العصور اللاحقة على التطبيقات « البسيطة » لاستئناس طاقة الشمس .

بعد هبوب رياح أزمة الطاقة في عام ١٩٧٣ ، تم عقد الآمال على ثلاثة مصادر عملاقة للطاقة هي : الطاقة الشمسية ، وحرارة باطن الارض الجوفية ، ومفاعلات الاندماج النووي .

تتميز الطاقة الشمسية بكونها مصدرا « مجانيا » للطاقة ، وبامكانية تحويلها « مباشرة » الى كهرباء ، وهي أنبل أشكال الطاقة ، لنظافتها وسهولة نقلها وامكانية تحويلها الى معظم أشكال الطاقة الأخرى ، مما يجعلها متعددة أوجه الاستخدام في مختلف أنشطة الحياة من مساكن ومصانع وغيرها . .

الكهرباء الشمسية :

أدت البحوث المكثفة في مجالات الصناعة الالكترونية وريادة الفضاء الى انتاج أول « خلية شمسية SOLAR CELL » تحول طاقة الشمس

« ماشرة » الى كهرباء في مختبرات شركة بل الأمريكية في عام ١٩٥٤ م

تصنع معظم الخلايا الشمسية بشكل دوائر صغيرة قطر كل منها يقارب « ٢ سنتيمتر » توصل مع بعضها في لوحات تقدر استطاعتها بعدة آلاف من الواط ، بينما لا تتجاوز سماكتها بضعة اجزاء من الألف من المليمتر. معظم الخلايا يصنع من عنصر السيليسيوم كثير الوفرة في الصحارى ، والسواحل الرملية. لكن توليد الكهرباء بهذه الطريقة يتطلب انتاج بللورات كبيرة ، شديدة النقاوة من هذا المعدن ، يتم قصها بطرق أقرب الى اليدوية ، مما يجعل تكلفة الكهرباء المولدة بواسطة الشمس

ولهذا السبب فقد اقتصرت الاستخدامات الأولى للخلايا الشمسية على الأقمار الصناعية. وفي عام ١٩٧٣ بلغ عدد الاقمار الصناعيه الامريكية المزودة بخلايا شمسية ٦٠٠ والسوفياتية ٤٠٠ قمر صناعي. عمل هذه المولدات بدون عناصر تشغيل ، جعلها تستخدم في بعض المناطق النائية مثل تشغيل المنارات وبعض الأهداف العسكرية وغيرها

الا أن ارتفاع أسعار النفط واقتراب نضوبه ، جعل عددا كبيرا من الحكومات والشركات الخاصة يفكر جديا باستثمار طاقة الشمس المجانية ، بطرق مختلفة ، بغية التأكد من النتائج مسبقا ، قبل التوسع في استخدام طريقة ما على نطاق تجاري واسع

أول اذاعة شمسية :

هنالك مشاريع عديدة من هذا النوع يهدف بعضها الى الاستفادة « عبر المباشرة » من طاقة الشمس. ففي جنوب ايطاليا تم بناء « محطة توليد شمسية » يقوم فيها عدد هائل من المرايا بتجميع الضوء المنعكس في بقعة واحدة ، بغية تسخين الماء فيها وتحويله الى بخار يقوم بدوره بدفع زعنفة بخارية تدير مولدا كهربائيا. وفي الصحراء الاسبانية هنالك مشروع آخر يختبر طريقة أخرى. يحصر الهواء في مساحة واسعة تحت رقيقة من اللدائن (البلاستيك) الشفافة. يسخن الهواء فيرتفع ضغطه فيتسرب الى الخارج عبر « المعد » الوحيد ، الذي وضعت فيه مروحة هوائية عملاقة ، تدور بالهواء الخارج ، لتدفع بدورها مولدا كهربائيا

لكن مشروع اذاعة (برياس) يتميز بتحويل طاقة الشمس « مباشرة » الى كهرباء من جهة ، وبأن طاقة الشمس هي مصدر الطاقة الوحيد لاذاعة تقوم بعمل فعلي. هو ... بث البرامج الاذاعية ولا يتم هدر الطاقة المولدة بشكل أو بآخر

تم تصميم محطة (بريبان) في معهد (ماساشوستس) للتقنية. وبلغت تكاليف المشروع ٣٠٠,٠٠٠ دولار تحملت معظمها وزارة الطاقة الامريكية ، ويتوقع استمرار تشغيلها طوال العقدين القادمين

النتائج الأولى كانت مشجعة للغاية. فقد تبين ـ على سبيل المثال ـ ان الخلايا الشمسية تمكنت من توليد كمية معتبرة من الكهرباء ، حتى حينما كانت مغطاة بغلاف من السحب والأمطار المنهمرة. ففي الأيام الستة الاولى من التشغيل بلغت حاجة المحطة ١٥٩ كيلووات من الكهرباء ، ولكن الخلايا أنتجت ١٧٠ كيلووات ، رغم سوء الاحوال الجوية وتكاثر العواصف الرعدية. ويتوقع الخبراء أن تنجح هذه الخلايا في تغطية ٨٠ بالمائة من الطاقة الاجمالية اللازمة لتشغيل المحطة على مدار سنة كاملة

لماذا وقع الاختيار على هذه القمة المغطاة دوما بالغيوم ؟ ترغب وزارة الطاقة الأمريكية في اختبار مبدأ الاذاعة بالاعتماد على الخلايا الشمسية تحت « أقسى الظروف » فاذا نجح ـ وهذا ما حدث ـ عندها يمكن تعميم المبدأ ـ بدون قلق ـ على المناطق الاخرى ، ذات الطقس الأفضل. وقد دفع النجاح المنقطع النظير لهذه الاذاعة الى التنبؤ باعتماد عدد متزايد من محطات الاذاعة والتلفزة على الكهرباء الشمسية في المستقبل ☐

تبصرت بالراحة الكبرى فلم أرها
تنال الا على جسر من التعب
(أبو تمام)

مفاهيم في أمراض الحساسية

بقلم الدكتور أنيس فهمي

ظلت أمراض الحساسية وقتا طويلا لغزا يحير الأطباء ، ويثير اجتهادات متناقضة ، وحتى اليوم ليس هناك من يستطيع الادعاء بأن هذا اللغز قد وجد حلا نهائيا ، ومع ذلك فان كيفية حدوث أمراض الحساسية أصبحت اليوم معروفة بشكل أفضل من الماضي فماهي اجراءات الوقاية وكيف يكون العلاج ؟

أصبح باستطاعة الأطباء الآن أن يتحققوا من ان ظهور بثور جلدية أو اكزيما أو ربو ، أو رمد في العينين أو زكام مزمن أو مفصل ، ناتج من اصابة الجسم بمرض من أمراض الحساسية أم لا

غير أن التقدم في التشخيص لم يجب عن الأسئلة الكثيرة التي تطرحها أمراض الحساسية ، والتي يمكن اختصارها على النحو التالي لماذا يصاب ١٨٪ من الناس حسب الاحصاءات الأخيرة بأمراض الحساسية تجاه بعض المواد ، في حين لا يصاب بها الآخرون ؟

ولماذا يوجد أشخاص لا يحتملون غبار نباتات معينة ، او وجود قط في المنزل او أكل السمك أو البيض ؟

اننا نجهل لماذا يصبح عنصر ما ، موجود بكثرة في الهواء أو في المواد التي نلامسها ، مسئولا عن عدد كبير من أمراض الحساسية في لحظة معينة وليس في لحظة أخرى ؟

ما هي الحساسية ؟

كلمة « حساسية » تعني حدوث رد فعل غير عادي في مواجهة مادة أو عنصر عادي جدا وغير

مؤذ ، وتسمى كل مادة مسببة للحساسية باسم « عامل الحساسية » . ولكى تتضح الصورة أكثر ، سنذكر بعض الأمثلة الشائعة لأمراض الحساسية .

طفل فى العاشرة من عمره يتمتع بصحة جيدة ، أصيب فجأة بأزمات حادة فى التنفس بلغت درجة الاختناق ، وكانت الأزمات تحدث له فى صباح كل يوم أحد . وعلى مدى أسابيع قام الطبيب باجراء استجواب دقيق لوالديه ، لمعرفة ما يحدث فى المنزل صباح يوم الأحد ، وقد اتضح بعد الاستجواب أن الأم تقوم فى هذااليوم بوضع باقة من الزهور بالقرب من سرير طفلها قبل أن يستيقظ من نومه ، وبعد الاقلاع عن هذه العادة الأسبوعية لم يعد الطفل يصاب بأزمات تنفسية .

طفل آخر يصاب بأزمات تنفسية كلما عاد والده الى المنزل بعد ممارسة رياضةركوب الخيل . وبعد أن قام الطبيب باستجواب والده طلب منه أن يخلع ملابسه ويستحم قبل مقابلة طفله ، وعندئذ اختفت نوبات ضيق التنفس عند الطفل ، لأن حساسيته كانت ناتجة من شعر الخيل العالق بثياب والده .

تجارب على الحساسية

هذه الحالات من الحساسية هى لحسن الحظ سهلة الاكتشاف ، ويمكن تحديد أسبابها وتلافى هذه الأسباب . لكن الأمور ليست دائما بمثل هذه البساطة ، سواء من ناحية التشخيص أو العلاج ، بل تستلزم فى معظم الحالات اجراء عدد من الاختبارات اللازمة لتحديد الأسباب وتحديد العلاجات التى تختلف باختلاف هذه الأسباب ،وهذه الحاجة الى الاختبارات تعتبر من الخصائص المميزة لطب الحساسية .

وكما حدث فى فروع الطب الأخرى ، فان التجربة سبقت المعرفة فى حقل أمراض الحساسية . ففى منتصف القرن التاسع عشر



الحساسية خلل في عمل الأجسام المضادة

اكتشف الانجليزى (بلاكى) أن حك بذور بعض النباتات على الجلد يسبب لدى بعض الأشخاص ردود فعل شبيهة بمرض الربو .

وفى عام ١٩١٠ مارس (جون فريمان و ليونارد نون) أول اختبارات جلدية للحساسية ، دون أن يتمكنا من تفسير سبب قدرةبعض المواد على احداث ما يشبه الالتهاب فى الأنسجة المخاطية .

وفى عام ١٩١٩قام الطبيب الأمريكى (ماكسيميليان راميريز) بوصف حالة مرضية فريدة فى نوعها ، فقد كان أحد مرضاه يصاب بنوبة ربو حادة ، كلما صعد فى عربة يجرها حصان ، أو كلما تنزه فى حديقةفيها خيول . وقد بدأت أزمات الربو لدى المريض بعد خمسةعشر يوما من تلقيه دما مأخوذا من شخص آخر لعلاجه من الأنيميا (فقر الدم) . وقد دهش راميريز عند ظهور أمراض الربو ، فبدأ بالبحث عن الشخص الذى أخذ منه الدم وأعطي لمريضه . وعند فحص هذاالشخص اتضح أنه يصاب هو أيضا بأعراض غير طبيعية عند ملامسة جلده لشعر الخيل ، فاستنتج راميريز من ذلك أن

الحساسية تنتقل بوساطة الدم . وبعد عامين أكدت تجارب أجريت فى النمسا والنرويج ، أن الجزيئات التى تنقل الحساسية موجودة فى الدم . هناك اذن شىء مافى الدم يحمل الحساسية ولكن هذا الشىء ظل غير محدد .

وعلى امتداد ثلاثين عاما بعد هذا التاريخ ، حاول الأطباء اكتشاف خصائص الجزئيات التى تحمل الحساسية دون جدوى . وفى الخمسينيات من القرن الحالى ولد علم جديد هو « علم المناعة » الذى أعطى دفعة قوية للابحاث فى أمراض الحساسية . وقد وضع الباحثون فرضا بأن الحساسية ناتجة عن اختلال فى جهاز المناعة ، لكن المشكلة زادت تعقيدا لأن جهاز المناعة هذا معقد جدا ، ولم يتم اكتشاف كل عناصره ومقوماته حتى اليوم .

تجارب ونتائج

وفى عام ١٩٦٧ ، وفى وقت واحد تقريبا ، تمكن العالم السويدى يوهانسون والزوجان الأمريكيان من أصل يابانى كيمشيج و تيركو ايشيزاكا من اكتشاف أنه توجد فى دم المصابين بالحساسية كمية فائضة من الأجسام المضادة ، التى تسمى أيضا كرات المناعة ،وهى أجسام تكون قليلة أو غير موجودة فى الجسم السليم ، وقد سميت هذه الاجسام (بالاميونوجلوبيولين إى) هذه الأجسام المضادة هى جزئيات صغيرةيتم صنعها فى الدم من قبل كرات الدم البيضاء ، كرد على وجود عنصر دخيل على الجسم . فاذا دخلت جرثومة ما فى الجسم ، فان كرات الدم البيضاء تقوم بالتعرف على هذه الجرثومة وتحديد هويتها ، ثم تقوم بعد ذلك بصنع الأسلحة المضادة المناسبة ، التى هى عبارة عن أجسام مضادة للجراثيم . وبعد القضاء على الجراثيم الدخيلة ، فان هذه الأجسام لا تختفى ، بل تنام فقط فى انتظار أن تعود الى العمل مجددا اذاعادت الجراثيم مرة أخرى . ولكن قد يطرأ على الجسم خلل ما ، يجعل هذه الأجسام المضادة تتحرك لمواجهة مواد غير جرثومية وغير سامة ، ويعنى ذلك أن الاجسام المضادة تخطىء فى تحديد عدوها ، وتصبح سببا فى احداث الاضطرابات بدلا من حماية الجسم .

ويشرح الطبيبان كيمشيج وتيركو ايشيزاكا كيفية عمل أجسام (الاميونوجلوبيولين إى) بالشكل الآتى : عند دخول الجرثومة للمرة الأولى الى الجسم ، تنتج الكرات البيضاء كميات هائلة من (الاميونوجلوبيولين إى) الذى تتجمع جزئياته التى قد تبلغ نصف مليون جزء على خلايا (الماستوسيت) ، التى هى نوع من الكرات البيضاء ، وجزء من جهاز المناعة ، وتقع على سطوح الجلد ، والغشاء المخاطى المبطن للجهاز التنفسى ، والامعاء وحول الأوردة الصغيرة . وتجمع جزئيات (الاميونوجلوبيولين إى) على سطح (الماستوسيت) يحفز هذه الأخيرة على اطلاق (الهستامين) والمواد الأخرى ، التى تسبب بدورها انطلاق الاجسام المضادة المحاربة والكرات البيضاء من الأوعية الدموية ، وخروجها منها لتدخل الى الأنسجة المصابة بالجراثيم .

وعندما تعود الجرثومة الى الجسم مرة ثانية ، فان أجسام (الاميونوجلوبيولين إى) تسبب بعد دقائق فقط من دخول الجرثومة ، أعراض التهاب على مستوى الأغشية المخاطية والأنف والعينين والجهاز الهضمى والرئتين والجلد .

لكن كما سبق القول تخطىء أجسام الاميونوجلوبيولين إى) فى تحديد عدوها عند المصابين بالحساسية ، فتطلق الهستامين والمواد الكيماوية المسببة لظهور أعراض الحساسية فى مواجهة مواد أو عناصر غير سامة . وتؤدى الاصابة بالحساسية الى حدوث ظاهرتين أساسيتين ، الأولى : هى ارتفاع قابلية الشرايين لامتصاص بعض المواد الموجودة فى الدم ،

ولفظها الى الخارج ، وهذايفسر سبب حدوث التورم . والثانية ، هي تقلص العضلات الملساء ، وهكذا تتقلص الشعب الرئوية ولا تسمح بمرور كمية كافية من الهواء ، وهذا ما يحدث فى أزمات الربو .

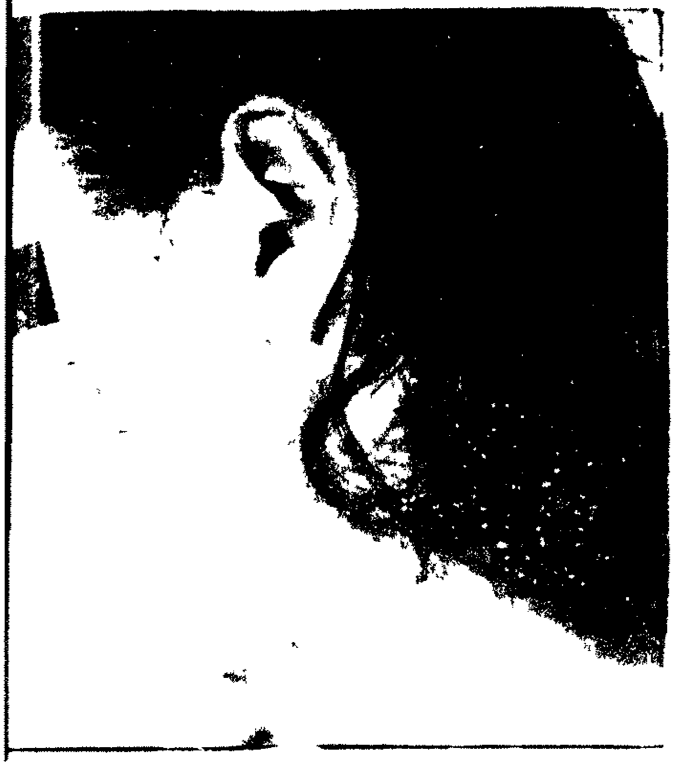
ويعتقد الباحثون أن الخلل فى عمل الأجسام المضادة يعود الى نقص فى نوعين من الكرات البيضاء ، هما الكرات المساعدة والكرات المانعة ، لكن أسباب هذاالنقص ما زالت بدورها غامضة .

وقد أدت معرفة كيفية عمل الأجسام المضادة عند المصابين بالحساسية الى تحسين الفحوص المعملية الهادفة الى كشف المواد المسببة للحساسية ، وأحد هذه الفحوص وأكثرها تقدما يقوم على أخذ عينة من الدم ، وقياس كمية الأجسام المضادة فيها ، وبعد ذلك يؤخذ مصل دم المريض ، ويوضع مع المواد التى يشك فى أنها تسبب الحساسية ، ومن خلال ردود فعل الأجسام المضادةيتم تحديد هذه المواد بشكل دقيق .

هذا على مستوى تشخيص الأسباب ، أما على مستوى العلاج فليس هناك حتى الآن حلول جذرية ، وغالبا ما يتجه العلاج الى الغاء المادةالمسببة للحساسية ، بسبب العجز عن القضاء على تأثيرها فى الجسم .

العلاج المضاد

وفى انتظار التوصل الى العلاجات الجذرية يستمر الأطباء فى تطوير طريقة العلاج المضاد ، التى ابتكرها الأمريكى (كوك) منذ أربع سنوات ، والتى تعتبر آخر الانجازات فى هذا المجال . وتقوم هذه الطريقة على مبدأ بسيط ، وهو مقاومة الداء بالداء . فاذا كان المريض مصابا بحساسية تجاه مادة معينة ، فان العلاج يقتضى اعطاءه كميات من هذه المادة نفسها مرة



لا حلول جذرية حتى الآن للحساسية

فى الأسبوع عند البداية ، ثم مرة كل أسبوعين ، ثم مرة كل شهر ، والهدف من ذلك هو تعويد الجسم على المادة المذكورة . وقد لاقت هذه الطريقة نجاحا بنسبة ٨٠٪ فى حالات الحساسة ضد الاعشاب ، و ٦٠٪ فى حالات الحساسية ضد غبار المنزل ، لكنها لم تؤد الى نتائج هامة فى اصابات الربو وبعض حالات الأكزيما .

على أنه يبدو أن العلاج بالابتعاد عن المواد المسببة للحساسية سيبقى هوالأساس ، الى حين التوصل الى كشف ميكانيكية الحساسية وأسبابها الداخلية .

اجراءات الوقاية

ينصح الأطباء بعدد من الاجراءات العملية التى يمكن لكل شخص أن يمارسها ، اذاما شعر بأن ردود فعله تجاه بعض المواد غير طبيعية . من هذه الاجراءات : الملاحظة ؛ ويعنى ذلك أنه

يجب على المريض أن يلاحظ بدقة مواعيد حدوث الحساسية ، وشكلها ، والغذاء الذى يتناوله ، والاشياء التي يلامسها ، والأماكن التى يرتادها . هذه التفاصيل ضرورية ، لان الحساسية تنتج أحيانا من أسباب لا تخطر على البال ، بحيث يصاب بالدهشة حين يعرفها ، فمن مايعرف أن الحساسية ضد الغبار ناتجه من وجود حشرة ميكروسكوبية فى الهواء تسمى « القراء »

واذا ماتأكد المريض من اصابته ، يجب عليه أن يستشير الطبيب ، ويزوده بجميع المعلومات التى جمعها . والى جانب فحص الدم الذى سبقت الاشارةاليه ، هناك عدد آخر من الفحوص والاختبارات الكفيلة بتحديد المواد المسببة للحساسية ، وأحد هذه الاختبارات يسمى « المربعات » ، وهو يقضى برسم مربعات صغيرة على الجلد ، توضع فى كل واحد منها نقطة من سائل يحتوى على مواد معروفة بأنها تسبب الحساسية ، مثل تراب المنازل ، والنباتات ، والمواد الكيماوية ، وشعر القطط ، أو الكلاب » الخ فاذا ظهر احمرار جلدى فى أحد هذه المربعات ، فان المريض يكون مصابا بحساسية تجاه السائل الموضوع فى ذلك المربع .

أما النوع الثانى من فحوص كشف الحساسية فيدعى « الشرائط اللاصقة » وهى عبارة عن مستحضرات من مواد مسببة للحساسية ، تثبت على الجلد بوساطة الشرائط ، ثم تنزع الشرائط بعد وقت معين ، ويفحص الجلد تحتها لمعرفة ما اذا كان ملتهبا أم لا . وهناك حاليا حوالى ثلاثمائة نوع من الشرائط المحتوية على مواد مختلفة ، منها النباتات ، والمواد المتعفنة ، وبعض المواد الغذائية ، أو الأنسجة الصناعية ، مثل النايلون .

واذالم تظهر على المريض أى ردود فعل بعد الفحص ، فيمكن عندئذ اللجوء الى طريقة الفحص المباشر ، القائم على دفع المريض الى ابتلاع المواد المشكوك فيها ،وهذا ما يحدث عادة للمرضى المصابين بحساسية تجاه بعض الأغذية .

ان هذه الفحوص كفيلة بكشف سبب الحساسية ، ويبقى على المريض أن يساعد طبيبه فى إنجاح العلاج ، وذلك بالابتعاد بقدر المستطاع عن مسببات الحساسية ، اذ أن نجاح العلاج يتوقف فى جزء كبير منه على المريض نفسه . □

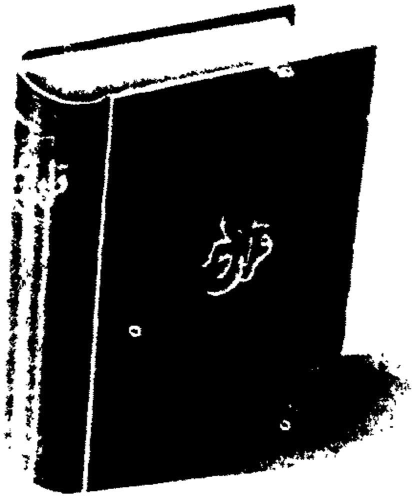
ابن ماجد وكتابه الفوائد



من أنفس الكتب التى ألفها البحار العربى « احمد بن ماجد » كتاب « الفوائد فى معرفة علم البحر والقواعد » ، والكتاب مكون من مائتى صفحة كل صفحة ٢٣ سطرا ، ويتضمن معرفة طريقة سير السفن فى البحر بمعرفة منازل القمر ومهب الرياح ومعرفة القبلة .

يقول ابن ماجد فى مقدمة كتابه : اعلم أيها الطالب أن لركوب البحر أسبابا كثيرة فأولها معرفة الشمس والقمر ، والأرباح ومواسمها وآلات السفينة ، وينبغى ان تعرف مطالع النجوم ومغاربها وطولها وعرضها ، وينبغى ان تعرف جميع البرور واشاراتها كالطين والحشيش ومد البحر وجزره ، وينبغى للمعلم ان يعرف الصبر من التوان ويفرق بين العجلة والحركة .

والحذر كل الحذر من صاحب السكان ، لا يغفل عنه ، وما صنفت هذا الكتاب الا بعد ان مضت لى خمسون سنة ، وما تركت فيها صاحب السكان وحده الا ان اكون على رأسه أو من يقوم مقامى .



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم حسين أحمد أمين

قال تعالى (وإنَّ من أهل الكتاب لَمَنْ يؤمن بالله ، وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم ، خاشعين لله ، لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا ، أولئك لهم أجرهم عند ربهم ، إن الله سريع الحساب) آل عمران ١٩٩ .

قال قتادة : نزلت فى نجاشي الحبشة ، وهو نصراني . وذلك أنه لما مات ، قال رسول الله ﷺ لاصحابه : اخرجوا فصلّوا على أخ لكم قد مات . قالوا : ومن هو ؟ قال : النجاشي . ثم صلّى النبي وكبر أربع تكبيرات ، واستغفر للنجاشي ، وقال لأصحابه : استغفروا له . فقال المنافقون : انظروا الى هذا يصلّي على حبشي نصراني لم يره قط ، وليس على دينه ! فأنزل الله تعالى هذه الآيات .

وقال مجاهد وابن جريج : نزلت الآية فى مؤمنى أهل الكتاب كلهم .

وقريب من هذا المعنى ماورد بالآية ٦٢ من سورة البقرة : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) وكذا بالاية ٦٩ من سورة المائدة .

ولايضاح هذا الموقف النبيل الذى وقفه رسول الله من مسيحى صالح ، نقول : ان الاسلام دين الله . وهو لم يظهر خلال القرن السابع الميلادي ، وانما منذ بدء الخليقة .

ذلك أنه حين خلق الله الكون ، قضى بأن تعمل قوى الطبيعة وفق انماط وقوانين شرعها لها . ولم يكن ثمة بد من اطاعة هذه القوى لتلك القوانين الى أبد الآبدين . هذه الأنماط والقوانين الطبيعية هي آيات الخالق . وبوسع كل من له عقل يفكر أن يفهم منها ، متى تأملها ، حكمة الله وعزّته .

كذلك فانه حين خلق الله الانسان ، وضع للحياة البشرية نمطا وقوانين ينبغى على الانسان اطاعتها والحياة على هديها . فقد شرع الله منذ البداية قواعد السلوك الواجب على المرء الالتزام بها تجاه خالقه ، وتجاه الناس من حوله ، ورسم له المبادىء كي تحكم تصرفاته وسلوكه الفردي والاجتماعى . ومع أن

الانسان ليس الا ظاهرة اخرى من ظواهر الطبيعة ، فهو يختلف عن سائر المخلوقات ، فى انه حرّ وذو وعي بذاته . ورغم أن الله حدد له ـ كما حدد لسائر المخلوقات-الطريق الأمثل للتصرف والسلوك ، فإن الانسان وحده هو الذي وُهِبَ القدرة على الاختيار ، بين انتهاج هذا الطريق وبين الحيدة عنه . فهنا اذن خير أبدى ، لكن الانسان حر فى تبنيه أو عدم تبنيه ، وهي مسئولية جسيمة .

ويكمن خطر هذه الحرية فيما يتهدد المجتمع البشري من التحلل و الفوضى ، متى كان اختيار الانسان غير سليم . كذلك فان الله قد وعد أولئك الذين يسيرون على الصراط المستقيم الجنة ، وأعد لغيرهم عذاب النار . ولم يشأ الله أن يترك البشرية دون هداية ، بصدد الطريقة المثلى للحياة والسلوك . فقد اطلع الانسان منذ البداية على قانونه الذي استنه له ، وحدد له مايجب أن يفعله ، ومايجب أن يتجنب فعله . وبذا فقد بدأ التاريخ البشري والانسان يدرى ماهية الخير والشر .

غير انه بمرور الوقت ضلّ وتعثّر . وأهمل الناس أو نسوا أو حرفوا الرسالة ، حتى الوقت الذي لم تعد البشرية تذكر فيه شيئا عن الشرع الالهى . فهجران الانسان للطريق السوي لم يصدر عن مجرد عصيان لارادة الله ، وانما جهل وتخبط وحيرة . وشاءت رحمة ربك أن يبعث برسول يشرح الرسالة من جديد ، وليفصح عن نفس المعانى القديمة للقانون الأزلى . . غير أن الناس بمرور الوقت أهملوها من جديد ، ومنهم من حرفها ، . . وتكررت الظاهرة عدة مرات فى عدة أقطار غير أنه بالرغم من تعدد الرسل كانت الرسالة دوما واحدة .

وقد حفظ القرآن لنا أسماء بعض هؤلاء الرسل ، ومن بينهم موسى وعيسى ، فأما رسالة موسى فقد أطاعها قوم ، ثم وقع بعضهم بعد ذلك فى خطأين :

الأول : أنهم حرفوا الكتاب المقدس .

الثاني : أنهم توهموا أن الرسالة الموجهة الى العالمين ، موجهة الى قومهم فحسب ، لا الى البشرية قاطبة .

لذلك فقد أرسل الله عيسى بن مريم ، كي يعود بالناس الى الطريق الحق . وقد فهم أتباعه من النصارى جيدا أن البشرية جمعاء هي المقصودة بالرسالة . غير أن بعضهم أخطأ إذ عبدالرسول دون مصدر الرسالة ، وركز اهتمامه عليه دون فحواها وتعاليمها ، وأكد جانب تقوى الفرد ، دون ضرورة السعي وراء اقامة عدالة اجتماعية فى المجتمع البشرى .

وهكذا تقلب الانسان من ضلال الى ضلال ، حتى بدا وكأنما لن يقدر له أبدا أن يلزم نفسه بعدم الحيدة عن الطريق السوي . غير أن رحمة الله سبحانه كانت أوسع من أن يتركه فى عمايته وغيه ، فعاد يوضح الرسالة الأبدية مرة أخرى وبصورة نهائية ، واختار محمدا لابلاغها البشرية . وهكذا عاد الاسلام الذي كان قائما منذ الأزل ، ليظهر من جديد فى القرن السابع الميلادى . وعلينا أن نتذكر دائما هذه الحقيقة : وهى أن المسلمين ليسوا فقط من قبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عند تبليغه اياها أو بعد ذلك ، وانما هم مسلمون أيضا أولئك الذين قبلوا أيا من رسالات الأنبياء قبل محمد ﷺ ، وعملوا بما أوصت به ودعت اليه ، وآمنوا بالله واليوم الآخر وبما أنزل اليهم ، وكانوا فى علاقتهم بالله وبالناس من حولهم خاشعين صالحين ، ولم يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا (أى لم يحيدوا عن تعاليم الرسالة في سبيل كسب دنيوي) ، ولم يحرفوا هذه الرسالة ولم يدعوها تندرج فى طيّ النسيان .

وهذا هو السر فى أن محمدا ﷺ صلّ على نصرانى ودعا المسلمين الى الصلاة عليه . وقد أخطأ المنافقون خطأ فاحشا اذ قالوا إن النجاشى ليس على دينه ، وكان خطؤهم أفدح اذ استنكروا الصلاة والاستغفار له ، واعتبار النبى إياه أخاً له ولسائر المسلمين ، وجاءت الآيات توضح أن النصارى واليهود والصابئين المؤمنين الصالحين (لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) □



تغيير نظام الإعلام في الوطن العربي

قضية الحرّيات الصّحفية

بقلم : حمدي قنديل

تقوم اللجنة العربية لدراسة مشكلات الاتصال التي شكلتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بنشر تقريرها حول الاتصال في الوطن العربي ، في صوء قيام نظام اعلامي حديد ، في بداية هدا العام والكاتب ـ الدي ساهم في بعص أعمال اللجنة ـ يتعرص هنا لواحدة من أكثر القضايا حساسية في النظام الحديد ، وهي قصية الحريات الصحفية

ورثت معظم الدول النامية عند استقلالها نظاما اعلاميا تخصع فيه وسائل الاتصال لسيطرة الحكومة فقد كانت هده الوسائل قبل الاستقلال أجهزة تابعة لسلطات الاحتلال أو خاصعة لسيطرتها ولقد كان هدا هو الحال في معظم الأقطار العربية وادا صربنا مثالا باليمن الديمقراطية فسوف نجد أن محطة عدن للاداعة التي بدأ ارسالها عام ١٩٥٤ ، كانت تعتبر جزءا من دائرة العلاقات العامة والنشر ، التي كانت بدورها تابعة للحكومة البريطانية في مستعمرة عدن ، ممثلة في الحاكم العام البريطاني نفسه أما فيما يتعلق بالصحافة ، فقد كانت أول صحيفة تظهر في عدن هي صحيفة « فتاة الجزيرة »

التي صدرت في البلاد وكانت هده الصحيفة تمثل السياسة الرسمية للادارة البريطانية على كل المستويات ، ويكفي للتدليل على دلك أنها رفعت

الدعوة ان تكون عدن للعدنيين ، وان تمنح المستعمرة الحكم الداتي في اطار الكومنولث البريطاني

سيطرة الدولة على وسائل الاتصال

وهكـذا فعندمـا حصلت الدول النـامية على استقـلالها ، نجـد أنها لجـأت الى الاسلوب الـذي تمرست عليه وتربت في كنفه : ملكية وسائل الاتصال وادارتها وتسييرها بواسطة الدولة . ولقد كـان هناك عامل هام آخر شجع على اتباع هذا الاتجاه ، هو أن الموارد المتوفرة في تلك الدول الوليدة لم تكن تسمح لجهة غير الدولة بانشاء وسائل الاتصال ، وكان هذا العامل أوضح ما يكون في مجال الاذاعة والتلفزيون ، اذ لم يكن هناك رأسمال خاص وطني يكفي لانشاء الاستديوهات ومحطات الارسال . كما أن المستثمرين الأجـانب لم تكن لديهم الثقـة الكافيـة في استقـرار الأحوال بعد الاستقلال ، على النحو الذي يضمن لهم استثمار أموالهم في أمان ، في مجال حساس مثل الاعلام ، يخضع أكثر من غيره للتقلبات والمفاجآت السياسية . ولم يكن هناك ترحيب بهم في هذا المجال على أي حال .

ولكن السبب الرئيسي لملكية الـدول ـ حديثـة الاستقلال ـ لوسائل الاتصال ، وسيطرتهـا عليها ، هو أن هذا النظام الاعلامي هو النظام الذي يتلاءم مـع نـظامهـا السيـاسي والاقتصـادي في كثير من الأحوال . فلقد أخذ الكثير من هـذه الدول بنظام الحزب الواحد في الحياة السياسية والتخطيط المركزي في الحياة الاقتصادية ، وبموازاة ذلك كان من الطبيعي الا يكـون هناك سـوى صوت اعـلامي واحد تـابع للسلطة المركزية . ولقد كانت هذه السلطة ترى أنه حتى تحكم قبضتها على كافة أوجه الحياة في البلاد ، فمن الضـروري لها أن تسيـطر على الاعـلام تمامـا كسيطرتها على الجيش ، فعن طريق هذه السيطرة على كلتا المؤسستين ، يأمن النظام القائم من غدر المناوئين والمعارضين .

ولذلك فلم يكن غريبا في سوريا في الخمسينيات أن يتندر الناس بأن الذين نجحوا في القيام بواحد أو آخـر من الانقلابـات المتتاليـة عندئـذ ، هم الـذين استيقظوا قبل غيرهم ليستولوا على الاذاعة . ولا كان غريبا أيضا أن يعيش العسكريون في اكثر من بلد على رأس وزارات الاعـلام بـالـذات . وليس في الأمـر صـدفة أن يُقتـل عبد الكـريم قـاسم في استـوديـو التلفـزيون في بغـداد ، أو أن يعيش السادات عـلى اوكسجين التلفزيون المصري والغربي ، أو أن يخاطب عبد الناصر الجماهير العربية . ولقد حـدث الشيء نفسه في الصين أيام ماو . ليس في هذا كله صدفة ولا غرابة ، لأن أجهزة الاعلام لها بريق اضـافي خاص لـدى الحكومـات ، فهي التي تتولى ابـراز الحكم ، وتعزز بذلك من هيبته وسلطانه ، وتصل برسالته الى الناس مباشرة دون وسيط ، حتى ولو كان الوسيط هو حكومة الحاكم ذاتها أو حزبه أو عصبته .

وفي الوقت نفسه فلقد كان لدى حكومات الدول المستقلة حديثا أمل كبير في وسائل الاتصال . كانت تأمل مثلا في أن تستطيع هذه الوسائل معاونتها على توحيد الأمة ، التي كانت في أغلب الأحيان ممزقة تحت الاستعمار ، وكانت تأمل في أن تمكنها هذه الوسائل من حشد المواطنين للمشاركـة في خطط التنمية ، وكذلك أن تسهم في محو الأمية ، وفي تدريب الفنيين وفي التثقيف والتربية . ولذلك نجد أنه في الستينيات راحت موجه « الإعلام الانمائي » أو الاعلام المساند للتنمية التي وجدت لها انصارا كثيرين في المؤسسات الدولية والوطنية على السواء ، وكذلك بين الحكام والباحثين والعاملين في مجالات الانماء المختلفة . الا ان هـذه الموجـة واجهت عثرات متعـددة ، وتحـول الاعلام الانمائي في أحيان كثيرة الى اعـلان ودعاية وتلقين ، وابواق جوفاء تطنطن للحكومة والحاكم .

ضغوط لتحرير الكلمة

ومع مرور الزمن بدأ الضغط يتزايد ، حتى تخفف الـدولة قبضتهـا عن وسائـل الاتصـال . وكـان من المأمول أن تساعد على هذا الضغط عوامل متعددة ، فهناك نضوج الكثير من الدول النامية ـ ونخص منها تلك الأقـدم عهدا بـالاستقلال ـ وقيـام المؤسسات فيها . وهناك أيضا استنارة الرأى العام نتيجة لتوافر التعليم ، وثـورة الاتصـال والاحتكـاك بـالعـالم الخارجي . بالاضافة الى ذلك بدأت مهنة الصحافة ذاتها في التطور ، كما أن الصحفيين اكتسبوا مكانة أفضل في المجتمع . كذلك فقد كان من المفترض أيضا أن تكون هـذه البلدان قد اجتـازت الظروف الاستثنائية التي كانت تواجه فيها الاعداء المتبجحين

في الخارج والمتسترين في الداخل ، وأن تكون قد تحررت أيضا من بعض العقد التي كانت تحكم تعاملها في السابق مع البلدان الأجنبية ومع المعارضة الوطنية .

الا ان هذا الضغط لم يفلح كثيرا ، لأن هذه العوامل لم تتوافر جميعا ، أو انها لم تتوافر بالقدر الكافي . وظلت الغالبية من الدول النامية أبعد ما تكون عن الاستقرار ، الذي تزدهر فيه الحريات الصحفية . وسواء كان ذلك عن حق أو عن باطل ، بسبب جدى أو مفتعل ، فقد استمرأت هذه الدول أن تعيش في ظل ظروف استثنائية ، والاقطار العربية في ذلك مثل لا يبارى ، حيث لم نسمع عن مرحلة في تاريخنا الحديث مر بها بلد من بلداننا الا ولقبناها بالمرحلة الحاسمة ، أو المرحلة الحرجة ، أو على الأقل المرحلة الراهنة . وهكذا أصبحنا ـ مهما اختلف الزمان أو المكان،اقتضى الأمر أو لم يقتض ـ أسرى لتلك المرحلة الراهنة التي ليس للكلمة الحرة منها فكاك .

ولكنه عندما كانت الظروف أو الضغوط تتهيأ لسبب أو لأخر لتحرر الكلمة ، فان تلك الحرية عادة ما تكون جزئية أو محددة . وفي معظم الأحوال كانت الكلمة المكتوبة هي التي تتحرر من قبضة الدول في البداية وكان هذا يرجع في الغالب الى أن الصحف كانت أعرق في تاريخها من تاريخ الاستقلال ذاته . فلقد صدر أول عدد من « الوقائع المصرية » بالعربية في عام ١٨٢٨ ، وكانت الجريدة الثانية التي ظهرت في تاريخ الصحافة العربية هي « المبشر » الجزائرية ، وذلك في عام ١٨٤٧ ، وبعدها « الانباء » اللبنانية في عام ١٨٥٨ . وتتالى صدور الصحف في الاقطار العربية بعد ذلك . وبالرغم من أن عددا كبيرا منها بدأ على يد سلطات الاحتلال عثمانيا أو فرنسيا أو بريطانيا أو ايطاليا ، الا أن الصحافة الوطنية سرعان ما ظهرت لترتبط بأماني الشعب وقيمه الثقافية والروحية . ويكفي هنا أن نضرب المثل بمجلات مثل « الرسالة » و « المقتطف » و « العروة الوثقى » و « البصائر » و « الزيتونية » .

حرية الصحافة

كان هذا التاريخ العريق هو الذي أتاح للصحافة أن تتحرر دون غيرها من وسائل الاتصال اذا ما ارتخت القيود . وكان السبب الآخر لتحرر الصحافة أولا هو أن تأثير الكلمة المكتوبة مقصور على طائفة محددة ، هم هؤلاء الذين يجيدون القراءة . وربما كان هذا هو نفس السبب الذي حدا بالدولة أن تعطى أيضا حرية نسبية لنشر الكتب . وعلى أي حالة فلقد كان قلم الرقيب هناك في النهاية . كما أن مقص الرقيب مسلط على السينما هي الأخرى . ولذلك فلا بأس أن تترك السينما في معظم الدول النامية في يد القطاع الخاص . ولقد حدث هذا أيضا لأن الدولة ظلت حائرة في تصنيف السينما ، فهي مرة تعتبرها من وسائل الاتصال الحساسة ، ومرات تعتبرها من أجهزة الثقافة التي لا يأبه بها أحد كثيرا ، شأنها شأن المسرح والفنون الأخرى . كما أن الدولة كانت مطمئنة الى أن السينما ستظل أولا وأخيرا وسيلة ترفيه ، وأن المنتجين سوف يكونون مهتمين بالشباك وايراده .

أما الاذاعة والتلفزيون فأمرهما يختلف تماما . فهما في كثير من الأحيان لا يسجلان على صحيفة ورق أو على شريط فيلم بحيث يمكن مراقبتها أولا . كما ان اشارتها تصل في التو واللحظة دون أي عوائق الى المستمعين والمشاهدين ، الذين يمثلون جمهرة كبيرة لا يقارن بها قراء الصحف والكتب ، أو رواد السينما والمسرح . ولذلك فنادرا ما تحد الدولة تترك الاذاعة والتلفزيون لغيرها ، فقد كان هذان الجهازان يمثلان دائما بالنسبة للدولة جزءا لا يتجزأ من كيانها ، بل دليلا يؤكد هذا الكيان . وكان هذا هو شأن وكالات الأنباء تماما ، حيث أنها تعتبر المنبع الذي تصب منه كل الأنباء وتتسرب . وفي المغرب مثلا يعين مدير الوكالة بواسطة الديوان الملكي ، في حين يعامل مراسلو العديد من وكالات الانباء في الخارج كدبلوماسيين .

ولا يجد غلاة المنادين بالحريات الصحيفية في الدول النامية غرابة كبيرة في تدخل الدولة في وكالات الأنباء ، بل ان بعضهم ينادي بتدخلها لتطوير صناعة السينما والارتقاء بأفلامها ، وكذلك بتدخلها للتوسع في نشر الكتب . كذلك فان ملكية الدولة وادارتها للاذاعة والتلفزيون لا تجد معارضة ملموسة ، وتقتصر المطالب في هذا المجال على مناشدة الدولة أن تفتح أبواب هاتين الوسيلتين للآراء الأخرى ، وربما

تعدت ذلك الى المطالبة بتشكيل مجالس لها ، تضع السياسات العليا ، توجد بين اعضائها شخصيات عامة تختار لذاتها ؛ وكذلك ممثلون للتيارات السياسية والفكرية المختلفة .

والواقع أن الدولة تتدخل في العمل الاعلامي في كل مكان ، حتى في الدول التي تتبع النظام الليبرالي . وفي الولايات المتحدة نفسها نجد أن اذاعة « صوت أمريكا » تابعة للحكومة .

ولكن الظاهرة الهامة في دول الغرب الآن ، هي تركيز ملكية وسائل الاتصال في أيد قليلة . ولا يمضي يوم الان الا وتندمج فيه صحيفة في امبراطورية اعلامية كبيرة ، أو تختفي تماما ، لانها لا تقوى على المنافسة . ولا تتاجر امبراطوريات الاعلام في الكلمة وحدها ، وانما في غيرها من السلع أيضا ، ولا تقتصر مصالحها وانشطتها على دولة واحدة . وانما تمتد لتغطي دولا عديدة ، وتقول مجلة « فوربس » ان هناك ١٣ عائلة تعمل في مجال النشر ، بين العائلات الاحدى والاربعين التي تعتبر أغنى العائلات الأمريكية . وقد ذاع في العالم كله اسم المليونير الاسترالي « روبرت ميردوك » الذي تمتد ممتلكاته الاعلامية كل يوم كالاخطبوط ، خصوصا في الولايات المتحدة وبريطانيا . وفي فرنسا هناك رجل واحد هو روبير ايرسان بلغ دخله السنوى عام ١٩٨٢ حوالى ٥٠٠ مليون من امبراطوريته الاعلامية . ويمتلك ايرسان صحفا يقدر قراؤها بنحو ٢٠٪ من قراء الصحف في فرنسا . اى أن رجلا واحدا يستطيع أن يؤثر في قرارات واتجاهات حس سكان البلاد .

سيطرة أباطرة الصحف

ولهؤلاء الأباطرة مصالحهم الخاصة ، التي تملى ما ينشر في صحفهم . وقصة امبراطور الصحافة البريطانية « تايني رولاند » مع رئيس تحرير احدى صحفه ، وهي صحيفة « الاوبزرفر » قصة شهيرة . ولما كان رولاند يملك عدة شركات في زيمبابوي ، فقد أراد من رئيس التحرير أن يبدل مقالا انتقد فيه البلاد ، مما أدي برئيس التحرير أن يقدم استقالته . ولم تتم تسوية الأمر قبل أن يشغل الصحف البريطانية فترة طويلة . واذا ما اختلف الصحفيون العاملون بهذه الامبراطوريات في الرأي مع أصحابها فليس أمامهم طريق سوى الاستقالة أو الفصل . وفي عام ١٩٧٥ مثلا استقال عدد من كبار الصحفيين في جريدة « لوفيجارو » عندما أراد ايرسان أن يتدخل في تحرير الصحيفة . وعندما اشترى ايرسان ٥٠٪ من أسهم جريدة « لوسوار » في العام التالي أضرب المحررون لمدة ستة أيام .

ومن الصعب أن يجادل أحد في أن الاحتكارات التجارية للاتصال أصبحت تسيطر على توجيه الرأى العام ، مستخدمة في أحيان كثيرة الفضائح والمواد المثيرة ، التي تزيد التوزيع وتجتذب الاعلانات . وتحول هذه الاحتكارات بين الناس وبين معرفة الحقيقة ، وفي كندا مثلا توصلت لجنة شكلتها الحكومة في عام ١٩٨٠ الى أن « صناعة الصحافة في البلاد مضادة للصالح العام ومنافسة له بشكل واضح ومباشر » لأن الصحافة الخاصة لا تستطيع أن تضمن حرية الكلمة . وهي في النهاية - شأنها شأن الحكومة - تصادر هذه الحرية .

الضغوط التجارية والسياسية

وهكذا فإن المعنيين بقضية حرية الصحافة في الأقطار العربية شأنها شأن غيرها من دول العالم الثالث ، يجدون أنفسهم محاصرين بين نارين : الضغوط التجارية التي يمارسها الاعلام الخاص ، والضغوط السياسية التي يمارسها الاعلام الحكومي .

وليس هناك حتى الآن حل مثالي لنظام اعلامي ثالث . كل ما يمكن قوله أن ذلك النظام لا يمكن أن يوجد الا اذا وقع تغيير في المنطق السياسي للدولة . كما أن هذا النظام سوف يختلف في أسسه وتطبيقاته من قطر الى آخر ، طبقا لمرحلة التطور والنضج السياسي والاجتماعي والاقتصادي التي وصل اليها . ومهما كان الاختلاف ، فلابد للمؤمنين بالحرية المسئولة للصحافة أن يسعوا الى تغيير نظم الاتصال في بلدانهم ، بحيث تقوم على تعدد الآراء والحوار لا على القسر أو الاثارة ، ذلك هو المنفذ . وبالرغم من عسره وتعقيده وتشابك المشكلات فيه ، الا انه يكاد يكون السبيل الوحيد الذي نقيم به اتصالا نافعا لكل من يشارك فيه من أطراف ، يسهم في استقرار المجتمع العربي وتقدمه .

منتدى العربي تعقيبات



حول تعريب التعليم في الجامعات *

تناولتم في العدد رقم ٣٢١ (أغسطس ١٩٨٥) في منتدى العربي قضية تعد من أهم القضايا في وطننا العربي وهي قضية « تعريب التعليم في الجامعات » بقلم الأستاذ عبدالرزاق البصير واسمحوا لي بتعقيب بسيط على هذا المقال .

ان قضية اعتماد اللغة العربية في الجامعات هي قضية حساسة جدا على صعيدين اولهما صعيد المسئولين عن هذه الجامعات ، وثانيهما صعيد الطلاب ، سواء كانوا طلابا جامعيين أو غير ذلك ، فحين نتناول مثل هذا الموضوع يجب أن نبتعد عن كل ما هو عاطفي وألا نسمح للغتنا أن تجرفنا ، وبذلك نكون قد استطعنا الوصول الى طرف خيط القضية .

لقد ذكر الأستاذ البصير فكرة جيدة في مقالته وهي « ان كل أمة حية تعلم أبناءها بلغتها ، وان الاستعمار ابتلى أمما عدة مثلما ابتلانا » ، ولكن هل نظر الأستاذ البصير الى أمتنا العربية الاسلامية ان كانت حية أم لا ؟ ان حياة الأمم لاتكون فقط بالعودة الى اللغة والاقتباس ، أو الأخذ عن الغير ما هو صالح وطالح . لا أعتقد ان الكاتب أغفل ان الأمة العربية مهزومة منذ زمن وأن هزيمتها ليست عسكرية فقط ، بل هي ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، ويساهم إعلامنا العربي بترسيخ عناصر هذه الهزيمة في نفوس النشء والكبار من هذه الأمة . وأبسط مثال على ذلك أنك تستطيع أن تسأل ابن العشرين وابن الخامسة عشرة عن مايكل جاكسون والفيس برسلي ويجيبك بكل طلاقة وحماس ، بينما ان سألته عن أحد الأئمة المجددين في الاسلام أو عن عروة بن الورد فسوف تجده أمامك مذهولا !!

ان مشكلة اللغة . . أو بالأحرى مشكلة تدريس العربية في الجامعات هي خطوة مباركة ، اذا توفرت لها عناصر النجاح والاستمرارية باداء مهمتها . . وأقصد أن ضعف المتعاملين باللغة يجب أن يعالج ابتداء من النشيء في المدارس حتى الجامعات . لأن طالب المدرسة أصبح يكره اللغة وأصبح لذلك لايستطيع كتابة جملة عربية صحيحة ، سواء قواعديا أو إملائيا ، حتى بركاكتها وهزالها . أما عن طلاب الجامعات فانها مأساة . انا درست بجامعة اليرموك في اربد بالاردن ولم أدرس سوى « مساقين » للغة العربية ، بينما اللغة الانجليزية أقرؤها وأسمعها يوميا . . . اذن الضعف يبدأ من المدارس ، وتساهم فيه الجامعات بقلة عدد المساقات التي تفرض على الطالب في لغته وتاريخه . وبالتالي يخرج الطالب العربي ضعيفا بالعربية ، ولا يتقن الانجليزية كما هو متصور ، ويؤدي ذلك الى عزوفه عن قراءة أي كتاب عربي ، لأنه لن يستطيع أن يستوعب محتوياته . . وأنا أتمنى على مجلة « العربي » أن تقوم بعمل استبيان بين الطلاب الذين يدرسون بجامعات تدرس العلوم باللغة الانجليزية ، الهدف منه معرفة قوة لغتهم العربية وحبهم للغة ، وبالتالي نستطيع أن نحكم ، ومن هنا نستطيع أن نتخذ القرار . وأنا واثق من أننا

نحن الجامعين ومعشر الطلبة لسنا سوى امتداد لهزيمة الأمة العربية ، عدا عن دور المدرسة والجامعة والمجتمع ، ولتنظر الى دور وسائل الاعلام العربية أيضا ، فالبرامج والمسلسلات أو الأغاني يتسم أغلبها بالتفاهة ، بادعاء أن ذلك كله للتسلية البريئة فقط . أما عن مذيعي الأخبار فلغتهم في الغالب لغة ركيكة ، تشوبها الأخطاء اللغوية والأداء السيء . فكيف نستطيع أن نطالب أبناءنا وشبابنا بحب اللغة ومن ثم ممارستها ؟ استاذنا الفاضل البصير . . انظر الى اعلانات العمل في الصحف العربية ، ان لم يكن معظمها كتب بالانجليزية . فانها تطالب بأن يكون المتقدم علاّمة في لغة العم سام . . . . □

سامي موسى الشرقاوي

تعقيب على مقال نجاح عمر

عن السّد العالي

قرأت استطلاع الاخت / نجاح عمر عن السد العالي ، في العدد ٣٢٣ ، الصادر في ١١ اكتوبر عام ١٩٨٥ . وكان الاستطلاع الذي قامت به الكاتبة ، به حقائق كثيرة ، ولكن فلتسمح لي الأخت نجاح أن أقول ، وكان به أيضا بعض التجني على الحقائق والأخطاء في التسميات . ومن تلك الأخطاء تسمية « النوبة » بالمدينة ، اذ أن الأراضي التي غمرتها مياه البحيرة خلف السد العالي ، اسمها في التاريخ « مملكة النوبة المسيحية » وان كان الاسم اقتضب في التاريخ الحديث ببلاد النوبة ، بعد أن اعتنق النوبيون الاسلام عن بكرة أبيهم .

ومما شد انتباهي وأثار استغرابي في المقال ، هو وصف « النوبي » بالكسل . . فمن المعروف أن النوبيين كانوا يزرعون على مياه السواقي والشواديف « جمع شادوف » وأيضا من مياه الترعة التي كانت تشق الرقعة الزراعية التي ينحسر عنها مياه النهر ، وعودته الى مجراه الطبيعي في مواسم الصيف ، وتلك الأراضي في مجملها كانت محدودة المساحة ، وتكاد تنعدم في بعض المناطق ، عدا مشاريع بسيطة قامت في الأونة الأخيرة في بعض القرى النوبية .

وبما أن تلك المساحات البسيطة كانت تكفي المجتمع وتفي بحاجاته الضرورية ، ولأن المجتمع النوبي كان مجتمعا يعيش في معظم احواله على المقايضة فيما بينهم ، لذا لم يكن يصبو ذلك المجتمع المادي الطباع للزراعة بقصد الربح والمتاجرة ، فضلا عن أن امكانياتهم البسيطة ، التي لم يكونوا يطمعون في أكثر منها ، لم تكن تسمح لهم بزراعة محاصيل تفيض عن حاجات المنطقة ، فكان انتاجهم حسب قدرتهم وحسب حاجتهم وحاجة مواشيهم . . . واذا كان بعضهم يسافر او « يهاجر » الى القاهرة او المدن الكبيرة ، فذلك شيء اعتيادي ، ولا يبقى مقياسا للكسل ، ومن اولئك اللذين كانوا يسافرون الى القاهرة ، من لم يكن مزراعا أصلا لقضاء جل حياته في القاهرة ، أو لأن والديه كانا يميشان هناك . .

فمن النوبيين من لهم صفحات بارزة في كل مجالات الحياة ، في مصر نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر زكي مراد ومحمد خليل قاسم . . . .

وأخيرا . . هل هذه مكافأة ، لمن ضحوا بأرضهم وتراثهم وتاريخ طويل لهم ، وبرفات اجدادهم . . . وقوفا مع رجل التحديات ، مع جمال عبدالناصر ، لينفذ بارادته وبارادة الشعب المصري ذلك المشروع العظيم . دون أن ينظر النوبيون في ذلك الى مصالح شخصية . ؟ . وادعو الكاتبة الى توظيف قلمها الشريف في وقف تلك النزعات النيلية التي يقوم بها أعداء مصر ، الى معبد أبو سمبل ، مرورا بالسد العالي « الهرم الرابع في أسوان ، أوقفوا تلك النظرات الحاقدة التي يلقيها الصهاينة على ذلك العمل العظيم » . . . وألف تحية للكاتبة ، والى كل الشرفاء .

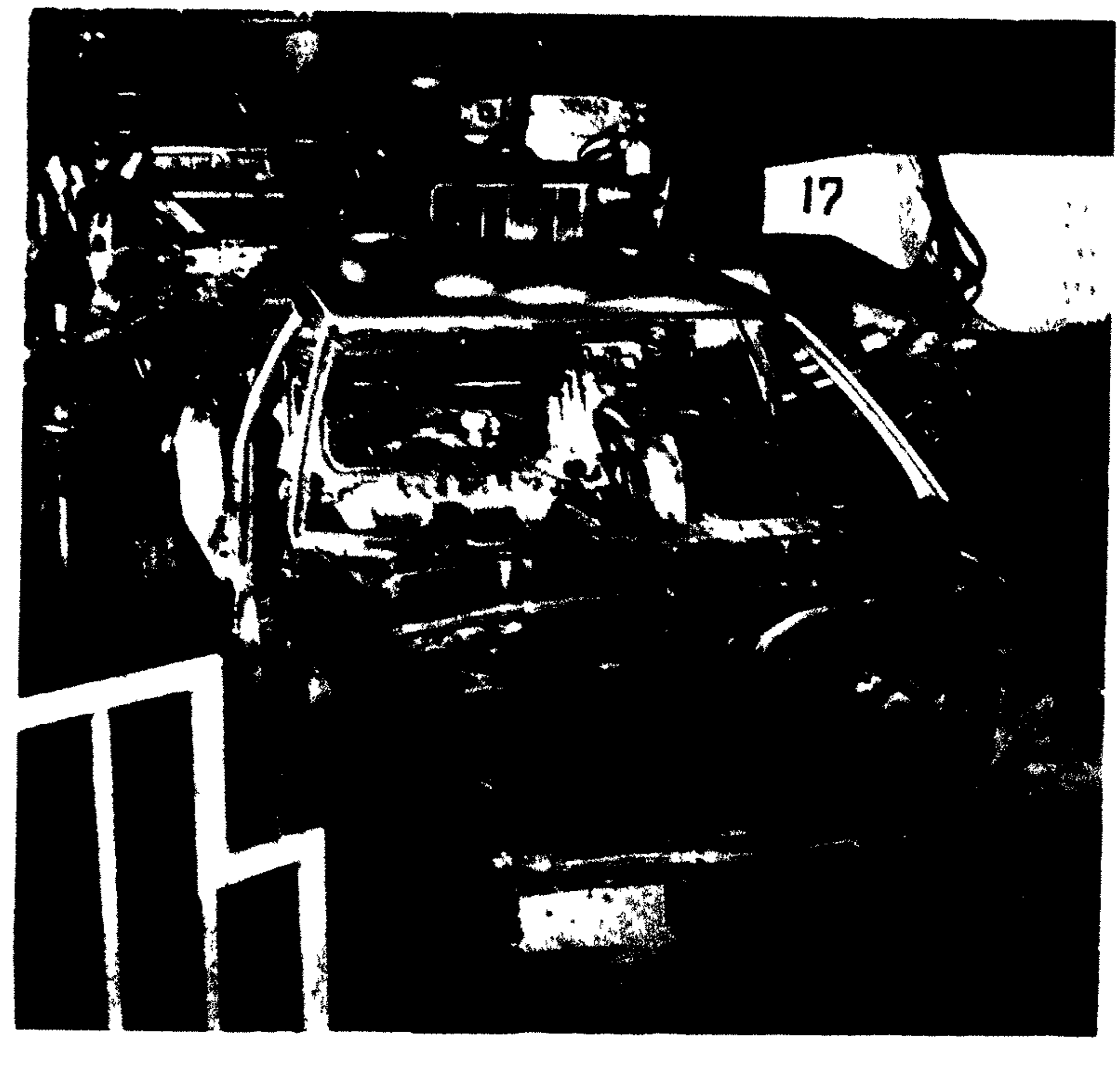
مكي سيف الدين

العربي
عيونك
على العالم

تحت مظلة
الحرية والسلام

شعب يعيش المستقبل

استطلاع : منير نصيف تصوير : طالب الحسيني





ثلاث صور ترسم ملامح الأمس واليوم والغد في اليابان .. فالسيارة اليابانية التي غزت العالم .. والمعرض الذي شاهده الملايين من زواره صورة الحياة في [illegible] التقليدية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة .

« عندما تنزل الهزيمة بامرىء
فقد تزيده الهزيمة حكمة »
« موريو كيتا* »

« شعب ينحني أبناؤه عندما يتبادلون التحية .. وينحنون أمام الزائر الغريب حتى قبل أن يعرفوه ، ولكنهم لا ينحنون أبداً للهزيمة ..

وعندما كانت سفنهم تغرق في البحر الذي تسبح فيه جزرهم الصغيرة التي يعيشون فوقها ، وعندما كان أبناؤهم يسقطون في ميدان القتال ، أعلنوا في تحدّ . « نحن مائة مليون من البشر وعلى الأمريكيين أن يذكروا أن الموتى وحدهم هم الذين لا يركعون ! ! »

قرأت هذه الكلمات للجنرال ماك آرثر القائد العسكري الأمريكي الذي حكم اليابان بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية . وحملت كلمات « الميكادو الأبيض » كما كانوا يسمونه ، في مفكرتي الصغيرة وطرنا الى اليابان في رحلة طويلة الى أقصى الشرق البعيد وفي ذهني صورة لهذا الشعب الذي أريد أن أراه عن كثب !

وكان لقاؤنا بهذا العالم الجديد . بالناس الذين يعيشون فيه وينتمون اليه . بالانجازات التي حققوها . بالبلد الذي قام من العدم . كان اللقاء أشبه ما يكون بلقاء سكان الأرض بمخلوقات تسكن كوكباً آخر لا يمت الى كوكبنا بصلة ! فقد انتابنا - أنا وزميلي المصور - شعور غريب ، ونحن نحول بصرنا فيما حولنا خلال اللحظات الأولى لهذا اللقاء .

الانسان الياباني :

الذي حدث ويحدث في هذه البقعة من الأرض ، ليس عادياً . هكذا رأيناه عندما التقينا به فجأة ولكن شيئاً فشيئاً بدأنا نحس أننا ما زلنا على الأرض التي نعيش في طرف آخر منها . فالناس ليسوا من كوكب آخر كما قد يتبادر الى الذهن . انهم مثل أي شعب آخر من الشعوب . ربما يختلفون في أشياء أساسية . ولكنهم في النهاية بشر مثلنا .

الانسان الياباني نفسه هو الذي استطاع أن يحقق تلك القفزة الهائلة التي نقلت بلاده الى مصافّ الدول الصناعية الكبرى . إنه العمل الذي يحبه ويقدسه ، حتى أصبح جزءاً من حياته ، يعيش معه ويفكر فيه حتى وهو بعيد عنه . كلهم يعملون ، الرجل يعمل ، والمرأة تعمل ، وليس هناك عمل خاص للرجال وآخر للنساء ، ساعات العمل مليئة دائماً ، وليس هناك وقت ضائع . كل شيء يعمل بحساب ، كل شيء نظيف لامع ، وكل شيء وضع في المكان الذي تستطيع أن تجده فيه دون أن تكلف نفسك مشقة البحث عنه .

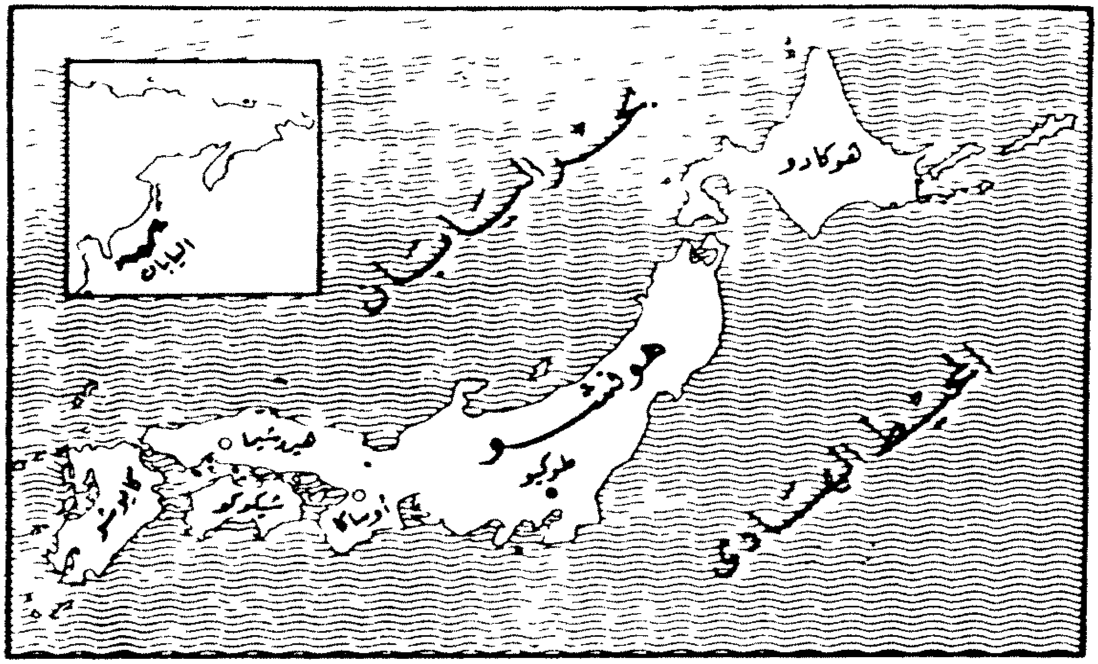
لقد أصبحت اليابان اليوم مصنعاً هائلاً لانتاج كل السلع الرأسمالية والاستهلاكية ، ولعل أهم تحول في الصناعة هو ذلك التفوق الذي حققته اليابان في الصناعات الدقيقة . وبصفة خاصة صناعة الساعات وآلات التصوير وأجهزة الكمبيوتر .

وقبل أن نمضي في هذه الرحلة السريعة التي لم تستغرق أكثر من اثني عشر يوماً ، نتوقف قليلاً لنسأل أنفسنا . « هل شاهدنا اليابان حقيقة ؟ »

والجواب بالنفي ! لقد زرنا طوكيو العاصمة وثالثة

---

* موريو كيتا من أشهر كتاب اليابان المعاصرين ، بلغ عدد النسخ التي بيعت من كتابه الأخير « بيت نيري » مليون ونصف مليون نسخة



اليابان   مجموعة من الجزر تسبح في مياه المحيط

أكبر مدن العالم ازدحاما بالسكان . وحتى طوكيو نفسها لم نر منها إلا جانباً صغيراً يمثل نموذجاً للحياة في هذا البلد ، الذي أصبح حديث العالم كله . ولذن فالحديث لا بد وأن يبقى داخل هذا الاطار الضيق ، لأننا لو خرجنا عنه فكأننا جبنا اليابان في اتجاهاته الأربعة وهو ما لم يحدث !

لقد أمضى « ريك سمولان » RICK SMO-LAN الصحفي والمصور ، مراسل مجلة تايم الأمريكية عدة سنوات في طوكيو وغيرها من المدن اليابانية ، قبل أن ينقل الى عمله الجديد في « استراليا » ومع ذلك فقد كتب يقول : « انني لم أر اليابان . لقد سحرتني هذه البلاد ، ولكن وقتي لم يكن يسمح لي برؤية كل شيء فيها . ولذلك فانني أقترح أن يجتمع في طوكيو أكبر عدد ممكن من المصورين العالميين لنقل صورة لحياة الشعب الياباني ! »

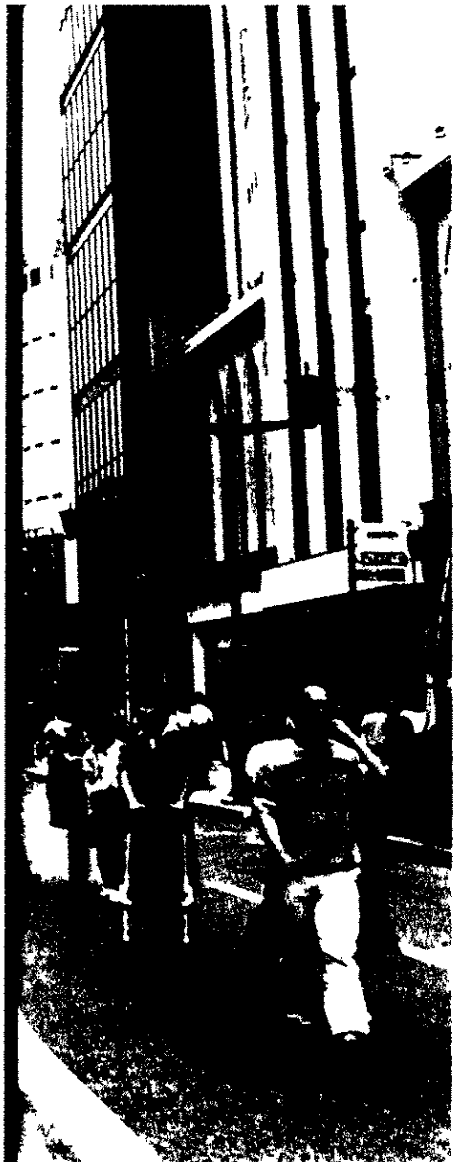
يوم في حياة اليابان ! :

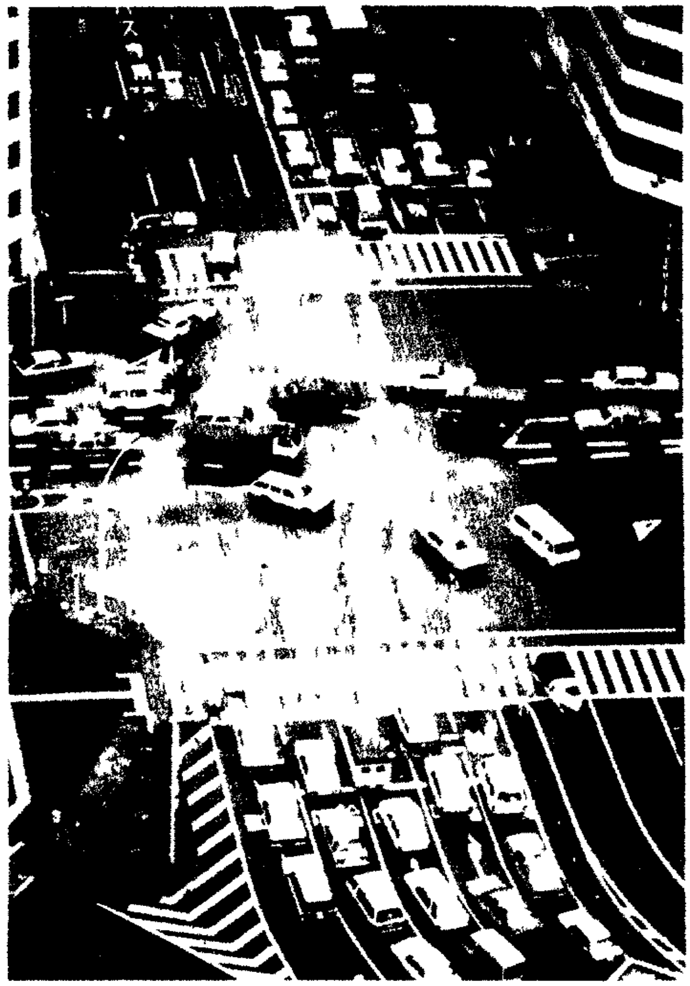
ولقي الاقتراح استجابة من أكثر من مائة مصور جاءوا جميعاً الى اليابان في شهر يونيو من العام الماضي ، وجمعوا صورهم في كتاب صدر أخيراً بعنوان « يوم في حياة اليابان » ، وهو يقع في أكثر من مائتين واربع وعشرين صفحة !

ماذا رأوا . وما الصور التي استوقفتهم وشدّتهم اليها أكثر من غيرها في أي بلد آخر ؟ لقد جمع هذا العدد الهائل من المصورين أكثر من ١٣٥ الف صورة في يوم واحد .

ومع هذا فان الذي رأوه في اليابان ليس جديداً بالمعنى المعروف . ولكن عندما تمر أمة بمثل ما مرت به هذه البلاد يصبح كل شيء له معنى خاص . فقد عرفت اليابان التمزق خلال عهود الاقطاع ، قبل عام ١٨٧٠ ، عندما كانت البلاد مسرحاً للصراعات والصدامات بين القبائل والجماعات المتناحرة . ليس هذا فحسب ، فقد عاش اليابانيون أيضاً سنوات طويلة ، احتواهم فيها الشعور بالخوف ، وذاقوا خلالها مرارة الجوع والفقر والحرمان . وعانوا ألواناً من الاضطهاد في ظل الفاشية والدكتاتورية العسكرية . ثم الاحتلال الأجنبي الذي أحسوا معه بالخشوع والتبعية بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية .

أمة مرت بمثل هذه التجربة المريرة ، ثم صعدت





في نظام دقيق تنطلق السيارات في شوارع طوكيو العاصمة



أسرة يابانية داخل
بيت قديم تستعمل
صوفها جلوسا على
الأرض



الشوارع العامة في الأحياء التجارية الكبرى تتحول الى مطاعم ومقاهي في عطلة الأسبوع وتتوقف السيارات تماماً عن السير فيها



البيوت التقليدية الصغيرة في ضواحي العاصمة التي يعيش فيها أكثر من نصف سكان المدن

فجأة في هدوء ، لتحتل مكانها تحت الشمس ، وتقف في طليعة دول العالم المتقدم في شتى المجالات ، بل تتفوق على الكثير منها ، حتى تلك التي كانت رائدة في تاريخ الصناعة والتصنيع ، بما فيها أكبر دولتين ونعني بهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .. مثل هذه الأمة التي لم تتوقف طويلاً لتتحسس موطن جراحها بعد الهزيمة والدمار ، بل انطلقت بعدو دون أن تفكر مرة واحدة في أحزانها ومعاناتها ، لا بد وأن يكون وراء انطلاقتها قوة هائلة ، لم تتوقف هي الأخرى لحظة عن الاندفاع من أجل تحقيق هذه المعجزة !

انه الانسان الياباني نفسه ! ثم هو السلام الذي يعيش تحت ظلاله ، مادا يد الصداقة الى كل شعوب الأرض ..

ولكن ماذا في المواطن الياباني ليس في غيره ؟

كيف يفكر ، وكيف يعمل ، وما هي الصفات التي يتميز بها .. تلك التي جعلته « موضوعاً » جديراً بالبحث والدراسة ؟ ربما يكون من المناسب لكي ندرك حجم القفزة الكبيرة التي حققتها اليابان دون أن نبتعد عن الاجابة عن السؤال الذي طرحناه ، أن نذهب قليلاً الى الوراء .. الى ثلاثة عقود مضت عندما وقف جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا الراحل يقول لرئيس وزراء اليابان الذي رحل أيضاً : « يجب على اليابان ألا تتوقع أن تبيع شيئاً للولايات المتحدة الأمريكية لأن اليابانيين لن يتمكنوا من صنع أي شيء تحتاج اليه أمريكا ! » .

وبقي هذا الحديث سراً لا يعرفه أحد ، الى أن أذيع أخيراً في شهر مارس من العام الماضي ، في الوقت الذي تتدفق فيه السيارات اليابانية والأجهزة الالكترونية وغيرها من السلع الاستهلاكية على الولايات المتحدة ، حتى بلغ العجز في الميزان التجاري الأمريكي لصالح اليابان أكثر من ٣٧ ألف مليون دولار ، مما حدا بأصحاب المصانع الأمريكية الى مطالبة الحكومة بفرض قيود على الواردات من اليابان ، وخصوصا السيارات ، حتى لا تتعرض مصانعهم الى الافلاس ، بعد أن بلغ عدد السيارات اليابانية التي تستوردها أمريكا وحدها مليونين ونصف مليون سيارة سنوياً !

قال لنا مسؤول ياباني كبير : « نحن لا نزعم أن التقنية ولدت عندنا .. لقد استوردناها ولكننا لم نستخدمها كما جاءت الينا ، فقد رحنا نطورها ونضيف اليها ، ونستبعد منها ، حتى استطعنا أن نقدم أفضل ما يمكن أن نقدمه للمستهلك الذي يبحث عن الأرخص والأحسن .. شيء واحد لن نعود اليه أبداً .. رغم الضغوط التي نتعرض لها وهو انتاج السلاح وتصديره .. إننا ننتجه لأنفسنا لندفع عنا أي عدوان .. ولكننا لا نصدره للغير ! وتكاليف انتاجه لا تزيد على ١٪ من مجمل الدخل القومي الذي بلغ عام ١٩٨٥ ما يوازي ٢٥٤ مليارا و ٨٥٢ مليون دولار أمريكي* » .. وتذكرت بعد هذا الحديث المخترع الكبير توماس أديسون الذي قدم للبشرية ما يزيد على الف اختراع ، وماذا قال عن نفسه وعن اختراعاته التي تعيش معنا اليوم : « أنا لم أبتكر شيئاً جديداً .. ان معظم ما قدمته للبشرية كان يستند الى افكار غيري من العلماء .. كل ما فعلته هو أنني نقلت هذه الأفكار وأضفت اليها من عندي انها عملية تطوير أكثر منها عملية اختراع ! » .

أديسون في اليابان !

ليس معنى هذا أن كل عامل في اليابان أديسون جديد ، ولكن كل صناعة كبيرة بدأت صغيرة صغيرة الى الحد الذي يدفعك فعلاً الى التوقف والتأمل والاعجاب !

قال لنا مرافقنا ، وقد كان يتغير كل يوم وفقاً لما عنده من معلومات عن المكان الذي سنذهب اليه ، قال : « ان صاحب واحدة من أكبر شركات صناعة السيارات في اليابان بدأ بصناعة الدراجات الهوائية وكان يدير مصنعاً صغيراً لا تزيد مساحته على بضعة أمتار مربعة .. ثم فكر في انتاج الدراجة النارية وأخيراً استطاع أن ينتج أصغر سيارة في اليابان ، وهو اليوم صاحب ومدير شركة كبرى لانتاج السيارات التي يصدرها الى جميع أنحاء العالم ! » .

* طوال تاريخ اليابان المعاصر ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ لم تزد تكاليف الانتاج الحربي عن ١٪ من الدخل القومي ، الا أن المتوقع في السنة القادمة أن يزيد عن ذلك لأول مرة نتيجة للضغط السياسي الأمريكي .

وقلت هل نستطيع أن نقابله نريد أن نسمع منه قصه هذا النجاح ! »

قال « بكل تأكيد ، ولكن قد تضطرون الى البقاء شهراً أو شهرين في طوكيو قبل أن يستطيع مدير مكتبه أن يحدد لكم موعداً ، لأن جدول مواعيده حافل باللقاءات انه يحب الناس ، ولا يمل الحديث عن تجربته ، ولكنه رجل مشغول جداً ! »

لقد كان من الممكن أن نجد في قصة الرجل الذي بدأ بصناعة الدراجة وانتقل الى انتاج السيارة وربما الطائرة خلال السنوات القليلة المقبلة كان من الممكن أن نجد فيها ما يغنينا عن الحديث عن طموح الانسان الياباني الذي لا يعرف حدوداً يمكن أن يقف عندها !

النظام والانضبـــــاط :

ونعود الى الاجابة عن السؤال الذي طرحناه ما الذي يمتاز به العامل الياباني رجلاً كان أو امرأة ؟

لعل أول ما يلفت نظر الزائر الى اليابان الى طوكيو العاصمة أو أي مدينة أخرى هو النظام النظام الدقيق في كل شيء في المصنع ، وفي البيت ، وفي الشارع ، وفي كل مكان تذهب اليه فالنظام هو السمة البارزة في الانسان الياباني

وفي العاصمة طوكيو على سبيل المثال يعيش اثنا عشر مليون نسمة ، وعندما ذكروا لنا هذا الرقم لم نصدق ! مدينة تضم هذا العدد الهائل من السكان ، ومع هذا لا يشعر القادم الغريب اليها بأن أحداً يشاركه السير في الطريق طوال ساعات النهار ! ليس هذا فحسب بل هذه الخضرة التي تغطي كل شيء ، وتضفي لون الحياة على المدينة الكبيرة من خلال أشجارها وزهورها ، فتبدو كما لو كانت حديقة هائلة !

وسألنا « أين هم أين كل هذه الملايين ؟ »

في أعمالهم العامل في مصنعه ، والموظف في مكتبه ، والطلبة في مدارسهم وجامعاتهم ! الشارع خلال ساعات العمل يكاد يخلو من المارة ، حتى في فترة الغداء بعد الظهر نادراً ما ترى الناس يترددون على المطاعم العامة ، فقد حرصت كل شركة وكل مصنع على اقامة مطعم خاص بموظفيه وعماله داخل المبنى الذي يعملون فيه ، حرصاً على الوقت الذي يضيع في الذهاب الى المطاعم العامة والعودة منها إن المدينة خلال ساعات النهار والعمل ، تبدو كما لو كان أهلها قد هجروها ! الوقت الوحيد الذي تستطيع أن ترى فيه هذه الأعداد الهائلة من البشر في الصباح عندما يخرجون الى أعمالهم ، وقبل أن تغيب الشمس أثناء عودتهم الى بيوتهم ، ولكن للحظات ، فهذه الموجات البشرية التي تمر أمامك في طوابير طويلة لا تلبث أن تختفي في القطارات ، وفي مترو الأنفاق التي تقلهم الى الضواحي ، حيث يفضل أكثر من نصف سكان العاصمة العيش بعيداً عن ضوضاء المدينة وضجيجها ان مترو الأنفاق ينقل كل يوم ستة ملايين شخص من طوكيو واليها !

وفي المساء أيضاً ، وبعد المغيب قد تجد في شوارع العاصمة بعض الزحام عندما يخرج الناس لتناول طعام العشاء في مطاعم العاصمة الغارقة في الأضواء ، أو يقصدون دور اللهو والتسلية !

الزوجة العاملـــــة :

والمطاعم في اليابان ، هي المكان الوحيد الذي لا يخلو أبداً ، هكذا قالوا لنا ، لأن المرأة اليابانية لم تعد تجد الوقت الذي تستطيع أن تعد فيه أطباق الطعام التقليدية ، وخاصة في فترة الغداء ، فهي زوجة عاملة في معظم الأحيان ، وقلة نادرة من نساء اليابان هن اللواتي يفضلن التفرغ لأعمال البيت وترك وظائفهن ، وخاصة اذا لم يكن قد أنجبن أطفالاً بعد ، وحتى عندما يصل الأطفال ، وهم يكتفون في الغالب بطفل واحد ، أو طفلين على الأكثر عندئذ فقط تطلب الأم إجازة من عملها قد تمتد الى عامين أو أكثر ، ثم لا تلبث أن تستأنف مهام وظيفتها من جديد بعد أن تحمل طفلها الى دار الحضانة التي تتولى رعايته لحين بلوغه السن المقررة لدخول المدرسة وغالباً ما تكون دار الحضانة نفسها التي حملته اليها أمه هي مدرسته التي ينطلق فيها خلال سني طفولته الأولى

وبالرغم من نمو اليابان وتطورها الا أنها استطاعت أن تجمع بين الأصالة والمعاصرة صحيح أن الزائر



ضاقت رقعة الأرض المعمورة بسكانها فشيد اليابانيون مدناً كاملة بمتاجرها ومطاعمها تحت الأرض



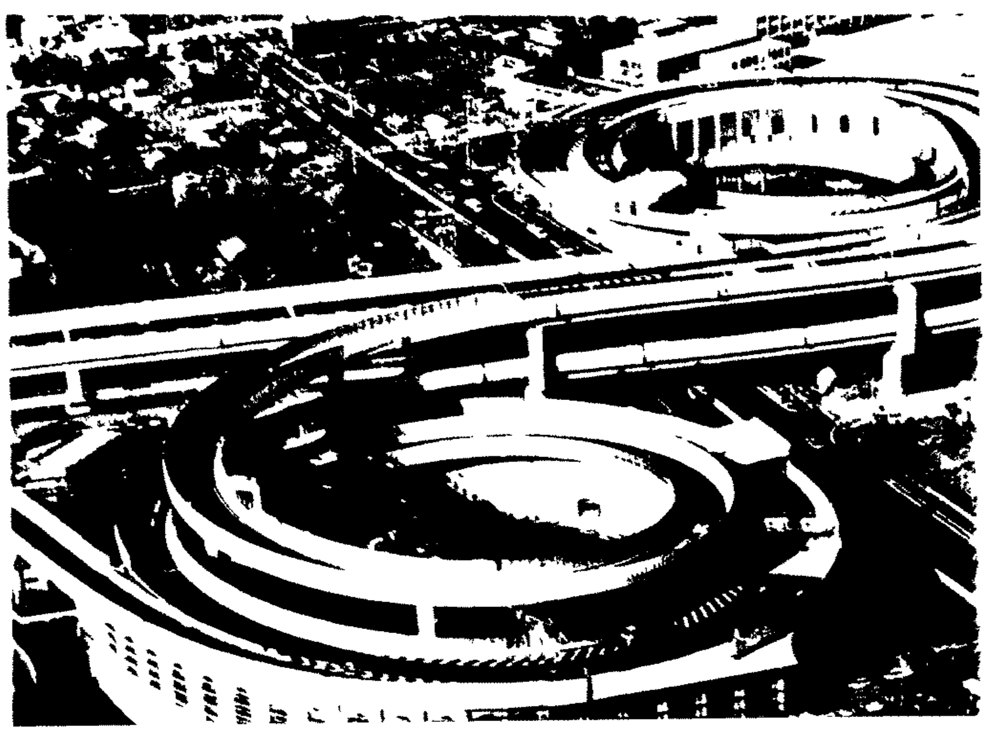
كل شيء من أجل الطفل في اليابان ومعظم المدارس عندهم خاصة لا تملكها الدولة ودور الحضانة أكثرها إزدحاماً لأن كل الأمهات عاملات





دروس الموسيقا في المدارس في كل مراحل التعليم

« الروبوت » أو الانسان الآلي في المصانع



أربع طوابق من الطرق الدائرية في قلب العاصمة طوكيو المدينة من أكبر مدن العالم من حيث الكثافة السكانية ولكن احترامهم للنظام يخفي عن الزائر وجه الزحام

قد لا يلمس هذا الامتزاج في المدينة ، ولكنه اذا ابتعد عنها قليلا الى الضواحي الصغيرة والقرى الريفية المنتشرة قريبا وبعيدا عن مراكز التجمع ، رأى الصورة بوضوح أكثر.

الآلة في كل مصنع ، ولكنها لم تستطع أن تغير من عادات أهل هذه البلاد وطباعهم ، بنفس القدر الذي حدث في كثير من الدول التي تحولت من الزراعة الى الصناعة ، فبدا كل شيء فيها يعمل في ثبات ومنه بلا ضجيج.

فالتحول الى الصناعة لم يمسهم عاداتهم ... لأن اليابانيين يدركون أن الزراعة عندهم فقدت بسبب صغر الرقعة الزراعية ، ومن هنا أصبح تحقيق الاكتفاء الذاتي هدفا ... فقد حققوا كفايتهم من الأرز الذي يأكلونه بدلا من الخبز في وجباتهم الصغيرة فالوجبة دائما لا بد من حاجة الفرد ، ونادرا ما نرى يابانيا طعامه في الطعم ... وبات ... أن ... يأكل الأرز والخبز معا ... وقد أصبح عندهم الآن فائض من الأرز للتصدير!

وبدأ الاهتمام بالثروة الحيوانية وتنميتها ، ولكن هذه الخطوة تعترضها بعض المشاكل ، لعل أبرزها هي عملية تسمين العجول ، لأن اليابان تضطر الى استيراد الأعلاف حيث رقعة الأرض المزروعة صغيرة ومحدودة ، ولأنها تزرعها للإنسان ، حصرا ، والحكومة تساعد المزارعين ماديا ، وتدفع لهم تشجيعا لهم على زيادة الانتاج ، ضمانا للمحافظة على السياسة الزراعية لليابان على المدى البعيد.

ثمة مشكلة أخرى تواجهها اليابان في التنمية الزراعية ، وهي هجرة المزارعين للأرض ، وتحولهم الى الصناعة حيث الكسب أكثر وأسرع ، ولكن كم يقول بعض القائمين على التخطيط في اليابان ، ان هذه الظاهرة لا تشغلهم كثيرا ، لأن الآلة الآن في طريقها الى الانتشار في المصنع ، لتؤدي العمل الذي تقوم به الأيدي ... وستكون النتيجة في النهاية هي عودة أصحاب الأيدي الصناعية الى الريف والى الأرض والى الصناعات القائمة على الزراعة

وما دام الحديث هنا قد مسّ الصناعة والزراعة ، فلا بد أن يمس الطاقة ... وقد بدأت اليابان منذ سنوات تبحث عن بدائل للطاقة التقليدية « النترول » وانحصرت الأبحاث في الطاقة الشمسية ، والمياه الساخنة التي تغلي في جوف الأرض ، والفحم الحجري واستغلال الغازات الناتجة عن احتراقه والاستعانة بالريح في تسيير الآلات والمعدات ، واستغلال فارق درجة الحرارة بين سطح البحر والأعماق ، وأخيرا ، شلالات المياه المتدفقة من الجبال.

كونفوشيوس في اليابان :

هذا التحول الضخم الذي حدث في اليابان وفي حياة الفرد الياباني لم يغير من جوهر صبغته ، وأساس عاداته وتقاليده ... وإن تكن الحياة التي اصطبغت « بالتغريب » قد غيرت بعضا من ملامحه ومن مزاجه ، من خلال ما نقل من سلوك أثر على الشباب بصورة أو بأخرى ، ولكنه مع هذا بقي في داخله هو هو ... إنسان مهذب رقيق ما زال الكثير من تعاليم كونفوشيوس حكيم حكماء الصين يعيش معه ويؤثر على أي تصرف يصدر عنه ... وكذلك « بوذا » الذي يعتنقون عنه الكثير ، ويعملون بتعاليمه أكثر . لقد ظهر كونفوشيوس في الصين ، ولكن فلسفته هنا بين أفراد الشعب الياباني تكاد تكون دستورا غير مكتوب يحكم تصرفاتهم ويؤثر في نفوسهم ... الصغير يحترم الكبير ... والمرؤوس يحترم الرئيس ، والعلاقة بين الجميع قائمة دائما على أساس من الاحترام المتبادل ، والحب والارتباط الأسري الذي بقي قويا بين الآباء والأبناء ... فظاهرة التمزق الأسري الذي ساد أمريكا والغرب بصفة عامة لا أثر لها عندهم ، الا فيما ندر

في البيت وفي الشارع وفي المصنع والمكتب وفي كل مكان تقودك قدماك اليه ، ترى الانحناءة بالرأس تستقبلك مع ابتسامة رقيقة مشرقة اشراقة شمس اليابان في الأيام الصحوة ، فالمصافحة بالأيدي عادة غير مألوفة!

ان هذا الالتحام القوي الذي يشد الفرد الياباني بالتقاليد المرعية رغم عملية « التغريب » التي استوردتها اليابان مع التقنية التي طورتها لتلائم مقتضيات العصر ، بل وتتقدمه الى أطراف القرن الحادي والعشرين ... هذا الالتحام ليس ظاهرة جديدة ، وانما هو شعور قوي ترسخت قواعده منذ

بداية حكمه الميجي قبل أكثر من قرن من الزمان و يزيد ، وقد بلغ الذروة في عهد الامبراطور هيروهيتو ، امبراطور اليابان الحالي ، الذي يحتفلون بعيد ميلاده بنفس المشاعر التي يحتفل بها المسيحيون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام . فهو الأب الروحي لليابانيين ، وهو رمز الحب والولاء والقومية .

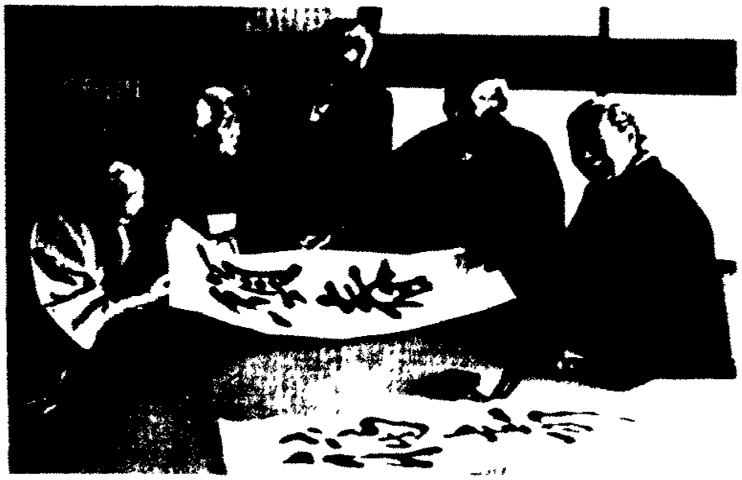
الدور الأمريكي :

وحتى بعد التغييرات الدستورية والاجتماعية التي استحدثها الأمريكيون في اليابان في أعقاب نهاية حرب العالمية الثانية ، بقى الياباني متمسكا بتقاليده وعاداته ، على الأقل في داخله كمواطن . فلا شك أن صورة الحياة كلها من حيث الشكل قد تغيرت .

ولم يكن ممكنا أن تحدث غير ما حدث والبلاد تعيش حالة من الدمار والخراب والضياع بعد حرب . فاليد الممدودة اليها تحكم وتسيطر وتعطي ... وهي يد الدولة المنتصرة . يد أمريكا التي اقتحمت أسوار اليابان الحربية من أجل بنائها من جديد . لا حبا في عيون هذا الشعب ، ولكن لأنها كانت تخشى ان هي تركته مع هزيمته والخوف أن يتحول الى الشيوعية

كانت أمريكا اذن طبقا لما جاء على شفاه ساستها بعد الحرب تقوم بعملية انقاذ « شعب عظيم » ـ كان بدا قويا في كل معاركه ضدها ـ من الوقوع في براثن العدو الاكبر الذي تنفق من أجل محاربته والقضاء عليه اليوم في أي بقعة من العالم ، عشرات البلايين من الدولارات !

ومن هنا بدأت عملية اعادة بناء مدن اليابان المدمرة ، تأخذ الطابع الغربي ، أو الأمريكي واختفت البيوت الصغيرة التي كانت تتألف من دور أو دورين ، لتقوم مكانها ناطحات السحاب فوق أرض لم تعرف هذا الارتفاع الهائل من المباني ، لكثرة ما تعرضت وتتعرض له من ثورات في جوفها ، تسبب حدوث زلازل مخيفة ، يروح ضحيتها المئات تحت أنقاض البيوت الصغيرة التي لا يلبث أصحابها أن يعيدوا بناءها من جديد . وهكذا ... فقد كانت اليابان وما زالت هي « أرض الزلازل » ... كل جزرها الصغيرة والكبيرة المأهولة وغير المأهولة التي يزيد عددها على الأربعة آلاف جزيرة ... كلها تعرضت وتتعرض للهزات العنيفة !



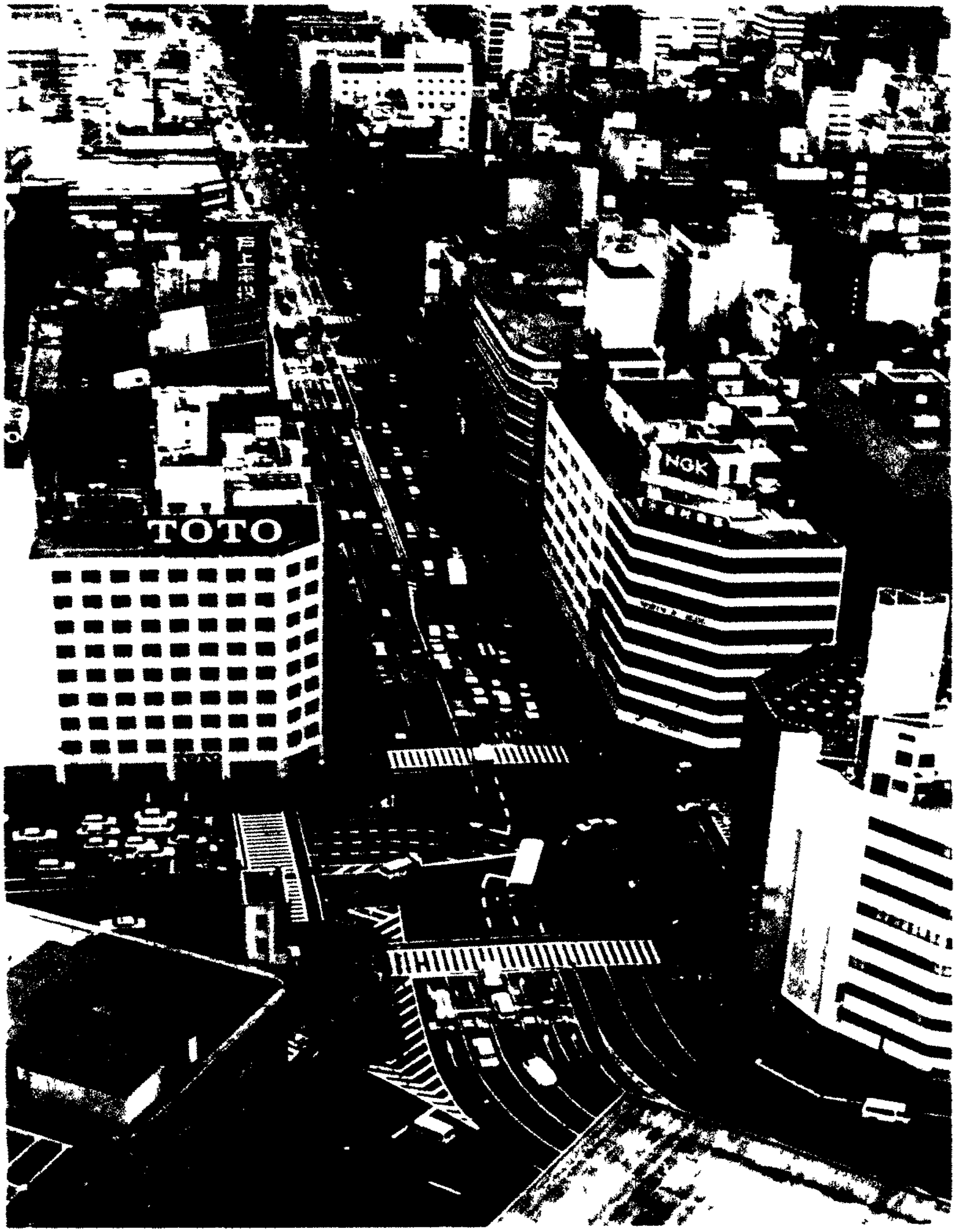
نسبة المعمرين في اليابان عالية ، فمتوسط عمر الانسان عندهم يتجاوز الخامسة والسبعين ... إنهم يمثلون الخبرة والحكمة فهم ثروة قومية !

كيف قامت ناطحات السحاب اذن وكيف تستطيع أن تصمد هذه الزلازل والهزات ؟

قال لي أحد المهندسين اليابانيين : « لقد استخدمنا التقنية الحديثة في بنائها ... ولعب الصلب دورا هاما في أساسات البناء ... انها تتمايل مع الزلازل فتهتز ، ولكنها لا تنهار ! »

الأسرة اليابانيـــة :

وتدخل بيت أسرة يابانية ، أي أسرة ... سواء كانت تسكن شقة في عمارة كبيرة ، أو بيتا صغيرا من البيوت اليابانية التقليدية ، فتشعر بدفء غريب وأنت تجد هذا الاستقبال الحار في انتظارك ... والشاي الأخضر بدون سكر ، هو أول تحية في برنامج الترحيب الذي أعدوه لك ، والذي حفل بكل أنواع الأطعمة الشعبية ... وقبل أن تذهب بخيالك بعيدا ، حاول أن تعرف نوع هذه الأطعمة التي أعدوها لك فوق المائدة ، أو على الأرض ، حيث يجلسون بعد أن يختاروا لضيوفهم مكانا مرموقا ... تجد نفسك قد التقيت بها في فمك ... انها أنواع من الحلوى اليابانية ، وأهم منها وقبلها ، أطعمة صنعوها من الثروة السمكية التي يهوونها ، وتمتلىء بها مياه بحر اليابان والمحيط الهادي ، الذي لم يكن هادئا أبدا



طوكيو الجديدة بمبانيها المرتفعة   لم تعد الزلازل تهدم العمارات التي تناطح السحاب



القطار السريع الذي ينقل العاملين من طوكيو الى ضواحيها وهم يسمونه الرصاصة المنطلقة !





طفلتان في المدرسة حيث يتعلم الصغار كل شيء من الفن الى آداب المائدة وأهم من كل شيء تشجيع المواهب

ويقولون لك وأنت تتذوقها « هذا هو غذاء المستقبل .. ان البحر مليء به ، وغداً سوف يتجه سكان الأرض الى مياهه ليأكلوا منها عندما تضيق الأرض بمن عليها ، ولا يكفي نتاجها لأطعام الافواه الجائعة !

وتحصي عدد أفراد العائلة التي استضافتك ، فتدرك على الفور أنها أسرة كبيرة ، لأنها تجمع أكثر من جيل تحت سقف واحد .. فهناك دائماً والدا الزوج أو الزوجة ووواحد أو أكثر من الأشقاء ، ثم أطفال الزوجين .. والكلمة الأولى في هذا البيت السعيد للأم الكبرى ، أو الجدة ، لأنها هي التي تعد أطباق الطعام ، وهي التي تعنى بالصغار أثناء غياب أمهم في عملها .

وكبار السن في اليابان يشكلون نسبة كبيرة تقدر بحوالي عشرين في المائة من مجموع تعداد السكان ، فقد كان من نتيجة تقدم الطب الذي واكب موجة التقدم الحضاري في كل مجالات الحياة ، أن ارتفع متوسط عمر الانسان الى خمسة وسبعين عاماً

وهؤلاء الكبار « ثروة قومية » والأغلبية من الرجال الذين جاوزوا الخامسة والستين مما فوق ما زالوا يعملون في الشركات والمصانع والمؤسسات وفي الدولة ، ودورهم استشاري ، فهذه الخبرة الطويلة عندهم لا يجب ان تبقى حبيسة وراء أبواب التقاعد والنسيان .. انهم يقولون : ان من بلغ الستين أصبح رجلاً ، ومن لم يتجاوز الأربعين بعد ، ما زال مراهقاً .. أما الشباب في العشرينيات فهم لم يولدوا بعد ! !

بلد يضيق بسكانـــه :

قال لنا مسؤول ياباني كبير : « لم يكن هذا الذي حل بالبلاد من خراب كله نقمة ، فقد وجدنا معه حافزاً قوياً لاعادة بناء اليابان من جديد .. فالبلد بدأ يضيق بسكانه الذين قفز تعدادهم من ستين مليون نسمة عام ١٩٢٠ الى ما يبلغ الضعف اليوم ، حيث يقول آخر إحصاء ان تعدادهم قد جاوز المائة والعشرين مليوناً .. واليابان بلاد جبلية تحتل الجبال والمرتفعات الجزء الأكبر من مساحتها ، فتصل الى أكثر من سبعين في المائة من المساحة الكلية للجزر الرئيسية الأربع « هوكايدو وهونشو وشيكوكو وكيوشو » إلى جانب الأربعة آلاف جزيرة التي تتكون منها الدولة اليابانية . فالسهول المأهولة اذن لا تزيد مساحتها على ثلاثين في المائة فقط من مجموع مساحة جزر اليابان ، التي لا تزيد في مجموعها على ٣٧٨ الف كيلومتر مربع ، أي أقل من مساحة العراق بحوالي مائة الف كيلومتر مربع .

فالأرض عندهم عزيزة ، ومن أجل هذا لم يتركوا شبراً واحداً لم يستغلوه .. بنوا المدن تحت الأرض .. مدناً كاملة بمتاجرها ومطاعمها والهواء الذي يحتفظ دوماً بدرجة حرارة معتدلة في أشد أيام الحر والرطوبة العالية ، ويحمل معه نسبة عالية من الأوكسجين .

وبيوتهم الصغيرة خارج حدود المدن الرئيسية ، شيدت عند سفوح الجبال ، كلها تجاور بعضها بعضاً ، وترقد في دعة وسكون معبرة عن التآلف والتضامن اللذين أصبحا طابع هذا الشعب ، الذي استطاع أن يحقق أعلى مستوى من الانتاج في ظل « الانضباط » الذي أصبح طابعه المميز .. ومع التقدم الذي شمل كل مرافق الحياة اختفت البطالة أو كادت ، فلا تزيد نسبة العاطلين في القوى العاملة على واحد في المائة ، وارتفعت معدلات الانتاج الى أرقام قياسية .. انتاج كل شيء وأي شيء يخطر على بالك .. وعزت المنتجات اليابانية الأسواق العالمية ، وبقيت هناك في القمة ، معلنة دائماً عن جودتها وانخفاض أسعارها ، بالمقارنة بمثيلاتها من منتجات الدول الصناعية الكبرى ..

ياباني .. نائب للرئيس الأمريكي :

أذكر عندما أطلق أصحاب مصانع السيارات الامريكية صيحتهم منذ بضع سنوات ، محذرين من الخطر الذي يتهدد مصانعهم التي أوشك بعضها على الافلاس ، نتيجة لاستمرار تدفق السيارات اليابانية على أمريكا ، أن كتب المعلق الساخر أرت بوخوالد في صحيفة هيرالد تربيون يقول : « اننا نصرخ لأن سياراتنا لم تعد قادرة على منافسة السيارات اليابانية في الولايات المتحدة . وفي رأيي أن العلاج الوحيد لهذه الظاهرة هو أن يكون نائب رئيس أمريكا يابانياً ، فهو الوحيد الذي يستطيع أن يعلمنا النظام

والانضباط !

ولم يثر اقتراحه الدهشة على أساس أنه يعني بطبيعة الحال أن يكون نائب الرئيس أمريكياً طبعاً ، ولكن من أصل ياباني ، فكل الأمريكيين ينتمون لأصول غريبة عن الولايات المتحدة !

ولكن بوحوالد عاد يقول في تعليقه « أخطأتم أيها السادة ، فأنا أعني أن يكون نائب الرئيس يابانيا يابانيا أعني أنا في حاجة الى رجل قادم من اليابان من قلب المصانع التي تهدد السيارات الأمريكية ، بالتوقف فوق خط الانتاج ، وقبل خروجها الى السوق ! !

أنتم في اليابان :

والياباني على استعداد دائماً لأن يعلم ويتعلم ، ولكنه يتوقع نتائج سريعة للجهد الذي يبذله في نقل ما لديه من معلومات وخبرة الى غيره من الناس ، لأنه هو نفسه يتعلم بسرعة ويستوعب بسرعة ، وهو في بلده يحترم الغريب ، ولا يتردد في تقديم أية مساعدة يطلبها منه ، طالما أنه قادر على تقديمها ، ولعل منبعث هذا الاحترام يرجع في المقام الأول الى ثقته بأنه يتعامل مع شخص يثق فيه ، لأنه يعلم أن نظام الأمن المعمول به في بلاده لا يسمح لأي شخص بدخول البلاد الا بعد التأكد من معرفة هدفه من هذه الزيارة !

هذا النظام الأمني حقق وجود ملف كامل يحوي أسماء جميع المقيمين في المدن الكبرى وعناوينهم ومقار أعمالهم ، وعدد أفراد أسرهم ، الى جانب معلومات وافية عن كل زائر للبلاد

لقد كانت صورنا ـ زميلي المصور وأنا ـ ومعلومات كاملة عنا في كل مكان ذهبنا اليه ضمن برنامج زيارتنا لطوكيو العاصمة المصانع والشركات ودور العلم وحتى الفندق الذي نقيم فيه !

ولذلك أصبحت اليابان من أكثر مدن العالم أمناً عندما سقطت محفظة المرافق الذي سافر معنا الى هيروشيما في سيارة التاكسي التي أقلتنا من الفندق الى المطار ، وكان قد اكتشف ضياعها بعد أن ركبنا الطائرة ، قال في هدوء « ليست هناك مشكلة ، سوف أتصل تليفونياً بمجرد وصولنا ، وسيرسلونها لي في الطائرة التي تصل بعد الظهر ، انها تحتوي على مبلغ كبير من المال !

قلت « وهل أنت واثق من أن سائق السيارة سوف يعيدها اليك إن هناك احتمالاً بأن يأخذ ما فيها من مال ، ثم يلقي بها في صندوق القمامة ! »

وضحك المرافق وقال « أنتم في اليابان ! »

وعادت المحفظة الى صاحبها !

وضاعت ثمرة جهدنـــا :

وعندما فقدت المفكرة التي أحملها معي وأسجل فيها كل انطباعاتي في أحد أكبر المحال التجارية في طوكيو ، وكانت ترافقنا سيدة تتحدث الانجليزية من وزارة الخارجية ، عدت تعساً يائساً الى الفندق في المساء ، محاولاً أن أسجل من جديد كل ما كتبته في مفكرتي بقدر ما اسعفتني به الذاكرة !

وأحسست بأني قد فقدت بضياع هذه المفكرة ثمرة أسبوع كامل من الجهد الذي بذلته في جمع وتسجيل المعلومات من كل شيء استوقفني خلال جولاتنا

ولم أنم في تلك الليلة ولكن ما كادت تشرق شمس الصباح حتى أسرعنا الى المحل التجاري نسأل ، وكانت المفاجأة عندما وجدت رئيس عمال المتجر يقدم لي المفكرة بعد أن طلب الي أن أصفها له وأدرك على الفور أنها هي المفكرة التي نبحث عنها ، بعد أن فتحها وحار في قراءة ما كان مسجلاً فيها باللغة العربية التي لا يعرفها !

وعندما عرضت عليه مبلغاً من المال مكافأة له ، قال معتذراً « هذا جزء من عملي ، وأنا اتقاضى مرتباً مجزياً ، ولا أنتظر هبة من أحد قالها في حزم ولكن في أدب شديد ! ! »

وعندما سألت مرافقنا عن المرتب الذي يتقاضاه الرجل قال لي « حوالي مائتي ألف ين شهرياً» ، أي ما يوازي مبلغ ألف دولار ! انه متوسط أجر العامل في اليابان ! العامل غير الفني

هذا البلد الذي استطاع أن يحقق أكبر وأسرع نهضة في التاريخ الحديث ما قصته ، وكيف بدأت ومتى ؟ هل كانت نهاية الحرب العالمية الثانية هي بداية التقدم الذي نقل اليابان من دولة نامية الى واحدة من أكبر الدول الصناعية في العالم ، إن لم تكن أكبرها ؟ !





الرحلة بالطائرة اليابانية متعة .. فالمسافر لا يشعر خلالها أنه يحلق في السماء .. كرم الضيافة طبيعتهم وراحة المسافر هدفهم (فوق) .

(الى اليسار) جانب من معرض عام ١٩٨٥ الذي شاركت فيه اليابان ودول أخرى بأحدث ما توصل اليه العلم لمواجهة متطلبات الحياة في الغد .



القطار السريع الذي تقوم بانتاجه شركة الطيران اليابانية لينقل ركابها من المطار الى قلب المدينة في دقائق (فوق)

أقدم بيت في اليابان   عمره أكثر من مائة وخمسين عاماً   هكذا كانت بيوتهم قديماً   وهو اليوم متحف صغير



جمع المعرفـــــة :

تاريخ اليابان يقول إن نهضة اليابان بدأت نهضة علمية . ويرجع تاريخها الى عهد الامبراطور الشاب مجي في القرن التاسع عشر . وقد كان هو الذي وضع برنامجا من خمس نقاط أساسية تستهدف تطوير بلاده . وكانت إحدى هذه النقاط الخمس « جمع المعرفة من شتى بقاع العالم . حتى يمكن أن تقوم الامبراطورية على أسس راسخة »

وقد بدأ التنفيذ عمليا عن طريق ارسال البعثة الشهيرة التي اطلقوا عليها بعثة ايواكارا IWA-KARA التي غادرت اليابان لانجاز هذه المهمة في عام ١٨٧١ . وقضت عامين كاملين في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية . وكانت تضم ثمانية وأربعين عضوا . ترافقهم أربعة وخمسون طالبا . ثم عادت البعثة الى اليابان بعد أن حققت نجاحاً فاق كل ما كان مقدرا لها . الأمر الذي أثار ذهول الغرب ودهشته

وقد اتخذت اليابان لنفسها أسلوب التركيز على التقنية للتقليل من الاعتماد على الخارج فيما يتعلق باستهلاك المواد الخام . وهنا يبرز عامل آخر كان له أثره الكبير في تحقيق هذا الهدف . وهو « الطاقة المريدة عند اليابانيين في التجديد والابتكار » بعد أن أصبح واضحاً أن اليابانيين يتعلمون بسرعة وينقلون بسرعة أي تقنية جديدة تكون قد ظهرت في أي بلد آخر . ثم لا يلبثون أن يقدموا هذه التقنية بسرعة فائقة وبطريقة جديدة مبتكرة . وربما أعادوا تصديرها الى نفس البلد الذي نقلوه عنها . بعد أن يكونوا قد أدخلوا عليها الكثير من التحسينات

الانسان الآلـــي :

وربما يكون دخول « الروبوت » أو الانسان الآلي بهذه القوة في جميع مجالات الحياة في اليابان أكبر دليل على قدرتهم المذهلة في التطوير . فلم يعد « الروبوت » مجرد آلة تعمل وفق برنامج دقيق في المصانع وخطوط التجميع . وانما أصبح اليوم انسانا آليا يمشي ويتحرك ويقوم بكثير من الأعمال التي وفرت الأيدي العاملة التي تحركها العقول . وقد كان ظهور « الروبوت » في المستشفيات لخدمة المرضى هو أحدث ما توصلت اليه التقنية في اليابان

إن هذه البلاد الغنية بعقول أبنائها الفقيرة بمواردها الطبيعية تعتمد اعتمادا تاما على الاستمرار في تطوير التقنية . وهي ترى في هذا التطوير الذي جعل منها الدولة الأولى المصدرة للساعات في العالم الوسيلة الوحيدة لتحقيق أمنها الاقتصادي

وتسأل مدير أحد مصانع الساعات في طوكيو كيف استطعتم أن تبلغوا القمة في هذه الصناعة الجديدة ونعني بها الساعة !

ويقول مبتسما « لقد جعلناها تكف عن الدق . وفي البداية قالوا هذه لعبة للأطفال . ثم طورناها وجعلنا الساعة تعزف الموسيقى . وتحسب الوقت والمال . وتغرق في الماء فلا تتوقف . وكانت المفاجأة عندما بدأت الدول الأوروبية التي طالما كانت تفاخر بانتاج الساعة الدقاقة التي لا تقدم ولا تؤخر ثانية واحدة تقلد الساعة اليابانية ! ولكن التقليد جاء متأخرا بعد أن غزت الساعات « الكوارتز » التي تعمل بالكهرباء المحروسة « البطارية » جميع أسواق العالم !

أكبر تحد للأمريكيين :

ومن أجل استمرار هذا التطوير وتجديده والانطلاق به الى آفاق جديدة بعيدة أنشأت اليابان أخيراً الوكالة القومية للأبحاث والمشروعات المتطورة . وهي تقوم بالبحوث في أربعة مجالات رئيسية للتقنية . وهي تقنية الطاقة . وتقنية نوعية المعيشة . وتقنية المعلومات الخاصة بالصناعة . وتقنية ابتكارات الجيل الجديد للتقنية

وهذه الأخيرة يرى فيها الأمريكيون بالذات أكبر التحديات اليابانية خلال المرحلة القادمة للتفوق التقني الياباني

وفي معرض اليابان الكبير الذي استمر شهوراً طويلة . وزاره ما يقرب من ستة ملايين شخص . وأسموه « اكسبو ٨٥ » وهي اختصار لكلمة "EX-POSITION" استطعنا أن نلمس التحدي الكبير الذي سيواجه الدول الصناعية المتقدمة خلال السنوات القليلة المقبلة . لقد كان للولايات المتحدة

الأمريكية مثلا حاج عرضت فيه نماذج للمحطات الفضائية التي تعتزم تركيبها في مدارات حول الأرض . ولكن اليابانيين اتخذوا لمعروضاتهم شعاراً آخر لا يمت للفضاء البعيد بصلة ، فالانسان كما يرون مـ زال يعيش على الأرض ، ومن هنا جاء العنوان « نقل التقنية الحديثة الى الانسان في بيته » وشاركت الشركات اليابانية في عرض آخر ما توصل اليه العلم ، فرأينا أضخم شاشة تلفزيونية انتجت حتى الآن ، ويبلغ طولها حوالي مائة متر ووقفنا نتأمل الروبوت الكبير ، أو الانسان الآلي ، وهو يرفع ثقلا وزنه مائتا كيلوغرام ، قبل أن يتحول هو نفسه الى عامل فني دقيق استطاع أمام جموع المشاهدين أن يقوم بتركيب نموذج مصغر له أو روبوت صغير ، ثم ما لبث أن عاد بفك أجزاءه مرة أخرى وسط إعجاب المتفرجين

لقد أمضينا يوما نتجول في أقسام المعرض الكبير الذي شاركت فيه ٢٨ شركة ومؤسسة يابانية ، وبلغت تكاليف إقامته أكثر من ثلاثة بلايين دولار

ولم نكن في حاجة لأن ندرك في نهاية جولتنا أن المنافسة كانت قوية بين اليابان من جانب وبين كل الدول الصناعية في الجانب الاخر وكان التفوق واضحاً ، فقد سبقت اليابان في انجازها التقني كافة الأقطار الصناعية مجتمعة

القطـــار الطائـــر ! :

ثمة تطور جديد استوقفنا ونحن نبحث عن طريق الخروج من المعرض إنه القطار الطائر الذي تستعد اليابان لانتاجه ولم يكن القطار الذي ينطلق بسرعة ثلاثمائة كيلومتر في الساعة هو وحده الذي شدنا اليه ، بعد أن ركبناه في رحلة قصيرة داخل أرض المعرض ، ووقفنا بعد ذلك نتأمله في اعجاب ولكنها القصة التي ترتبط به والتي اسهمت في تطوير المواصلات البرية على هذا النحو الفريد قصة القطار الجديد هي التي استوقفتنا ، وقد رواها لنا مسؤول في الشركة التي تقوم بانتاجه انها شركة الطيران اليابانية التي ستنفق بلايين الدولارات على انتاج هذا القطار ولعلها المرة الأولى التي نسمع فيها عن شركة تهبط بنشاطها من الجو الى الأرض ، لإنجاز مشروع جديد لا يمت الى الطائرة بصلة ولكن الواقع يقول غير هذا ، فقد تدخلت الشركة عندما اكتشفت أن متاعب الركاب الذين تنقلهم على طائراتها أو الذين يصلون الى اليابان على طائرات تابعة لشركات أخرى ، تبدأ بمجرد هبوطهم من الطائرة في أرض المطار فالمسافة من مطار طوكيو الى قلب العاصمة تقطعها السيارة في ساعة ونصف وأحيانا في ساعتين ، رغم أنها لا تزيد على سبعين كيلومترا ، والسبب هو ازدحام الطريق المؤدي من المطار الى المدينة بالسيارات ، وخاصة اذا تصادف وصول الطائرة التي تقلهم خلال ساعات الزحام

"RUSH HOUR" او تدفق الموظفين

هذا الوقت الطويل الذي يمضيه السائح أو الزائر في السيارة لكي يصل الى الفندق الذي ينزل فيه ، يسبب له كثيرا من الضيق بعد رحلة طويلة بالطائرة ، وخاصة اذا علمنا أن أقصر رحلة لليابان من أوروبا تستغرق ست ساعات ، وهي بين بانجوك عاصمة تايلاند وبين مطار طوكيو

ومن هنا بدأ التفكير في القطار الطائر الذي سيقطع المسافة بين المطار وقلب المدينة في حوالي عشرين دقيقة ، وبذلك تنتهي الرحلة البرية الطويلة عبر الشوارع المزدحمة ، والتي تأتي الآن في أعقاب الرحلة الجوية الطويلة أيضاً وربما كانت الرحلة بالسيارة أكثر تعباً ومشقة !

دستور اليابـــان :

والحديث عن اليابان لا ينتهي فنحن لم نقم من خلال هذه المحاولة بأكثر من تقديم صورة خاطفة لبعض مظاهر الحياة في هذا البلد الذي يتربع اليوم فوق قمة العالم الصناعي ، ويعيش المستقبل الذي اقتحم آفاقه البعيدة والقريبة بقوة وثبات

والزائر أي زائر لا يملك بعد جولته وسط ربوع هذه البلاد البعيدة ، مهما كانت حدود هذه الزيارة ، ومهما اختلف الهدف منها الا أن يحمل معه في عودته منها ذلك الشعور بالاعجاب الشديد بهذا الشعب



« الكيمونو » التقليدي الذي تلبسه المرأة اليابانية اختفى أو كاد ، ولو أن « العروس » اليابانية ما زالت تتمسك بارتدائه يوم زفافها

العظيم الذي حقق المستحيل في ظل السلام والحرية والديمقراطية التي أصبحت دستوراً لليابان . وتقرأ ما تكتبه الصحف والمجلات الأجنبية عن اليابان . فيخيل اليك أنك تقرأ إعلاناً دفعوا ثمنه . وهو آخر شيء يسعى اليه اليابانيون ، فهم يقولون لك « نحن لا نريد دعاية لليابان ولكننا فقط نريدك أن ترى بلادنا !! »

كتب صحفي سويدي زار اليابان لأول مرة ، يقول : « كنت أتمنى لو أنني درست اللغة اليابانية قبل أن أبدأ زيارتي هذا البلد الجديد ! »

والمعنى الذي ذهب اليه هذا الصحفي هو نفسه الذي لا يملك أي زائر لليابان الآن أن يردده حتى قبل أن تنتهي زيارته . فقد فات اليابانيين شيء هام . ان اللغة اليابانية ليست لغة دولية وهم يعرفون هذه الحقيقة ويعرفون أيضاً أن من الصعب على الغريب عنهم أن يتعلمها في وقت وجيز ، أو حتى يلم بها الماماً . ومع هذا لم يلجأوا الى ترجمة الأسماء والارشادات في الشوارع والطرقات العامة الى لغات أخرى .

وربما كان المكان الوحيد الذي تجد فيه ترجمة الى الانجليزية أو الفرنسية هو الفنادق والمطاعم ، وخاصة أسماء الأطباق التي ستملأ بها معدتك !

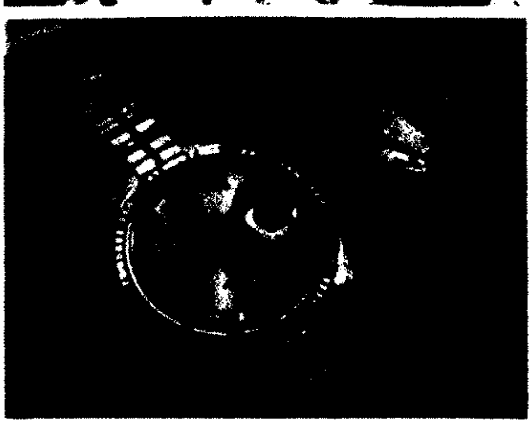
وقد تنبه اليابانيون الى هذا القصور ، فبدأوا يعدون الشباب من الجنسين لمرافقة الزائرين والسائحين وكلهم يتحدثون الانجليزية بطلاقة ويستطيعون أن ينقلوا اليك أي شيء تريد أن تعرفه عن بلادهم ، حدث هذا التطور بعد أن قفز عدد السائحين الذين جيئون الى اليابان للتعرف على هذا الشعب أكثر من مليوني زائر في عام ١٩٨٤ على سبيل المثال ، ولو أن عدد اليابانيين الذين يسافرون للخارج بحثاً عن كل ما هو جديد يبلغ ضعف هذا الرقم وربما أكثر .

ونقف في المطار نرد تحية الوداع ونحن نستعد لمغادرة هذه الأرض البعيدة الجديدة وأتذكر ما قاله تولستوي كاتب روسيا العظيم « ان الشعوب هي التي تصنع الأمم » . وقد صنع الشعب الياباني بلاده بعلمه ونظمه وأمانته وولائه .

وكان التعليم بعد هذا وراء كل محاولة لتحقيق المعجزة .







… حضارة بلاد ما بين النهرين كانت رياضة الصقور، ولا
…ى يومنا هذا، رياضة النبلاء
…صقر طائر قوي، أنيق وسريع الحركة، يتميز بنبالة
…ن تقليد. هذا الترويض وتعليمه يتم على يدي
…ة مدة طويلة تدوم أكثر من ثلاثين يوماً. العناية
…ي التي بها تصنع كل ساعة رولكس
…ى اليوم لاتزال رولكس تصنع من قطعة معدن واحدة
…يدوياً، سواء من الذهب الخالص أو الفولاذ أو
…معاً.
…ل ساعة تمر إفرادياً بمجموعة تجارب فنية قبل أن
…شهادة الكرونومتر السويسرية الرسمية
…رولكس غني عن التعريف وقيمتها تدوم وتدوم
…سنوات وسنوات طويلة جداً.
…موعة ساعات رولكس رائعة ومتكاملة لترضي
…لذوق الرفيع.

…كس والصقر رمز الدقة والأناقة.

ROLEX

…كس



مصير العالم بعد الحرب النووية الشاملة

بقلم : الدكتور سمير رضوان

هل يكون الانسان أول الهالكين .. والميكروبات أقوى الباقين ، اذا جد على كوكبنا الأرضي ما يقلب موازين الحياة .. وهل يمكن تصور أن التطور الجديد لا مكان فيه لانسان جديد .. ؟ ان هذا المقال يتحدث في كل ذلك .. ويأتينا بالاجابة عن كل التساؤلات ..

لايندرج ما نحن بصدد كتابته تحت ما أصبح يعرف (بالخيال العلمي) إنما هو تصور لما قد تصبح عليه صورة الحياة على الأرض اذا جدّ على هذا الكوكب ـ لاقدر الله ـ ما يقلب الموازين القائمة الآن .. وقد نذكرّ القاريء بأن العلم لايخلو أبدا من قدر من الخيال ـ كما أن الخيال فيه جانب من العلم ـ والعبرة هنا بمقدار ما في هذا وذاك من التزام بقواعد العلم المتعارف عليها ، أو تحرر منها .

الموازين الكونية :

تخضع جميع الموجودات في هذا الكون الهائل لموازين ثابتة ، لاتختل الا في أضيق الحدود ، وان

● أستاذ بقسم النبات والميكروبيولوجي بكلية العلوم ، جامعة عين شمس ، ومعار حاليا لجامعة الكويت ـ حائز على جائزة الكويت للتقدم العلمي ، وعلى جائزة الدولة من مصر ، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى

احتلت وقعت الكوارث ، وقد يعظم شأن الكارثة في عرف الانسان ، عبر أنها ـ بالغة ما بلغت من القسوة والضراوة ـ أهون من أن تشمل بأثرها الكون برمته ، أو حتى جانبا ملموسا منه بل هي تقتصر على الموضع الذي وقعت فيه ، وسرعان ما يستقر الميزان على وضع جديد يتلاءم مع الواقع الجديد ، وكأن شيئا لم يحدث في هذا الكون اللانهائي نود أن نخلص من ذلك الى أن الكون باق ومتزن ، حتى لو انقرض الانسان وبادت الأحياء جميعا ، ودمّرت الأرض تدميرا ، وليس في نيتنا ولا في استطاعتنا أن نحصر كل ظواهر الاتزان في هذا الكون الهائل ، واذا كان ينتظر منا أن نسجل ولو مثالا واحدا هنا ، فلنقرأ معا قول العزيز الحكيم

(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وما يعنينا هنا هو أن نتناول بشيء من الافاضة (ميزان الأحياء) على الأرض

ميزان الأحياء

تعمر أحياء الأرض ، ما يعرف (بالغلاف الحيوي) الذي لايقتصر على سطح اليابسة ، وانما يشمل أيضا الغلاف الجوي المحيط بالأرض ، والمسطحات المائية ، ويمتد في عمق التربة وقد يعجب القارىء إذا ذكرنا أن أعداد الافراد الحية التي تعيش تحت سطح التربة ، تفوق بمراحل أعداد الأفراد الحية فوق سطح الأرض وتتباين هذه الأحياء في الشكل والتركيب والنشاط الحيوي تباينا كبيرا وبصفة عامة فإن أبسط الكائنات شكلا وتركيبا وأنشطها حيوية تلك المستقرة في جوف التربة ، وأعقدها هي الأحياء المستقرة فوق اليابسة وتتراوح الأحياء من حيث الشكل بين الخلية الواحدة التي لا ترى الا بالمجهر ، والأحياء النباتية والحيوانية الضخمة التي يتكون الفرد منها من بلايين الخلايا ومن حيث التركيب فأفراد الأحياء تتراوح بين الخلية الواحدة ، والفرد المعقد التركيب الذي يتكون من مجموعة من الأجهزة المختصة بشتى الأنشطة الحيوية ، كالتنفس والهضم وما الى ذلك كما تتراوح أحياء الارض في أسلوب الاغتذاء مثلا ، بين كائنات تستطيع أن تنتج جميع المواد العضوية ، من سكريات وبروتينات ودهون وفيتامينات ، ومن غاز ثاني أكسيد الكربون والماء والأملاح غير العضوية ، خلال ما يعرف بالتمثيل الضوئي ، الى كائنات ليست لديها هذه القدرة ومن ثم فهي تسطو على أحياء أخرى في سبيل الحصول على الغذاء العضوي وقس على ذلك شتى الأنشطة الحيوية الأخرى التي لايسهل حصرها هنا فهناك مثلا أحياء تعتمد على غاز الأكسجين في تنفسها (الكائنات الهوائية) وأخرى تتنفس في غياب هذا الغاز (الكائنات اللاهوائية) ، وغير ذلك من صور التباين كثيرة وتتفق هذه الأحياء المتباينة في صفة الحياة

وقد يبدو أن التعريف العلمي لكلمة (حياة) يسير ـ لكنه يقينا من أصعب الأمور وعموما ليست ظواهر الحياة المختلفة التي نراها ونحسها الا المحصلة النهائية والتعبير الأخير لمجموعة كبيرة من التفاعلات الكيميائية المعقدة ، التي تحدث داخل الخلايا الحية ومهما تباينت أشكال وتراكيب وأنشطة الأحياء ، فإنها ـ ويا للعجب ـ تتشابه كثيرا في طبيعة التفاعلات الكيميائية للعمليات الأساسية التي تتم بداخلها ، فعمليات « تخليق » البروتينات والمركبات الكيميائية المعقدة ، تجري في الكائن وحيد الخلية ، بأسلوب يشابه ما يجري في أعقد الأحياء شكلا وتركيبا ـ كذلك تفاعلات التنفس التي تزود الحي بالطاقة ، تجري في الأحياء المختلفة على نفس المنوال ـ وان حدث اختلاف فهو طفيف نسبي ، بل ان الأساس الكيميائي للوراثة في الأحياء المختلفة واحد هذا التشابه الكيموحيوي هو في الواقع الرابطة التي تربط أحياء الأرض بعضها بالبعض ، كما تربطها بالبيئة المحيطة التي تستمد الأحياء منها غذاءها وجميع أسباب وجودها ومن ثم فالأحياء المختلفة تشكل مع بعضها البعض ومع البيئة وحدة متكاملة متوازنة والتوازن العددي هو أهم مظهرٍ من مظاهر الميزان الحيوي فكل جنس ونوع من الأحياء يتمثل في البيئة بأعداد لاتتجاوز حدودا معينة ، والإ أثّر ذلك على أعداد أجناس وأنواع أخرى من الأحياء،واختل بذلك الميزان ويحتفظ هذا الميزان بشأنه من خلال تعاون

الأحياء المختلفة وتكافلها من ناحية ، ومن خلال تصارعها وتناحرها من ناحية أخرى .

الانسان أرقى الأحياء :

يتربع الانسان وحده على قمة سلم التطور ، وهو أحدث ظاهرة حية على كوكب الأرض ، ولقد نشأت الحياة على سطح الأرض منذ عدة آلاف الملايين من السنين . ولكن الانسان لم يظهر الا منذ فترة لاتتجاوز في معظم التقديرات مليونا واحدا فقط من السنين . ولأن الانسان أحدث الأحياء ، وجب أن يتحلى بأكمل الصفات بين الأحياء من ناحية الشكل والتركيب التشريحي والصفات الذهنية والنفسية . فالذي خلقه سبحانه وتعالى جعل فيه ميزات الأحياء التي سبقته في الخلق وزاد عليها ـ وهذه هي عبرة التطور . وصدق الله العظيم اذ يقول (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)

ويحيا على سطح الأرض اليوم حوالي ٤٥٠٠ مليون انسان ، يشكلون جانبا هاما في ميزان الأحياء ـ ليس بسبب وفرة العدد ـ ولكن بسبب قدرة الانسان الكبيرة على التغيير من خلال العقل الذي يميزه عن شتى الأحياء الأخرى . وعلى الرغم من أن مشاكل الانفجار السكاني البشري قد أصبحت تمثل بحق تهديدا كبيرا للانسان نفسه ، قد يؤدي يوما ما الى ايقاف نموه ، الا أن هذه الزيادة لاتمثل اخلالا محسوسا بميزان الأحياء على الأرض . فنصيب الانسان في هذا الميزان من الناحية العددية ما زال متواضعا للغاية ، اذا قورن بالأحياء الأخرى خصوصا الدنيا منها

أما الميكروبات فهي تقبع عند القاع من سلم التطور ، وتمثل أوائل الأحياء التي نشأت على الأرض . وهي كائنات وحيدة الخلية في معظمها ، لاترى الا بالمجهر ، وليست بالضرورة ضارة كما يتصور العامة ـ بل النقيض هو الأصح ـ فهذه الكائنات في الأصل تحتل جانبا رئيسيا من ميزان الأحياء ، وتلعب دورا حيويا في دفع عجلة الحياة برمتها لتستمر في الدوران . فالميكروبات هي التي تحلل أجساد الأحياء بعد موتها ، محررة بذلك شتى العناصر الكيميائية ، لتصبح متاحة لدورات وأجيال جديدة من الأحياء . لولا الميكروبات اذن لتجمدت الحياة ان عاجلا أو آجلا في صورة جثث متراكمة للانسان والحيوان والنبات . وما شأن الميكروبات الوبائية الضارة بين الميكروبات عامة الا كشأن الضواري والوحوش بين الحيوانات ، وكشأن السفاحين من البشر ـ قلة ـ ولكن لها أيضا دورها المرسوم في التوازن الحيوي . وتمثل البكتيريا أبسط الميكروبات ، ومن ثم فهي أدنى الأحياء على الاطلاق . نشأت على كوكب الأرض في الماء منذ حوالي ثلاثة آلاف مليون سنة ، حين كانت الظروف السائدة تختلف تماما عما هي عليه اليوم . من أوجه الخلاف مثلا أن غاز الأوكسجين الطليق الذي تعتمد عليه معظم الأحياء اليوم في التنفس لم يكن موجودا بعد في الغلاف الجوي . ولقد ارتبط ظهور هذا في الجو بنشأة البكتيريا الخضراء المزرقة ، التي الأوكسجين من خلال عملية التمثيل الضوئي .

ويعتبر المختصون ذلك خطوة تطورية هامة على الأرض ، مهدت لنشأة الأحياء التي تتنفس الأوكسجين . ولاشك أن كثيرا من ميكروبات الزمن الغابر قد انقرضت ، حيث لم تعد ظروف الأرض صالحة لحياتها . كما أن هناك ميكروبات أخرى طرأ عليها التطور ، لتواكب التغيير الذي تم في ظروف الأرض ـ وهي التي تعيش على كوكبنا الآن ، وبيئتها الرئيسية هي التربة .

واذا كانت الكرة الأرضية تنوء بحمل حوالي ٤٥٠٠ مليون من البشر ، فإن قبضة يد واحدة من التربة تحوي أضعافا مضاعفة لهذا العدد من الميكروبات . وللقاريء بعدئذ أن يتصور كم من هذه الأحياء تحمله الأرض في تربتها وأمواهها وهوائها وثلوجها وينابيعها الحارة وصحاريها ، وعلى أسطح نباتاتها وفي أجواف حيواناتها المختلفة بما فيها الانسان نفسه . . !

عوامل تخل بميزان الأحياء :

يتصف ميزان الأحياء بالديناميكية ـ وتتباين أعداد الأجناس والأنواع المختلفة لتغير الظروف البيئية التي قد تحفز تكاثر أحياء معينة ، وتثبط تكاثر أحياء أخرى . يتضح من ذلك اذن أن الميزان قد يختل اختلالا محسوسا ، كلما طرأ على البيئة تغير محسوس



قد يصل الأمر الى حد انقراض أجناس وأنواع من لأحياء تماما . ولاشك أن القاريء قد سمع بأشهر لمنقرضين من حيوانات الزمن الغابر ألا وهو لديناصور . وانقراض نوع أو أنواع من الأحياء لا يشكل أي تهديد للحياة برمتها ، بل يعني مجرد اختلال مؤقت بالميزان الحيوي السائد ، وسرعان ما يستقر هذا الميزان على الوضع الجديد .

والعوامل التي قد تخل بهذا الميزان من الوفرة بحيث يصعب تسجيلها هنا . على أن من أهم هذه العوامل ما يتعلق بالتغيير العميق الذي يحدثه الانسان بنفسه في شتى البيئات على الأرض - مثل هذا التغيير العميق قد يؤدي عند الكثير من الى انقراض الجنس البشري يوما ما . ولا يلجأ الانسان بالطبع الى احداث هذه التغييرات العميقة لشر كامن في نفسه - وانما هو سوء التقدير . فمن أجل توفير الغذاء بزيادة الرقعة القابلة للزراعة مثلا ، يلجأ الانسان الى اجتثاث الغابات ، دون أن يدرك أثر ذلك على شتى الظروف البيئيه . فالغابات تستهلك من الهواء قدرا من غاز ثاني أكسيد الكربون ، واجتثاثها يعني زيادة نسبة هذا الغاز في الهواء ، مما ينجم عنه ارتفاع درجة حرارة الجو . كما ننسى دور الأشجار في تثبيت التربة وتزويدها بالمواد اللازمة لخصوبتها ، وفي صد الرياح عما تحمله من رمال ، فتحول دون مزيد من التصحر - أي تحول الأرض الزراعية الى صحراء - وهي جميعا مشاكل تزداد خطورة مع الزمن . وما ذلك الا مجرد مثال واحد من أمثلة كثيرة . وقد يكفي للتدليل على خطورة هذه التغيرات البيئية أن نشير الى أن أحد الاحصاءات العلميه ، قد أثبتت أن عدد أنواع الأحياء التي انقرضت في القرنين الماضيين ، بلغ حوالي ٦٠٠ نوع ، وهو رقم يثير الرعب حقا . وسوف نقصر حديثنا فيما يلي على عاملين اثنين هما (التلوث) و (الصراع) .

التلوث أخطر مشاكل العصر :

التلوث أصبح من أخطر مشاكل العصر الحديث ، ارتبط مداه بالتقدم العلمي والتقني ، ومن تحصيل الحاصل أن نتعرض بالوصف لأنواع التلوث المختلفه ، من كيميائي وحراري وضوضائي

واشعاعي وغيرها ، فقد صارت هذه الأنواع من الشيوع بحيث لانحسب أن هناك من لم يسمع بها . على أن الاثار البيولوجية لهذه الملوثات ما زالت في طور الدراسة . ويكتشف الباحثون كل يوم أن خطر التلوث على الانسان عظيم جدا . ومن أحدث ما يتردد في الدوائر العلمية أنه قد بات وشيكا اثبات دور الملوثات الكيميائية ، كمسببات مباشرة لبعض أنواع السرطان ، وكان هذا الأمر حتى الان ظنا بلا دلائل عملية . ويلاحظ أن كثيرا من أسماك الأنهار الملوثة بنفايات المصانع تصاب بالسرطان ، ولا يكمن الخطر هنا على الانسان من احتمال انتقال خلايا السرطان اليه من هذه الأسماك ، وانما الخطر كل الخطر في احتمال انتقال المواد الكيميائية المسرطنة ، التي تلوث الأنهار ، الى الانسان من خلال الأسماك .

أما الصراع : فهو جزء أساسي وطبيعي من سلوك الأحياء ، ويلعب دوره المرسوم في استقرار ميزانهم على الأرض . وليس هناك أحياء لاتتصارع ، كما لاتوجد بيئة على الأرض تخلو تماما من صراع بين الأحياء . على أن الانسان في عصرنا الحديث يوشك أن يخرج بهذا العامل البيئي عن حدوده الطبيعية . وتطالعنا الصحف وأجهزة الاعلام المختلفة بين ان وآخر بما يفيد ، بأن هذه الدولة العظمى أو تلك قد أصبح لديها من الأسلحة النووية مايكفي لتدمير كوكب الأرض برمته عشرات المرات . ويالها من مفارقة مضحكة مبكية في آن واحد ـ فكأنما (مرة واحدة) لاتكفي لاشباع شهوة التدمير عند البعض . والمخيف أن هذه الأسلحة لم تعد ملكيتها مقصورة على ما يعرف بالدول العظمى ، بل صارت في متناول أيدي العديد من دول العالم الثالث أيضا . وهناك من الأسلحة ما هو موجه بصفة خاصة للقضاء على حياة الانسان ، دون المساس بالمنشآت والمباني . ويبدو بالفعل أن الانسان قد أصبح في مقدوره أن يقضي على جنسه من خلال الصراع النووى الشامل . . ولكن الذى يتجاوز مقدرته على وجه اليقين هو أن ينجح في اجتثاث الحياة برمتها من الأرض ، مهما أوتي من أسلحة الدمار . إذا هلك الانسان سوف يستقر ميزان حيوى جديد ، لا مكان للجنس البشرى فيه ، وسوف يصبح أرقى الأحياء قاطبة مجرد نوع من الأنواع المنقرضة ، شأنه شأن الديناصور ، وشأن الألوف من أنواع الأحياء التي انقرضت عبر رحلة التطور الطويلة .

الانسان أول الهالكين :

الانسان ـ أرقى الأحياء ـ هو أكثرها اعتمادا على الأحياء الأخرى في أسباب وجوده . فهو يعتمد عليها اعتمادا كاملا في تغطية حاجاته من مأكل ومسكن وملبس وغيرها . والانسان ـ كنوع حي ونتيجة لاعتماده التام على أحياء أخرى ـ يعتبر في الواقع أسير مجموعة من الظروف البيئية المحددة ، اذا تطرق اليها خلل تهددت حياته .

فاذا افترضنا على سبيل المثال أن حدث على الأرض ما أدى الى نفاد غاز الأوكسجين في الجو هلك الانسان في دقائق . وما يصدق على هذا العامل يصدق على سواه من العوامل البيئية الأخرى . خذ مثلا درجة حرارة الجسم البشرى ، التي ينبغي أن تثبت عند ٣٧ م ، وأقصى ما يمكن أن تصله من الابتعاد عن هذه الدرجة لا يتجاوز خمس أو ست درجات فقط ـ من ٣٦ الى ٤١ م تتوقف الحياة تماما دونها أو فوقها . كما أن أسلوب الاغتذاء عند الانسان يرتبط ارتباطا جامدا لا مرونة فيه بمواد عضوية معينة ، كالبروتينات والسكريات والدهون والفيتامينات ، اذا لم تتح له أو أتيحت مواد أخرى عضوية غيرها مات جوعا . وتتميز الأنزيمات في خلايا جسم الانسان ـ هي الأخرى ـ بالجمود الذي لا مرونة فيه . والأنزيمات عبارة عن عوامل مساعدة في الخلايا الحية ، لا تتم أية تفاعلات كيموحيوية الا في وجودها . ولكل تفاعل أنزيم خاص ينشطه . ونقصد بجمود الانزيمات في خلايا الانسان ، ان الخلية اذا صادفت مادة عضوية لا عهد لها بها ، فانها لا تجد بين أنزيماتها ما يستطيع أن يهضم هذه المادة ، مما يؤدى الى مشاكل صحية كثيرة ، وخصوصا وأن هذه المواد تزداد شيوعا كل يوم ، من خلال ما يستحدثه العلم ، ويصل الى جسم الانسان كملوثات . . ولا يستطيع الجسم أن ينتج الأنزيمات المحللة لها .

وما يصدق على الانسان يصدق أيضا بالنسبة لكثير من الحيوانات الراقية ، لكن الميكروبات ـ أدنى الأحياء ـ تختلف في ذلك اختلافا كبيرا ، فقد سبقت

الأحياء جميعاً الى الوجود ، ومن ثم فهي تتصف بدرجات من الاستقلالية في أساليب حياتها ، تحسدها عليها الاحياء الراقية - كما تتصف بمرونة فائقة تجعلها قادرة على المعيشة ، تحت ظروف منها ما تعجز الأحياء الراقية عن تحملها. ونقتصر حديثنا هنا على القليل من العوامل البيئية التي ذكرنا أنها ستؤثر على الانسان. فاذا افترضنا نفاد الأوكسجين من الجو ، فمن المؤكد أن جانبا من الميكروبات لن يهلك ، لأن هذه الأحياء العجيبة تتباين تباينا مرنا في حاجاتها لهذا العنصر. وحقا هناك أنواع منها لا تعيش الا في وجود الأوكسجين ، لكن هناك أيضا أنواعا كثيرة لا تعيش الا بمعزل عن هذا العنصر. كما أن هناك أنواعا تعيش في غيابه ، كما تعيش في وجوده على حد سواء.

ولا يختلف الأمر بالنسبة لعامل الحرارة. اذ يقسم العلماء الميكروبات الى ثلاث مجموعات ، تبعا لدرجات الحرارة التي تفضل المعيشة فيها. فهناك الميكروبات المحبة للحرارة المتوسطة ، والميكروبات المحبة للبرودة التي تزدهر عند درجات الحرارة القريبة من نقطة تجمد الماء ، وهناك الميكروبات المحبة للحرارة المرتفعة التي تقترب من نقطة غليان الماء. وفضلا عن ذلك فكثير من الميكروبات اذا تعرضت لظروف غاية في القسوة ، فانها تحتمي منها بانتاج وحدات حية ، ولكنها خاملة وكامنة تماما ، ولا تتأثر بالظروف القاسية ، اذ يمكنها تحمل الغليان في الماء مثلا ساعات طويلة - فاذا تحسنت الظروف المحيطة دب النشاط مرة أخرى في هذه الوحدات الكامنة.

والميكروبات أقوى الباقين :

وواضح أن هذه الصفة تعطي مثل هذه الميكروبات قدرا من المناورة والمرونة ، لا يتوفر للكائنات الراقية بما فيها الانسان. أما غذاء الميكروبات فيتباين هو الاخر بمرونة لا حدود فيها - اذ تتراوح الميكروبات في حاجاتها الغذائية بين الأبسط والأعقد. وأبسطها في هذا المضمار هي تلك التي تصنع غذاءها العضوي ، بصورة كاملة من غاز ثاني أكسيد الكربون الجوي ، كما تفعل النباتات الخضر بل انها تتميز عن النباتات الخضر أيضا في هذه الصفة. ذلك أن بعض الميكروبات قادرة على استخدام صور من الطاقة الكيميائية ، فضلا عن الطاقة الضوئية التي تستخدمها النباتات الخضر ، في تحويل ثاني أكسيد الكربون الى المواد العضوية. أما الميكروبات التي تتصف بالحاجات الغذائية المعقدة فهي تشبه الانسان ، في اعتمادها على مواد عضوية تنتجها أحياء أخرى.

غير أنها تتميز هنا عن الانسان أيضا بالمرونة والليونة فيما يختص بنوعية هذه المواد العضوية. فبينما يرتبط الانسان في غذائه بمواد عضوية معينة ، توشك الميكروبات الا ترفض أية مادة عضوية مهما تعقد تركيبها ، حتى ان منها ما يعتدى على البترول ، وعلى مبيدات الحشرات والأعشاب ، وعلى الصدأ حيويات وغيرها كثير. كما تتصف أنزيمات الميكروبات هي الاخرى بالمرونة الفائقة. فلو صادفت خلية الميكروب مادة عضوية لاعهد لها بها ، قد تعجز في البداية عن هضمها ، ولكنها سرعان ما تتعود على هذه المادة فتنتج بعد حين الأنزيم القادر على هضمها. ومن أمثلة ذلك قدرة الكثير من الميكروبات على هضم البلاستيك ، بعد أن كانت عاجزة عن ذلك في أوائل العهد بهذه المادة الجديدة.

خطورة التلوث الكيميائي :

أما التلوث الكيميائي فخطورته على صحة البشر لم تعد محل جدل. ولو استمرت معدلات التلوث الحاليه ، فسوف تصل بالتأكيد في زمن غير بعيد الى حدود مهلكة. أما الميكروبات فليس قصارى أمرها أن التلوث الكيميائي لايقضي عليها - بل الواقع أن هذا التلوث يؤدي الى تكاثرها وازدهارها ، فمن الميكروبات كما ذكرنا ما يعود على المواد الملوثة ، واستحدثت الأنزيمات القادرة على هضمها ، وأصبح يستخدمها كغذاء. ومن أمثلة ذلك غاز الأثيلين الذي يلوث الجو من جراء احتراق البنزين في السيارات ، هذا الغاز تستهلك الميكروبات منه كميات كبيرة للغاية كغذاء لها. ولو تطرقنا الى التلوث الاشعاعي ، لعلمنا أن الاشعاعات النووية تقضي على الانسان والميكروبات على حد سواء. غير أن الميكروبات تعيش أساسا في التربة التي توفر لها حماية فعالة ضد أثار هذه الاشعاعات. بينما يعيش الانسان فوق الأرض ، معرضا بصورة مباشرة هذه الاشعاعات. وفضلا عن ذلك فالميكروبات هنا تتصف أيضا بالمرونة

الفائقة فاذا مات الكثير منها بأثر الاشعاعات ، فان الكثير الآخر تتحور صفاته الوراثية ، فتنتج منه طفرات جديدة أكثر شراسة من الميكروب الأم

أما العامل الثاني - ونقصد به الصراع ، فلنظر في حال الانسان وحال الميكروبات اذا نشبت - لاقدر الله - حرب نووية شاملة اذا قدر للانسان أن يهلك نفسه على كوكب الأرض ، فلن يكون ذلك في تقديرنا الا من خلال مثل هذه الحرب أما ما سوى ذلك من مشاكل ، مثل التلوث والانفجار السكاني ، مصحوبا بنقص الانتاج الغذائي وغيرها ، فهي تقديرنا لا تؤدي في أسوأ الأحوال الى انقراض الانسان ، بقدر ما تؤدي الى (توقف النمو البشري)

الحرب النووية الشاملة مع الأسلحة المتكررة الموجهة ضد حياة البشر خاصة ، هي التي يمكن أن تجتث الجنس البشري من الأرض ، فماذا ياترى سوف يكون عليه حال الميكروبات ؟

أشرنا الى أن هذه الأحياء تعمر التربة أساسا ، مما يوفر لها حماية ممتازة من خطر الاشعاعات ولاشك أن أعدادا منها سوف تموت ، على أنها يقينا لن تجتث تماما ويكفي أن تقاوم خلايا قليلة من هذه الأحياء ، لكي تجتاح الكرة الأرضية من الناحية العددية في زمن وجيز ذلك أن هذه الأحياء تتصف بمعدلات تكاثر لاتدانيها في سرعتها أحياء أخرى راقية فالخلية الواحدة قد تنقسم الى خليتين مرة كل ٢٠ الى ٣٠ دقيقة وفي حساب أحد العلماء - وهو حساب واقعي - أن خلية بكتيرية واحدة إذا انقسمت واتيح لنتاجها أن ينقسم كل ٣٠ دقيقة ، فسوف يصل النتاج البكتيري بعد يوم ونصف يوم الى حد من الوفرة ، يستطيع معه أن يغلف كوكب الأرض بغلاف بكتيري محكم ، سمكه حوالى قدم كامل ومن فضل الله على الأحياء أن البكتيريا لايسمح لها في الطبيعة بالانقسام على هذه الصورة المذهلة السرعة ، الا لساعات قليلة فقط ، والا لما تركت مكانا على الأرض تعمره أحياء أخرى سواها

تطور ما بعد الكارثة :

ولانختتم هذا المقال ، قبل أن نتطرق الى الحديث عن التطور بعد وقوع الكارثة التي قد تهلك البشر - لاقدر الله - محاولين الاجابة عن السؤال الملح هل يؤدي مثل هذا التطور الى انسان جديد في المستقبل القريب ، أو البعيد ؟ ولن يدعى أحد منا بلغ من الغرور - وقانا الله شره - أنه قادر على رسم خط التطور بعد الكارثة النووية وقصارى مانستطيعه هنا - بناء على ما أتاحته لنا البحوث من معرفة - هو أن ننفي أو نؤكد بعض الأمور دون الخوض في التفصيلات فأولا هل يستمر أو يستأنف التطور بعد الكارثة ؟ والاجابة عن هذا السؤال هي على وجه اليقين (نعم) ، ذلك أن التطور من طبيعة الأحياء - تماما كما هو من طبيعة الأفكار . حيث يرى هيجل أن لكل فكرة فكرة مضادة ومن محصلة تفاعلهما معا تخلّق (بتشديد اللام) الفكرة الجديدة التي سرعان ما ينشأ لها (ضد) وهكذا - وبالمثل لقد أثبتت البحوث البيولوجية ، أن صفات الفرد من الأحياء هي في الواقع محصلة لاثار عاملين - عامل الوراثة الذى تتحكم فيه الجينات المحمولة على الكروموزومات في الخلايا ، والتي تربط الفرد بجدود الى صفات ابائه ، وعامل النزوع الى الاختلاف عن الصفات الموروثة وماصفات الفرد في الواقع الا المحصلة النهائية هذا الصراع المستمر استمرار الحياة نفسها لاشك اذن أن التطور سوف يستمر بعد الكارثة - على أننا نجزم بأن هذا التطور لن يؤدى الى انسان جديد في المستقبل القريب أو البعيد ، فعامل النزوع الى الاختلاف في التطور يرتبط ارتباطا وثيقا بالظروف البيئية - وكما يقولون (فالكائن الحي هو نتاج بيئته) - ولكي ينشأ انسان جديد من خلال تطور جديد ، وجب أن تعود الظروف البيئية على الأرض ، كما كانت عليه في غابر الزمن ثم لابد هذه لظروف نفسها ان تتغير على نفس المنوال الذى تغيرت عليه في الماضي وكل هذا محال.فما راح لاعودة له أبدا ، وظروف الأرض البيئية اليوم تختلف عما كانت عليه في الماضي ، وسوف تختلف في المستقبل

نخلص من ذلك الى أن التطور سوف يستمر بعد الكارثة ، ولكنه سوف ينمو نموا مختلفا ، تماما عما لو لم تقع الكارثة النووية وسوف يؤدى هذا التطور الجديد الى كائنات (راقية) جديدة لايعلم صفاتها الا الله ، ولكنها على وجه اليقين لن تكون مطابقة لصفات الجنس البشري الذي يحيا اليوم على كوكب الأرض

وجها لوجه



د. عز الدين اسماعيل و حسن محمود عباس

* النقد ليس مطية ذلولا لكل من أمسك بالقلم !

* المسرحيات التي تكتب وتؤدى بالعامية تخدم أعراضا وقتية ،
وتؤدى وظيفة محدودة بحدود الزمان والمكان

* ممارسة العمل الابداعي ليست شرطا لازما للناقد

* الثنائية اللغوية واقعة في حياتنا حتى في الجامعات !

يقف الدكتور عز الدين اسماعيل فى الصف الأول من جيل النقاد العرب المعاصرين . ولو ألقينا نظرة على مؤلفاته ـ وهى مراجع يقصدها الدارسون والباحثون ممن تعنيهم دراسة الأدب العربى الحديث ـ لوجدنا فيها خير دليل وشاهد على صدق ما نقول ـ ان من بينها كتبا أعيدت طباعتها مرات عديدة ، فكتابه « الأدب وفنونه » الذى ظهرت طبعته الأولى فى عام ١٩٥٥ ، قد طبع للمرة السادسة فى عام ١٩٧٦ .

ومازال كتابه « الأسس الجمالية للنقد العربى » مرجعا مهما فى هذا الباب . كما أن دراساته التى ضمنها كتاب « التفسير النفسي للأدب » وأصدرها فى عام ١٩٦٣ تعد علامة بارزة فى النقد العربى الحديث ، وقليلة هى الدراسات المسرحية التى تجارى كتابه القيم « قضايا الانسان فى الأدب المسرحى المعاصر »

أما كتاب « الفن والانسان » فقد تجلت فيه ثقافة موسوعية تحيط بمذاهب الفن فى مختلف العصور ، واقتدار على النقد الفنى لا يقل عن اقتداره فى النقد الأدبى

اننا فى هذه العجالة نضرب أمثلة ولا نقدم حصرا ، فالكتب كثيرة ، والأبحاث المنشورة فى الدوريات العربية أكثر ، وكل منها يحمل من فكر الدكتور عز الدين اسماعيل ومن علمه وثقافته حظا وافرا ، لقد كانت هذه الدراسات والأبحاث حصيلة أكثر من ثلاثين سنة ، قضاها فى رحاب الجامعة دارسا واستاذا وعميدا لكلية الآداب بجامعة عين شمس ، وقد تتلمذت عليه فيها أجيال من المثقفين العرب

أدار الحوار الزميل حسن محمود عباس ، وهو كاتب ومحرر بالمجلة . وهكذا دار الحوار وكانت المواجهة

البدايات الأولى

● عملت استاذا جامعيا لما يقرب من ربع قرن ثم رئيسا للهيئة العامة للكتاب ، ثم رئيسا لأكاديمية الفنون ، وفوق هذا وذاك كنت تعمل رئيسا لتحرير مجلة فصول ـ مجلة النقد الادبى ـ ففى أى هذه المواقع وجدت نفسك ؟

ـ لقد عملت فى الجامعة أكثر من ثلاثين عاما ، متدرجا من وظيفة معيد الى وظيفة أستاذ ، واعتقد انى كنت أعرف طريقى الى كلية الاداب منذ زمن يعود الى المرحلة الثانوية ففى هذه المرحلة بدأت الاهتمامات الخاصة بالأدب والشعر قراءة وكتابة ايضا وقد عرفت فى السنتين الأخيرتين من الدراسة الثانوية حلقة العقاد صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ، وادمنت التردد عليها طوال دراستى فى كلية الآداب ، ثم كانت أول محاولة للخروج من الدائرة الضيقة ، سواء فى المدرسة الثانوية أو فى الكلية ، تلك الدائرة التى تضم مجموعة الشباب شداة الأدب وكتاب الشعر ، أقول كانت أول محاولة للخروج من هذه الدائرة الضيقة نسبيا الى دائرة الكتابة والنشر على نطاق أوسع قد بدأت فى بداية عام ١٩٤٨ ، وأنا فى السنة الثانية بالكلية ، عندما نشرت أول مقال نقدى لي بمجلة الثقافة ، التى كانت تصدر آنذاك ، وكان عنوان هذا المقال « قوانين النقد الأدبى »

هذه البداية شجعتنى بالتأكيد على الاستمرار فى موالاة المجلة بالمقالات ذات الطابع النقدى ولم أفكر فى نشر شعر لى فى ذلك الوقت ، لأنى كنت اتصور أننا على وشك تغيير جذرى فى رؤيتنا هذا الفن الادبى ، ولعلى تجرأت فى سنة ١٩٥٠ على نشر قصيدة فى تلك المجلة ، وان كانت فى تقديرى أثرا من آثار تأثرى بمجموعة شعرائنا الرومانسيين البارزين ، فى أثناء هذه الدراسة اتجهت بميل طبيعى فى القراءة الى كتب فلسفة الجمال ، أو علم الجمال بالأحرى ، وكان أول كتاب قرأته فى ذلك الوقت كتاب الاستطيقا

أو علم الجمال للفيلسوف الانجليـزى بوزانكيت . ومازلت اذكر اعتذاره فى بداية هذا الكتاب عن عدم معرفته باللغة العربية ، الأمر الذى فوت عليه أن يتعرف آراء المفكرين المسلمين فى نظرية الجمال . ولعل هذا الاعتذار هو الذى ظل يشغلنى بعد ان تخرجت في الكلية ، فقد رأيت أن هذا الجانب من الفكر الاسلامى لم يحظ من قبـل بالاهتمـام ، وخصوصا الاهتمام الذى يربط بين النظرية الجمالية عند العرب المسلمين والنظرية النقدية .

ومن ثم كرست جهدى لدراسة هذا الجانب عدة سنوات انتحت فى نهايتها دراستى التى تحمل عنوان « الأسس الجمالية فى النقد العربى » ولكنى فى الوقت نفسه وجدتنى مشغولا كذلك بعلم النفس فى علاقته بالادب أيضا ، وقد نشرت على أثر تخرجى في الجامعة سلسلة من خمس مقالات ، نشرت تباعا فى مجلة الثقافة بعنوان « التفسير النفسى للنقد الادبى » ، هـذا الاهتمام استمر كذلـك الى جـوار الاهتمـام السابق ، حتى أثمر فيما بعد ـ وفى أوائل الستينيات ـ كتاب « التفسير النفسى للادب » ، ولا شك أن عملى فى الجامعة منذ عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٨٢ قد هيأ لى الـظروف المـلائمـة للمضى فى اصدار عـدد من الـدراسات ، التى تتصـل بنظريـة الأدب ونظريـة النقد ، والانواع الأدبية المختلفة ، كالقصة والمسرحية والقصة القصيرة ، ولا أنسى الشعر الذى ربمـا ظفر منى بأكبر عدد مما أنتجت من دراسات وما أصدرت من كتب ، فى مقدمتها يأتى « كتاب الشعـر العربى المعاصر » ، ولكنى كنت فى الوقت نفسه أتحرك خارج اطـار الجامعـة ، فى اطار جماعة أدبيـة كانت تضم مجموعة من الزملاء والأصـدقاء ، عـرفت منذ عـام ١٩٥٢ باسم « الجمعية الأدبية المصرية » وكانت تقيم ندواتها الادبية والثقافية مساء كل ثلاثاء ، حتى توقف نشاطها فى أوائل السبعينيات ، وفى اطار هذه الجمعية التى كان نشاطها يتصل اتصالا مباشرا بالجماهير من رواد نـدواتها ، كنت أصرف جزءا لا بأس به من نشـاطى الأدبى ، وأعتقد أن هـذه الجمعية بقدر ما أفادتنا ـ نقادا وشعراء ـ فى بلورة كثير من مفاهيمنـا ، كانت كذلك عامل تحريك للحياة الأدبية ، ولأجيال من الشباب توافدت على ندواتها ، وبصحت أدواتها فى اطارها . لعلى بهذا السرد الطويل أنتهى الى أن عملي فى الجامعة كان البيئة الملائمة لنشاطى العلمى والأدبى ، وأن عملى بالهيئة العامة للكتاب ، وان كان شديد الارتباط بالمجال الثقافى ، فـان الجهد الـذى بذلته كان على حساب انتاجى الشخصي . ولذلك فاني أعتقد أن عملي الحالى رئيسا لأكاديمية الفنون هو بمثابة عودة الى المناخ القديم ، الذى يتيح للانسان أن يجمـع بين ادارة مؤسسـة علميـة كهـذه وانتـاجـه الخاص .

مجلة فصول

● يـرى البعض أن مجلة فصـول قـد غلب عليها الطابع الأكاديمى ، فـارتقت رقيا حجبها عن عامة المثقفين ، وجعلها تتجه الى الخاصة ، وهى فئة قليلة نسبيا ، فهل اتجهت المجلة هذه الوجهة بتأثير من رئيس التحرير ، أم أن هذا الزى الذى تظهر به المجلة كان مقدَّرا لها ومحسوبا منذ ان كـان انشـاؤهـا فكـرة فى اذهـان مؤسسيها ؟

ـ بدأت فكرة انشاء مجلة فصول فى بدايه عـام ١٩٨٠ ، نتيجة احساس عـام بأن السـاحة الأدبيـة كانت قد أصبحت تفتقر الى مجلة رصينة ، تجاوز ما تقدمه المجـلات الأدبية فى ذلـك الوقت ، وتحـاول اللحـاق بالتـطور الفكـرى العـالمى فى مجـال النقـد الأدبى ، هذا التطور الذى كان قد جاوزنا بمراحـل طويلة وكانت كتاباتنا النقدية متخلفة عنه بالضروره كانت كل الأطروحات النقدية فى ذلـك الوقت قـد استهلكت ، لكثرة تكرارهـا ودورانها من كتاب الى كتاب ومن مقالة الى مقالة وأستطيـع أن أقول ان مناخا من الركود والتجمد كان قد جثم على الساحة الأدبية على نحو ارتضى فيه كثير من المشتغلين بالنقد ما كانوا قد حصلوه قبل ذلك منذ سنوات طويلة ، وما كـانوا يكـررونه فى كتـاباتهم وفى أحـاديثهم فى كـل مناسبة ، ظنا منهم أنهم بلغوا الغاية ، وأنهم فى غير حاجة الى مزيد ، من هنا كان لا بد أن تتحدد لمجلة فصول منذ البداية مهمة شاقـة ، هى أن تعيد أولا للنقد الأدبى مكانته فى حقل العلوم الانسانية ، وأن تثبت فى الاذهان أنه ـ أعنى النقد ـ ليس مطية ذلولا

لكل من أمسك بالقلم ، وأنه على العكس يحتاج الى تأهيل طويل وخبرة واسعة وممارسة مضنية ، وأن تؤكد ثانيا أن ما توقفنا عنده لم يعد كافيا أو صالحا لمواجهة ما يطرأ على الساحة الادبية من تطلعات جديدة في مجال الابداع ، وان الأجيال الجديدة التي شقت طريقها الى الممارسة النقدية ، تحتاج الى الاتصال بما طرأ عالميا في ساحة النقد الادبي من تيارات ومناهج على المستويين النظري والتطبيقي .

وفي جملة واحدة كان لا بد أن تكون هذه المجلة الجديدة في الحقل النقدي بمثابة الصناعة الثقيلة التي تغذي الصناعات الأخرى الخفيفة ، كان لابد أن تتغير لغة النقد ومنظوراته وأدواته وطرائق تعامله مع النص الأدبي . وكان طبيعيا أنّ انجاز هذا المشروع رهن باسهام أولئك الاساتذة الجامعيين ، الذين اتيحت لهم ـ بوصفهم افرادا ـ فرص الاتصال المباشر والوثيق بتلك التيارات والمناهج ، التي كانت قد صارت عند المثقف العربي شيئا مألوفا للغاية . وكان طبيعيا أيضا أن تكون هذه المجلة صادمة للعدد الأكبر ممن يشتغلون بالنقد الأدبي ، وخصوصا في المجال الصحفي ، فقد طرحت عليهم أشياء جديدة ، يحتاج هضمها وتمثلها الى كثير من الجهد ، وكانوا قد ظنوا بأنفسهم أنهم ختموا العلم ، ولم يعودوا في حاجة الى جديد ، ويصدق فيهم المثل القائل (الانسان عدو ما يجهل) ولذلك ظهر هذا العداء منهم للمجلة في أعدادها الأولى ، ولعلها هوجمت من ناحية قوتها التي كان يدركها الجميع بلا شك ، ولكنه الدفاع عن الذات . لكن الأيام اثبتت أن الراغبين في هذا المستوى من الثقافة يجاوزون الأكاديميين ، وأن هناك أجيالا جديدة ملت الأعمال المبتذلة ، ورغبت في كل ما هو جاد وجديد .

*** كتبتَ مسرحية واحدة هي « محاكمة رجل مجهول » ثم توقفت ، فهل القريحة ـ وهي خصبة ـ لم تعد تسعف في هذا المجال من مجالات الابداع الفني ، أم أنك لم تجد في المسرح الأداة الملائمة للتوصيل ؟**

ـ هذه المسرحية التي كتبتها في عام ١٩٧٠ ونشرت في العام التالي هي مسرحية شعرية ، كان التحدي الأساسي فيها هو بلورة لغة شعرية صالحة للمسرح في الوقت نفسه ، وبعبارة أخرى كتابة مسرحية شعرية تحقق الهدف الدرامي بالدرجة الأولى ، ولا تعول على رنين الايقاع الشعري في التأثير على جمهور المشاهدين ، حيث يصبح عندئذ مجرد أداة لتعميق المعنى أو الشعور الذي تعبر عنه الشخصية المسرحية ، وقد شرعت بعدها بثلاثة أعوام في كتابة مسرحية أخرى تستلهم ملحمة جلجامش البابلية ، دون أن تتقيد بأحداث هذه الملحمة ، أو أن تجعلها هدفها الرئيسي . أعتقد أن الفكرة الأساسية فيها كانت تعالج شخصية الحاكم الدكتاتور، الذي يخيل اليه أنه لابد أن يعيش الى الابد ، وما ينشأ عن ذلك من جرائم ترتكب في حق الشعب . وقد كتبت فصلين منها شعرا أيضا ، ثم تركتها بعض الوقت لظروف لاأستطيع تحديدها الآن ، ولكنني حينما فكرت في العودة اليها لانجاز الفصل الثالث والأخير لم أعثر عليها ، والحقيقة أن عملي في مجال الدراسات الأدبية والتدريس في الجامعة ومسئوليات هذا العمل المتشعبة ، ثم عملي في هيئة الكتاب الذي يستهلك يومي كله ، كل ذلك كان يحول دون التفرغ لانجاز عمل أدبي كبير كهذا ، بل انني كنت نادرا ما أختلس الوقت لكي أكتب قصيدة جديدة ، مجرد قصيدة ، ومازلت أعتقد ان العمل الأدبي المسرحي له أولويته على كل فنون الأدب الأخرى ، اذا كان الكاتب يريد لكلمته أن تكون ذات فاعلية مباشرة وتأثير ملموس .

الفصحى والعامية

*** كتبت المسرحية باللغة العربية الفصحى ، أي أنها نحّت اللهجة العامية جانبا ، ألم تشغلك قضية لغة الكتابة للمسرح ، والمسرحية مازالت مشروعا ؟**

ـ لم تكتب هذه المسرحية باللغة العربية الفصحى فحسب ، بل كانت شعرا كذلك ، وكان الهدف من ذلك ـ فضلا عن توظيف الشعر في المسرح وتطويعه لمقتضياته الدرامية ـ هو اعطاء المسرح احترامه الواجب ، والارتفاع به وبجمهور رواده الى مستوى التذوق الراقي ، والاحساس بكفاءة اللغة الفصحى ، وخلق تيار من الكتابة للمسرح بهذا

المستوى. والحق أن الشعر الذى كان ينشر فى شكل قصائد فى نهاية الستينيات كان قد تطور بالقصيدة، وخرج بها من مستوى الغنائية التقليدية الى الرؤية الدرامية، ولم يكن هناك الا خطوات قليلة يخطوها الشاعر لكى يخرج من دائرة القصيدة المفردة الى البناء الدرامى المركب فى شكل مسرحية. كان هذا انقاذا من جانب آخر للشعراء، من الوقوع فى تكرار أنفسهم فيما يكتبون من قصائد مفردة، وذلك بدخولهم الى عالم هذا البناء المركب، الذى يجمع بين الرؤية الدرامية واللغة الشعرية الملائمة، حتى ذلك الوقت لم يكن هناك مسرح شعرى يحمل نبض الحداثة، الا ما كتبه عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور. وقد شهدت السبعينيات تطورا ملحوظا لا فى مصر فحسب، بل فى بعض الاقطار العربية فى مجال الكتابة للمسرح، حيث دخل عدد لا بأس به من الشعراء فى هذا المجال وكتبوا أعمالا درامية بالشعر، وأعتقد أن هذا الاتجاه مازال يغازل بعض الشعراء ويستحثهم على الدخول فيه. بل ان بعض من كتبوا للمسرح باللغة الفصحى نثرا ـ واستطيع أن أقول أيضا حتى باللغة العامية ـ كانوا فى كثير من الأحيان يرتفعون فى مستوى الأداء اللغوى الى المستوى الشعرى، احساسا منهم بأن الشعر بهذا المعنى الواسع يضيف الى العمل عمقا فى رسم الشخصية، وما يتحرك بداخلها من مشاعر وأفكار

*** ألا تسهم الكتابة للمسرح وكتابة الشعر ايضا بلهجات محلية في تأصيل الازدواجية في الشخصية العربية ؟**

ـ من الواضح ان البدايات الأولى للمسرح العربي كانت تلتزم بالعربية الفصحى، فأبو خليل القباني شاهد ملموس على ذلك. ولكن الاتجاه الى اللغة العامية قد عرف طريقه الى المسرح ايضا منذ اوائل السبعينيات من القرن الماضي، على يدي يعقوب صنوع، سواء فيما ألف أوفيما عرّب، ومنذ ذلك الحين عرف المسرح اللغتين، وظل كذلك يؤكد صلاحيتهما للأداء المسرحي. والواقع ان من يكتبون للمسرح ويعترون في الوقت نفسه بالقيمة الادبية لما يكتبون، انما يلجأون دائما الى اللغة الفصحى، ويكفي شاهدا على ذلك ان شيخ كتاب المسرح توفيق الحكيم منذ ان كتب مسرحية اهل الكهف حتى آخر مسرحية له، ظل ملتزما باللغة العربية الفصحى، سواء في المسرحيات الطويلة او في المسرحيات ذات الفصل الواحد، وسواء في المسرحيات ذات الطابع الذهني او التي تتصل بالمشكلات اليومية للمجتمع. ومعنى هذا انه استطاع من خلال الفصحى المطوعة للأداء المسرحي ان يعالج موضوعات من مستويات مختلفة، وان يجعل من هذه المسرحيات اعمالا ادبية منشورة، يمكن قراءتها في اي زمان. اما المسرحيات التي تكتب بالعامية وخصوصا عندما تكون مغرقة في الطابع المحلي الذي يشخص اللهجات الخاصة، فانها تقتصر على الاداء المسرحي وعلى جمهور المشاهدين من ابناء هذه اللهجة، ولا تنهض بحيث تعد في ذاتها اعمالا ادبية قابلة للقراءة، حتى المسرحيات التي طبعت ونشرت من هذا النوع كثيرا ما تصعب قراءتها، لأن طريقة كتابتها ليست اصطلاحية مطردة، كما هو الشأن في اللغة الفصحى، وعلى ذلك نستطيع القول ان المسرحيات محدودة بحدود الزمان والمكان اللذين تؤدى فيهما، ولا نستطيع ان ننكر انها في هذه الحدود قد تكون ذات تأثير ملحوظ لكننا عندما نتحدث عن الأدب المسرحي العربي الذي نستطيع ان يخاطب الجماهير العربيه في كل مكان، وان يظل رصيدا ادبيا لكل الاجيال، فانما نتجه اذهاننا مباشرة الى الكتابة المسرحية التي التزمت العربية الفصحى

النقد والطبع

*** يقال ان الناقد يبدي خير ما عنده ان كان مبدعا في مجال الفن الذي ينقده. فقد كان كولريدج من كبار نقاد الشعر في الادب الانجليزي، وكان شاعرا. وكان لسنج وجوته وشيلر وبيرتولت بريخت في الادب الالماني نقادا ومنظرين كبارا، وكانوا ـ فضلا عن ذلك كتابا مسرحيين، وكان اي. ام فورستر ناقدا وكاتبا روائيا. فهل ممارسة العمل الابداعي شرط لازم للناقد ؟ وماذا يقال عن افلاطون وارسطو وقد كانا ناقدين للشعر، ولم يكونا شاعرين ؟**

ـ لا نستطيع ان نقول ان ممارسة العمل الابداعي شرط لازم للناقد ، فليس من الضروري ان يكون شاعرا كبيرا حتى يكون ناقدا كبيرا . ولكن من الضروري ان يكون اتصاله بالنوع الادبي الذي ينقده اتصالا حميما ، وان تكون معرفته بطرائق هذا الفن معرفة كافية . وربما قيل احيانا ان الناقد مبدع اخفق في الابداع ، ولكن هذا ليس صحيحا ، فالابداع نشاط من نوع يختلف كل الاختلاف عن النشاط النقدي ، ويكفي ان ننتبه الى ان انتاج الكاتب المبدع هو موضوع الناقد . على انا حين نذكر افلاطون وارسطو ونتذكر انهما كانا ناقدين للشعر ولم يكونا شاعرين ، فان هذا القول ينبغي ان نتريث فيه قليلا ، فمن المعروف ان المعلم الأول قال الشعر في بداية حياته الفكرية ، ولكنه فيما يبدو لم يكن شعرا لامعا . اما افلاطون فمن ذا الذي لا يشعر انه شاعر من قمة رأسه الى اخمص قدميه حين يقرأ محاوراته ؟ وعندما نتأمل فيما خلفه لنا كبار الادباء المبدعين من نقد فاننا نلاحظ ان احدى الكفتين عندهم ترجح الاخرى عادة ، فشاعر مثل ت . اس . اليوت مثلا له كتاباته النقدية ، لكنه لم يحرر مجده الادبي بكتاباته النقدية بقدر ما احرزه بشعره ، واي ام فورستر يكتب عن فن الرواية ، ولكن قيمته الادبية انما ترتكز اساسا على ما ابدعه من اعمال روائية ، وقس على ذلك الشعراء من الالمان والفرنسيين والانجليز ، بل الشعراء النقاد العرب كذلك . فابن المعتز مثلا شاعر اولا وناقد ثانيا ، والقاضي الجرجاني ناقد اولا وشاعر ثانيا ، وهكذا . ومع ذلك فليس هناك ما يمنع من ان يكون الناقد الكبير شاعرا كبيرا كذلك ، دون ان يرتب نجاحه في احد الجانبين على اتقانه للجانب الآخر . فهذا كما قلت ضرب من النشاط وذاك ضرب آخر .

النقد والابداع

*** النقد عمل ابداعي . فهو لا يكتفي بالتفسير الذي يستمد القدرة من سعة الاطلاع والثقافة ، وهما مكتسبتان ، ولكنه يعمد الى التحليل والتأويل ، فقد يذهب الناقد في تحليله وتأويله للعمل الأدبي مذاهب لم تكن تخطر لمبدع النص على بال . فهل للموهبة والقدرة الذاتية دخل في هذا ، كأن يقال مثلا ان فلانا ناقد مطبوع ، مثلما يقال عن آخر انه شاعر مطبوع ؟**

ـ اذا صح ان يقال ان فلانا شاعر مطبوع ، فأعتقد انه من الصعب ان يقال ان فلانا ناقد مطبوع . وقولنا ان النقد عمل ابداعي وهو قول يمثل على كل حال وجهة نظر تقبل الجدل ، لايعني بالضرورة ان النقد يصدر عن الطبع تلقائيا ، ولا مناص في العمل النقدي من الخبرة الواسعة بموضوع النقد ، واكتساب هذه الخبرة من خلال الممارسة الطويلة ، حتى عندما تبدو الكتابة النقدية اعادة لابداع العمل المنقود ، وتحقق شرط الابداع في هذه الحالة فان النتيجة عندئذ تصبح عملا ابداعيا جديدا ، لا عملا نقديا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . ولاشك ان بعض الممارسات النقدية تتجه هذا الاتجاه ، فيصبح النقد عندئذ مجرد قراءة شخصية صرفة للعمل المنقود ، وتتطلب من القارىء الاهتمام بعيدا عن العمل الأصلي نفسه .

وقد يبدو التأويل في ظاهر الامر عملا يقوم على الاجتهاد الشخصي ، وعندئذ يصبح ذاتيا ، ولكن التأويل بمعناه الدقيق في السياق النقدي يعني شرح معطيات التحليل في الاطر الزمانية والمكانية التي ظهر فيها العمل الادبي . اي ان التأويل مرتبط بمجموعة الأطر المرجعية التي تلقي الضوء على دلالات العناصر المختلفة التي اشتمل عليها العمل الادبي والتي كشف عنها التحليل . وليس من المهم ان يكون صاحب العمل الادبي نفسه واحدا من هذه الاطر المرجعية ، لان اقراره بما ينتهي اليه التأويل او انكاره لذلك لا يمكن ان يعول عليه ، لسبب بسيط للغاية ، هو انه في اللحظة التي شرع فيها في انتاج عمله الادبي لم يكن على وعي كامل ودقيق بالابعاد اللغوية التي كان لها تأثير غير مباشر في تشكيل عمله الادبي .

ومن جهة اخرى فكثيرا ما يكون العمل الادبي نفسه مجرد قناع يتوارى خلفه الاديب ، ظانا بهذا انه استطاع ان يقدم الوجه البديل للحقيقة الأولى المحركة ، تلك الحقيقة التي تعمل عملها في الخفاء ، والتي تؤكد في نهاية الامر ان الاديب نفسه لم يكن بمعزل عن تلك الاطر المحيطة به . □

حكايات شرق وغرب

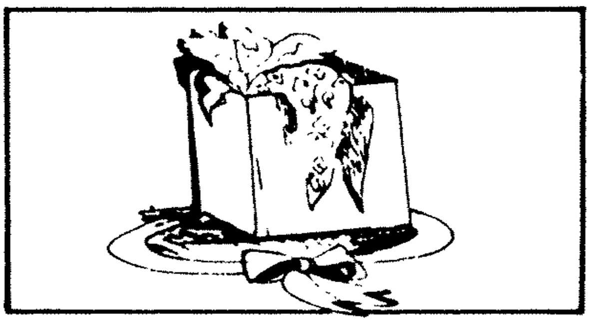


هدية العام الجديد

أراد أن يستقبل العام الجديد بعمل طيب يبقى حيا في ذاكرته هو على الاقل طوال أشهر السنة ، كان يريد أن يسعد قلبا ، أو يسهم في ازالة همّ عن أسرة فقيرة يعوزها المال .. ولكن مشكلته كانت تكمن في كثرة عدد الفقراء بمدينة رانحون في بورما ، وفي الاعداد الكبيرة التي تضع اجسامها في الأسمال البالية ، وتندس بين الفقراء وهي لاتمت اليهم بصلة لأنهم يجدون أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للهرب من القانون ، وأخيرا لأنه هو نفسه رجل متوسط الحال ، ولايستطيع أن يقدم الكثير ، ويكفيه أن يسعد انسانا واحدا ، ولكن كيف يجده وسط الزحام الكبير من أصحاب الأيدي الممدودة

وفي مساء أحد الأيام خرج كعادته كل يوم يبحث عن الفقير الذي سيقدم له هديته الصغيرة بمناسبة مولد العام الجديد .. وامتد به الوقت ، وطال بحثه عن ضالته ولكن على غير جدوى ..

وأخيرا قرر أن يعود ، على أن يستأنف رحلته مع مجيء اليوم الجديد .. ولكنه وجد نفسه يتوقف فجأة عندما لمح شبح رجل يرتدي ملابس نظيفة .. رجل جاوز رحلة منتصف العمر ، ووقف يرقبه وهو لايدري لماذا اختاره هو دون سائر الناس الذين كانوا يمشون في الشارع بعد أن غابت الشمس .. ووجد الرجل يخرج من جيبه منديلا أبيض كبيرا ويلقي به على الأرض .. ثم رآه يتلفت يمينا ويسارا قبل أن ينحني ويلتقط المنديل مرة أخرى ، ولكنه كان يبدو أضخم وأثقل من حجمه ، وكأن المنديل يحمل شيئا في داخله .



ومشى الرجل في طريقه دون أن ينظر وراءه .. وقرر الرجل الآخر الذي يبحث عن الراحة في العطاء .. أن يتبعه ـ وفعل .. حتى اذا ما رآه يدخل بيته الصغير المتهالك في هذا الحي الفقير الذي يعيش فيه أسرع يطرق الباب .

وفتحه الرجل صاحب المنديل .. وما كاد يراه حتى أجفل وأحس بالفزع .. وقال في صوت خفيض ذليل : « هل من خدمة أؤديها لك .. هل تبحث عن أحد هنا في حينا ؟ »

قال : « أبحث عنك ، وعن المنديل الذي كنت تحمله »

انا لم أسرق أحدا ياسيدي ، انها دجاجة ميتة سوف آتيك بها لتراها .. ان زوجتي تحتاج لغذاء خاص لاأملك ثمن شرائه ، لأنها ترضع الصغير الذي رزقنا به منذ اسبوع .. ووجدت الدجاجة فجئت بها الى البيت !! »

وأسرع الرجل يخرج كل ما في جيبه ويقدمه له ويقول وهو يودعه ويتمنى له عاما سعيداً « أنت رجل فقير يا سيدي ، ولكنك غني بخلقك وكرامتك » .

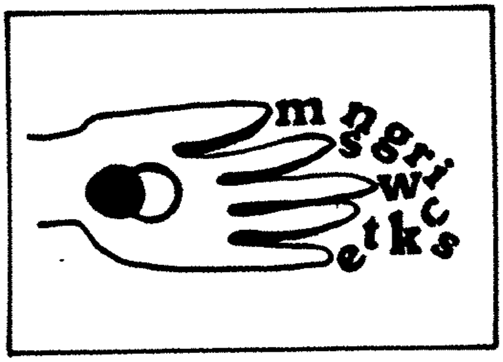
بيرو وقصته مع القلم !

كان يمضى عطلة قصيرة فى يوغسلافيا ، عندماالتقى صدفة بقائد كبير من الأرجنتين ، هو الجنرال أوجستين جوستو . وكان الشاب يجلس الى مكتب صغير يكتب رسالة الى أمه . . ولاحظ الجنرال أن القلم الذى يستخدمه صاحبه فى الكتابة ، قلم غريب لم ير مثله من قبل . . وسأله : ما هذا ! »

وقال الشاب المجرى : « انه قلم جديد من ابتكارى ! » ودعاه الجنرال الى زيارة الأرجنتين ، وكان ذلك فى عام ١٩٤٠ ، وقبل الشاب الدعوة . . ولم يعد الى بلاده منذ ذلك التاريخ . . فقد أعجبته الحياة هناك ، بعد أن لمع اسمه وأصبح من أصحاب الملايين !

انه جوزيه بيرو الذى ابتكر قلم الحبر الجاف ، وباع براءة الاختراع الى أحد فروع شركة باركر فى الأرجنتين على أثر وصوله اليها منذ أكثر من خمسة وأربعين عاما . . وفى بونيس أيرس عمل بيرو مع الشركة التى اشترت اختراعه الجديد ، لتطوير قلم الحبر الجاف وبيعه فى الأسواق على نطاق واسع .

ولم يكن قلم الحبر الجاف هو الاختراع الوحيد الذى قدمه بيرو الذى ما زال قلمه يحمل اسمه ، فقد قدم أكثر من ثلاثين اختراعا ، من بينها أسقف المنازل العازلة للحرارة والبرودة ، وقد اشترت براءة هذا الاختراع احدى الشركات النمساوية .



ومات بيرو فى أواخر العام الماضى عن ٦٨ عاما ، بعد مرض قصير لم يمهله طويلا . . وكان حتى آخر يوم فى حياته يعمل فى جراج سيارته الملحق بالبيت الصغير ، الذى يعيش فيه بمدينة بلجرانو بالأرجنتين ، فى عمل كلفته به اللجنة القومية للطاقة الذرية .

وعندما كتبت صحف الأرجنتين تنعى بيرو ، قالت : « انه لم يكن مخترعا فحسب ، بل كان كاتباً يتمتع بأسلوب رقيق ، وكان رساما ، ولا تزال بعض لوحاته تحمل مكان الصدارة فى متحف بودابست للفنون الجميلة . . فهى المدينة التى نبت فيها ، وكرمته بأن اختارته عضوا فخريا فى الأكاديمية الملكية للعلوم عام ١٩٣٨ . . فقد ولد بيرو مخترعا !!

عندما أصيب الأب بلوثة !

كان يوما لا ينسى فى حياة ضابط الجيش اليونانى المتقاعد الكابتن جورج كاراجيورجاس ، عندما تخرج ابنه ديمتريس فى الأكاديمية العسكرية فى أثينا عاصمة اليونان ، بامتياز مع مرتبة الشرف .

وتوقع الأب أن يحذو الابن حذوه ، وأن يسير على نفس الخطا التى سار عليهاوالده من قبله ، فيلتحق بسلاح المشاة الذى حارب هو فى صفوفه ضد الشيوعيين ، ابان الحرب الأهلية فى اليونان بين عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٩ .

ولكن الأب مالبث أن صدم عندما وقف ابنه يعلن عن عزمه على حضور الصلاة التى ستقام على أرواح هؤلاء الذين سقطوا فى الحرب الأهلية ، ومن بينهم الشيوعيون .

وجلس الأب يناقش ابنه فيما اعتزم القيام به ، ولكن يبدو أن كل مناقشاته لم تفلح فى اقناع الضابط

الشاب بالعدول عن رأيه ، بل على العكس فقد زادته تصميما على المضى فى قراره ، ووقف يقول لأبيه فى تحدٍّ : « لقد مضى على الحرب الأهلية فى اليونان أكثر من ٣٦ عاما ، ولابد لنا أن ننسى خلافاتنا ، ونقف صفاً واحدا فى مواجهة الأخطار المحدقة ببلادنا !

ولكن الأب رفض أن يفهم . . لقد وجد أن هذاالتصّرف الذى سَيُقدِمُ عليه الابن سوف يجلب العار على الكتيبة التى سيلتحق بها ، وعلى الأسرة التى ينتمى اليها ، وعلى اليونان كلها . . وقرر أن يفعل شيئا ! لقد حمل المسدس الذى لم يستخدمه منذ تقاعده ، وأطلق رصاصة واحدة على الابن « العاقّ » ، أردته قتيلا !

وقدم الأب للمحاكمة . . ولا تزال أثينا كلها تنتظر صدور الحكم . . ويقول المستشارون العسكريون أن الأب المجنون سوف يواجه عقوبة الاعدام رميا بالرصاص ، بعد ادانته أمام المحكمة العسكرية

التوأمان

كانت حياة أوستن رافي وشقيقه جون سلسلة من المصادفات العجيبة ، فهما توأمان أشبه ما يكونان بحبتين من البازلاء وضعتا في طبق صغير ، لايمكن أن تميز بينهما اذا وجدا في مكان واحد

ولد التوأمان منذ سبعين عاما . وأصيب أوستن بالحصبة ، وبعد ساعات كان جون يرقد في فراشه مصابا بنفس المرض ، وعندما نقلوا جون الى المستشفى لاستئصال اللوزتين ، كان أوستن يرقد في الغرفة المجاورة له عندما اكتشف الطبيب أن لوزتيه تفرزان صديدا ، رغم أنه لم يشْكُ منهما مرة واحدة في حياته

كانا يذهبان الى نفس المدرسة ، ويجلسان في فصل واحد ، وعندما تخرجا في الجامعة وقف الشقيقان يحتفلان بزواجهما في نفس اليوم .. حتى عندما قال لهما الطبيب أنهما في حاجة الى نظارة طبية ، اكتفيا بصنع نظارة واحدة كان يستخدمها الشقيقان في القراءة

ومنذ بضعة أسابيع نقل أوستن الى المستشفى لاجراء عملية جراحية لاستئصال احدى رئتيه ونجحت الجراحة ، وكان شقيقه جون يزوره كل يوم ويمضي معه عدة ساعات ، لايلبث أن يعود بعدها الى بيته بمدينة ليفربول التي يعيش فيها شقيقه أيضا في نفس الحي ، وفي نفس الشارع مع زوجتيهما بعد أن كبر ولداهما وتزوجا ، وانجب كل منهما ولدا وبنتا

ولكن لم تكد تنقضي بضعة أيام على وجود أوستن في المستشفى حتى فوجىء بالممرضات يفسحن مكانا



لوضع فراش آخر في غرفته .. « ماذا حدث ؟ » مريض جديد سوف يشاركه غرفته

وكانت المفاجأة عندما اكتشف أوستن أن المريض هو شقيقه جون الذي حملوه الى الغرفة التي يرقد فيها ، بعد إجراء عملية جراحية استأصلوا فيها احدى رئتيه !!

قال الطبيب يروي القصة .. « لقد أصيب جون بدوار وسقط في سيارة الأوتوبيس ، ثم حملوه الى المستشفى ، وقررنا اجراء جراحة عاجلة له في الرئة » وعندما جاءت زوجة جون لتطمئن عليه ، وفتحت باب حجرتهما بعد أن أذن الأطباء لها بالدخول ، وقفت حائرة عندما وجدت الاثنين يجلسان في فراشيهما ، ويتطلعان اليها والابتسامة تعلو وجهيهما الشاحبين .. ترى أيهما زوجها

وفجأة سمعت أحدهما يسأل . « أين زوجتي ؟ .. لماذا لم تأت معك ؟ » وأسرعت الى الثاني لتطبع على جبينه قبلة رقيقة



اسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم

شيخ الكيميائيين بالقيروان

بقلم : الدكتور/ ممدوح حسين

رجل أفنى العمر فى العلم والصناعة . أما العلم فهو الكيمياء ، وأما الصناعة فهى مساحيق التجميل للسيدات ! أين كان ذلك ، ومتى ؟ وهل كان يظن احد أن لمساحيق النساء صناعة رائجة فى القرن الثالث الهجرى ؟ من كان فى شك من ذلك فليتابع سيرة « الطلّاء المنجم » !

التاريخ ، هذا السجل الضخم لتراث الامم والشعوب ولمختلف جوانب حياتها ، تسطع فى صفحاته أسماء ، وتتوه فى ثناياه أخرى فيطويها النسيان ، وهو وان كان قد انصف البعض ، فانه حجب هذا الانصاف عن البعض الآخر ، وأضفى على آخرين ثوبا من تكريم مبالغ فيه لا يستحقونه ، ومن بين الذين لم ينصفهم التاريخ فى تراثنا العربى والاسلامى ، عالم كانت حياته أشبه بومضة سريعة ومضت فى سماء العلم والمعرفة فى غرب العالم الاسلامى فى أواخر القرن الثالث وصدر القرن الرابع للهجرة . تعددت مواهبه ، وبرع فى أكثر من علم واتقن اكثر من فن ، ومع ذلك أغفله كثير من المؤرخين وكتاب التراجم والطبقات حتى أصبح التعرف عليه والتعريف به ليس بالامر اليسير ،

وبالرغم من هذه الصعوبة التى نواجهها فى التعرف على جميع ابعاد هذه الشخصية الفذة ، فان ذلك لا يمنعنا من محاولة تسليط بعض الضوء عليها ، ويحدونا الامل أن تكون هذه المحاولة نواة أو بداية لدراسة متخصصة توفى هذا العالم حقه ، وتضعه فى مكانته اللائقة به بين نظرائه .

وعالمنا هذا هو اسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم ، ولكلا لقبى الطلاء والمنجم اللذين عرف بهما صلة مباشرة ببعض العلوم التى برع فيها ، وكل ما نعرفه عن بداية حياته أنه ولد فى القيروان فى النصف الثانى من القرن الثالث للهجرة ، ومن المعتقد انه كان ينتسب الى أسرة متواضعة ، ولكن ضيق الحال به وبأسرته لم يقف حائلا دون اكتسابه حصيلة علمية ممتازة ومتعددة الجوانب .

القيروان والماضي المشرق

بدأ اسماعيل بن يوسف حياته العلمية فى بلده القيروان التى كانت وقتئذ أحد المراكز الحضارية الهامة فى بلاد الاسلام ، بل كانت منارة العلم والمعرفة فى غرب العالم الاسلامى فى ظل امراء بنى الاغلب الذين حبوها من العناية والاهتمام والرعاية القدر الكبير ، فتعددت المدارس والمعاهد العلمية فيها وقصدها العلماء من شتى انحاء بلاد الاسلام لما كان يبذله لهم هؤلاء الامراء من عطاء سخى وما يحيطونهم به من مظاهر التكريم تقديرا لعلومهم ومواهبهم ، وقصدها طلاب العلم من مختلف انحاء غرب العالم الاسلامى فضلا عن شرقه للنهل من مناهلها العلمية العذبة العديدة والاخذ عن علمائها ، وفى هذه البيئة الحضارية الزاهرة نشأ اسماعيل بن يوسف ، فأخذ عن العديد من علماء بلده مبادىء العلوم الدينية وعلوم اللغة وما اتصل بها من العلوم النقلية حتى اذا ادرك انه قد نال بغيته سمت به همته للرحلة الى المشرق فى طلب المزيد من العلم شأنه فى ذلك شأن النابهين من طلاب العلم المغاربة .

لم يكن اسماعيل بنّ يوسف حينما بدأ رحلته قد تجاوز مرحلة شبابه المبكر ، فقصد مصر أولاً واقام بها متنقلاً بين معاهدها العلمية ومجالس شيوخها ، وبصفة خاصة جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط ، ثم انتقل الى الحجاز فأدى فريضة الحج ، وحضر الكثير من حلقات الدرس التى كانت تعقد فى الحرمين الشريفين ويحضرها نخبة من العلماء ما بين معلم ومتعلم ، ولما كانت سيرته فى كتب التراجم والطبقات قد جاءت مقتضبة ، فمن غير اليسير علينا أن نتعرف على أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم او اتصل بهم فى كلا القطرين .

ورحل اسماعيل بن يوسف الى العراق ، وتنقل بين مراكزه العلمية الى أن استقر به المقام فى بغداد حاضرة الدنيا حينذاك . فتبحر فى العلوم اللغوية بصفة خاصة حتى أتقنها ، يدل على ذلك قول الزبيدى عند التعريف به (كان من ذوى العلم التام بالعربية) وقول جلال الدين السيوطى عنه (كان مقدما فى علم العربية) ، وابن الابار الذى يصفه بأنه كان من ذوى العلم بالعربية (مع تميز بالادب ، وتصرف فى قرض الشعر) . ثم استهوته العلوم العقلية فدرس العديد من فروعها ، وبرع على وجه الخصوص فى علم الفلك والتنجيم ، يؤكد ذلك تحلية كل من الزبيدى وابن الابار له بقولهما : (كان غاية فى علم النجامة) والسيوطى نقلا عن الشيخ مجد الدين فى « البلغة » : كان (غاية فى علم النجامة) ومن هذا العلم اكتسب لقبه الاول (المنجم)

وطالت اقامته فى العراق فى طلب العلم ، الامر الذى أدى الى نفاذ ما تبقى لديه من نفقته القليلة أصلا ، وتعذر عليه تجديدها لرقة حال أسرته كما تقدم ، الا ان ذلك لم يضعف همته عن مواصلة طلب العلم والعودة الى بلده ، فلم يجد غضاضة فى العمل بيده لكسب قوته واستكمال دراسته ، ويشاء الله سبحانه وتعالى أن ييسر له العمل فى حانوت تخصص فى صناعة العقاقير ، وبصفة خاصة مستحضرات التجميل التى كانت تعرف بالطلاء كما يقول الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، اى ما يختص بوسائل تجميل وجوه النساء وتطريتها بالاردهان والعقاقير المناسبة ، وهو ما يسمى فى عصرنا الحاضر (بالمكياج) .

الطلاء المنجم

أقبل اسماعيل بن يوسف على عمله الجديد بنشاط العامل المخلص ، وهمة وصبر طالب العلم المثابر ، ودقة واستقصاء العالم الباحث . كان يبحث ويستقصى جميع ما يتعلق بكل مستحضر ليعرف اسرار تركيبه ومنافعه ، وما قد ينجم عن استعماله من مضار وأساليب معالجتها ، ولم يكن نشاطه واخلاصه ليخفيا على صاحب العمل بطبيعة الحال فأعجب به . ولم يلبث أن منحه ثقته وأطلعه على أسرار هذه الصناعة حتى حذقها وعرف غامضها ، ومن هذه الصناعة اكتسب لقبه الثانى (الطلاء) أى صانع الطلاء الذى أضيف الى لقبه الاول،واشتهر بهما حتى وردا مقرونين باسمه فى كتب التراجم والطبقات .

وغير خاف على أحد ما يتطلبه اتقان هذه الصناعة الدقيقة من مؤهلات ، فمن غير اليسير على الكيميائى العادى أن يقتحم ميدانها لما تتطلبه من حذق ومعرفة تامتين بعلم الكيمياء فضلاً عن الالمام بالطب والصيدلة ومن هذه المستحضرات ما كان مفردا ومنها ما كان مركبا من مراهم ولبخات وأدهان للتطرية او لعلاج بعض الأمراض الجلدية ، ومنها ما كان للتزين ، وهو ذو الوان وانواع واستعمالات مختلفة وقد روعى فيها جميعا أن تكون طيبة الرائحة حتى لا تعافها النفس او تنفر منها ، يضاف الى ذلك مختلف أنواع العطور . وكل هذه الأنواع لا سيما المركبة منها كان يتطلب مهارة تامة وخبرة واسعة فى معرفةكل مادة من المواد التى يتكون منها المستحضر فضلا عن خصائها حتى تؤدى الغرض المطلوب . ذلك أن اى خطأ فى المقادير قد يؤدى الى نتائج عكسية كالتهاب فى البشرة او ظهور بثور او طفح عليها نتيجة لتفاعل هذه المواد كيميائيا مع البشرة ، فضلا عن ان التركيب الكيميائى لطبقة الجلد الخارجية قد يختلف من شخص لاخر ، وليس ذلك فحسب ، بل انه قد يختلف فى نفس الشخص من مرحلة الى اخرى من مراحل حياته كما يقول خبراء التجميل .

مثابرة على الدرس

ولم يقف عمل اسماعيل بن يوسف فى هذه الصناعة الدقيقة حائلا دون مواصلة دراساته الاخرى ، اذ تنقل فى دراسته من علم الى آخر من فروع العلم والمعرفة التى كان يشتغل بها العلماء فى بغداد وقتئذ ، حتى اذا نال منها غايته . غادر العراق الى بلاد الشام ، ثم الى مصر ثانية حيث طاف فى أرجائها فى طلب المزيد مما كانت تميل اليه نفسه من العلوم اللسانية والادب والفلسفة والفنون الرياضية ، الى جانب الفلك والتنجيم وصناعة الطلاء ، حتى اذا مهر فى كل ذلك عاد الى بلده القيروان .

كان عاهل الدولة الأغلبية حينذاك هو الامير ابراهيم الثانى المعروف بالأصغر (سنة ٢٦١ هـ ـ سنة ٢٨٩ هـ) الذى يعتبر بحق من أهم اساطين النهضة الحضارية الزاهرة التى شهدتها افريقية فى ظل تلك الدولة ، ومن أشد امرائها حبا للعلم وتكريما للعلماء ورعاية لهم ، فضم بلاطه نخبة منهم حتى أصبح صورة مصغرة عن دار الخلافة فى بغداد ، وتوج جهوده فى رعاية الحركة العلمية فى دولته بانشاء (بيت الحكمة) فى « رقاده » بالقرب من القيروان ، وقد كان جامعة بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، تدرس فيها مختلف العلوم ، ويقوم على تدريسها اساتذة متخصصون فأشبه بذلك سميّه فى بغداد . فكانت هذه الجامعة بعثا جديدا وعاملا قويا لنشر الثقافة العربية الاسلامية فى انحاء المغرب الاسلامى بما كان يضمه من اقطار جنوب غرب أوربا .

لم تكن انباء عودة الطلاء المنجّم الى القيروان لتخفى عن هذا الامير العالم ، فسرعان ما عرف بقدومه فاستدعاه الى بلاطه فى « رقادة » وطارحه فى العديد من المسائل العلمية ، مختبرا قدراته ومدى سعة علمه ، فأعجب به ايما اعجاب لما رأى فيه من النجابة والبراعة فى كل فن ، وقربه من نفسه ، وماهى الا فترة وجيزة حتى أصبح الطلاء من أقرب خواصه ، فقد جمع حب العلم بينهما لاسيما شغفهما بعلم الفلك وفن التنجيم ، فربط ذلك بينهما رباطا وثيقا لم ينفصم .

وبالرغم من هذا التقدير والمودة التى أحاط بها

الامير الأغلبي عالمنا (الطلاء المنجم) والمكانة السامية التي حظي بها لديه ، الا أن من المرجح انه لم يستأثر به عن طلاب العلم ، لايمانه بأن العلم ملك للجميع ، وأن حصر نشاط العالم في البلاط اشبه ما يكون بالحجر عليه ، فهو بحاجة للطلاب بقدر حاجتهم اليه ، ففيهم يرى نفسه ويتعرف على أبعاد شخصيته ، وبتفاعله معهم - تأثيرا فيهم وتأثرا به - يكون اقدر على العطاء ، واحتجابه عنهم هو اشبه بحجب الضوء عن النبتة التي بدونه لا تلبث أن تذوى وتذبل ، لذلك فمن المعتقد أن الأمير ابراهيم الأصغر ألحقه مدرسا (ببيت الحكمة) التي ضمت حينذاك نخبة من خيرة علماء ذلك العصر مثل ابن الصايغ وابي اليسر الشيباني اللغويين المعروفين ، واسحق بن عمران واسحق بن سليمان الاسرائيلي وزياد بن خلفون ، وهم الاطباء الذائعو الصيت ، وابن ظفر الطبيب الاديب الحكيم ، وابي سعيد عثمان بن سعيد المعروف بالصيقل وابن القيار الكيمياني الذى تخصص في صناعة النار الاغريقية ، وغيرهم .

تدريس العلوم

ومن الراجح أن الطلاء المنجم الى جانب تدريسه الرياضيات والفلك عكف على تدريس الكيمياء ، وان صح هذا الترجيح فانه يكون بذلك من اوائل من قاموا بتدريسها ليس في افريقية فحسب ، وانما في غرب العالم الاسلامي بأسره ، وما جعلنا نكتفي بالترجيح فقط هو عدم وجود نص صريح - في المصادر القليلة التي تعرضت له - يؤكد ذلك أو ينفيه فضلا عن ان تلك المصادر قد اغفلت مؤلفاته ان كانت له مؤلفات ، واما السبب في ترجيحنا هذا فهو معرفته الواسعة بهذا العلم الامر الذى يجعلنا نشك كثيرا في انه لم يمارس تدريسه في بيئة علمية تتلهف على كل ما هو جديد من علوم . وأيا كان الامر ، فقد اخذ الطلاء المنجم يؤثر في مسيرة الحركة العلمية في افريقية تأثيرا مباشرا اذ قصده طلاب العلم للاخذ عنه فضلا عن مناظراته ومناقشاته مع نظرائه من العلماء سواء في البلاط الاميرى او في بيت الحكمة .

وتمر الأيام بالطلاء المنجم وهو يقضي معظم أوقاته متنقلا بين القيروان وبلاط رقادة وجامعتها لمدة لانعلمها على وجه التحديد قبل أن يقرر الارتحال الى المشرق من جديد ، ولكن هذه المرة بصحبة الامير ابراهيم الاصغر . ذلك أن هذا الامير عزم في سنة ٢٨٨ هـ/٩٠١ م على السفر لاداء فريضة الحج بعد أن مهد الامور في دولته ، فرد المظالم وأمن البلاد وشرد أهل البغي والفساد ، وتبرع بكل ممتلكاته للفقراء ، واظهر الزهد والنسك على حد قول ابن الاثير . فكان أن اختار الطلاء المنجم لمرافقته في هذه الرحلة الطويلة ، ربما لان نفسه كانت تألفه وتأتنس به ، وربما لخبرته الواسعة في شئون الشرق وأقطاره بحكم تجوله في أنحائه اثناء رحلته السابقة ، أو لكلا الامرين معا . وعلم الطلاء المنجم بهذا الاختيار فرحب به بالرغم من مشقة السفر ومخاطره ، ذلك أنه رأى فيه فرصة ذهبية ينبغي عليه اغتنامها لتجديد الصلة بمن بقي على قيد الحياة من شيوخه وأقرانه من ناحية ، والاطلاع على ماستجد في ميدان العلم والمعرفة في المراكز العلمية المشرقية من ناحيةثانية ، فضلا عن اداء فريضة الحج للمرة الثانية .

ومع أن الامير ابراهيم الاصغر غير خط سيره من مصر الى صقلية ليجمع بين فريضتي الحج والجهاد من ناحية ، وتجنبا للمرور بمصر لما كان بينه وبين حاكمها هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون من فتور من ناحية ثانية ، الا أن ذلك التغيير لم يخفف من حماس الطلاء المنجم ، وبقي على عزمه على مصاحبة اميره في رحلته تلك ، وفي اول سنة ٢٨٩ هـ/٩٠٢ م غادر الركب الاميرى رقاده قاصدا سوسة ، فدخلها الامير مرتديا فروا مرقعا تشبها بالزهاد ، ولم يكن زى مرافقيه وفي مقدمتهم عالمنا الطلاء المنجم أفضل من زيه ، ومن سوسة أبحر بأسطوله الى صقلية حيث قصد مدينة طبرمين احدى مدنها الهامة التي لم تكن قد فتحت بعد ، ففتحها بعد معركة دامية بينه وبين أهلها ، ثم قصد مسينا (Massina) حيث غزا نواحيها وثبت السيطرة الاسلامية على مجازها ، ثم سار الى كسنسه باقليم قلورية في جنوب ايطاليا حيث وافته منيته اثناء حصارها في ليلة السبت الحادى عشر من ذى القعدة سنة ٢٨٩ هـ/ ٢٦ اكتوبر سنة ٩٠٢ م .

لم يشغله الجهاد

كان الطلاء المنجم رفيق الامير ابراهيم المقرب فى جميع هذه الحروب التى خاضها فى صقلية وجنوب ايطاليا ، وهو اذا كان قد شارك فى أعمال الجهاد ، فاننا نرجح أن ذلك لم ينسه واجبه كعالم . ونشك فى أن المشتغلين بالعلم فى صقلية لم يغتنموا فرصة وجوده فى بلادهم لقصده والاخذ عنه . فان صح هذا الترجيح ، فان ذلك يجعل للطلاء المنجم دورا رائدا فى الحركة العلمية فى صقلية فى هذا الوقت المبكر من تارخ هذه الحركة .

ويعود الطلاء المنجم الى القيروان مع جثمان أميره ، وقد أثقله الحزن الذى طفحت نفسه به الامر الذى انعكس على حياته فاثر فيها فيها تأثيراً عميقا ، وظهر ذلك بوضوح فى ابتعاده عن البلاط الاميرى فى رقادة تدريجيا ، بالرغم من أن مكانته فى ذلك البلاط بقيت على حالها ، وحفظ له الخليفة ابراهيم الاصغر كل ود واجلال وتكريم ، الا أن نفسه على ما يبدو ابت عليه أن يخدم أحدا بعد صديقه الراحل . حتى اصبح لا يزور البلاط الا فى اوقات متباعدة ، وقنع بالعمل فى مستحضرات التجميل للسيدات ، فكان بذلك هو (أول من ادخل الطلاء البغدادى الى القيروان) كما صرح به الزبيدى ، ولهذا الأمر دلالته الهامة ، اذ انه يعنى أن الطلاء المنجم كان من أول الذين اشتغلوا بالكيمياء الصناعية فى غرب العالم الاسلامى .

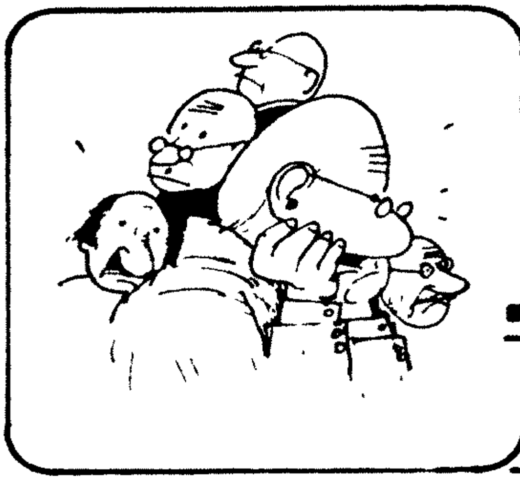
الوهم القديم

وانقضى عهد الدولة الاغلبية ليبدأ عهد الدولة الفاطمية ، وأخذ اعوان المهدى الفاطمى فى ملاحقةرجالات العهد السابق ، فانصرف الطلاء المنجم كليا الى عمله مبتعداعن كل ما يربطه بالحياة العامة خوفا على حياته ، الا انه وبالرغم من هذا الاعتزال لم يسلم من الملاحقة ، فسرعان ما وجد نفسه موضع تهمة خطيرةلا تقل عقوبتها عن الموت ، اذ اتهمه صاحب دار الضرب (دار السكة) بعمل الدنانير والدراهم الزائفة ، وهى تهمة قابلة للتصديق لما اشتهر به الطلاء المنجم من تبحر فى علم الكيمياء ، وما ارتبط فى اذهان الناس وقتئذ من وهم عن امكانية تحويل المعادن الرخيصة الى معادن نفيسة بهذا العلم .

وحيال هذه التهمة التى يظهر أن سببها الحقيقى كان صلته السابقة بالاغالبة لم يجد الطلاء المنجم امامه سوى الفرار من افريقية والالتجاء الى الاندلس كما فعل الكثير من نظرائه ، حيث قصد قرطبة واستقر بها فى خلافة عبد الرحمن الناصر ، ومنذ ذلك الوقت انقطعت عنا اخباره ، فلا ندرى هل التحق بخدمة خلفاء بنى امية كغيره من المهاجرين من رجالات الدولة الأغلبية وعلمائها ، ام انه واصل ابتعاده عن الحكام وقنع بعمل مستحضرات التجميل والارتزاق من بيعها . وان كنا نرجح الافتراض الثانى وانه لم يتصل بالبلاط الاموى عزوفا عن خدمة الامراء ، اذ لو جرى هذا الاتصال لسلطت عليه الاضواء واهتم بالترجمة له العدد الاكبر من كتاب التراجم والطبقات .

وعلى اية حال ، فاذاكان لم يخدم الخليفة الناصر ، فانه لم يقطع صلته بالحركة العلمية فى الاندلس ، بدليل أن المعلومات التى وصلتنا عنه كان مصدرها الرئيسى هو الزبيدى فى طبقاته ، والمتوفى سنة ٣٧٩ هـ اى أنه كان معاصرا له تقريبا ، وبالتالى فانه كان معروفا لدى المشتغلين بالعلم فى ذلك الوقت ، الامر الذى يستفاد منه ان الطلاء المنجم كان له تأثيره فى الحركة العلمية فى الاندلس ايضا ، بالاضافة الى أثره فى مثيلتها فى كل من افريقية وصقلية . والامر الذى نعلمه انه مات فى قرطبة فى الربع الاول من القرن الرابع للهجرة بعد حياة حافلة بالعطاء والترحال فى طلب العلم وبثه .

وبعد ، فان اسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم بجده ومثابرته وتجشمه مشاق الارتحال بين العديد من المراكز الحضارية طالبا للعلم ومعلما ومجاهدا يعتبر مثالا طيبا على مدى الترابط الوثيق الذى كان بين هذه المراكز شرقا وغربا بالرغم من بعد المسافات بينها وصعوبة الانتقال ، هذا الترابط الذى كان له اثره القوى فى وحدة الفكر فى بلاد الاسلام ، كما يعتبر نموذجا ممتازا على صبر المشتغلين بالعلم فى هذه البلاد ، وقوة عزيمتهم ومدى تصميمهم ورغبتهم فى تشرب العلوم النافعة بالرغم من الصعوبات التى كانوا يواجهونها ، والذين بهذه الصفات الحميدة التى غرسها فيهم الاسلام شادوا ارقى حضارة عرفتها البشرية فى العصور الوسطى . □



الجديد فى

شيخوخة الدماغ والخرف المبكر

اعداد : الدكتور فريد زيد الكيلانى

هل شيخوخة الدماغ مقصورة على كبار السن ، أم انها تصيب الشيب والشبان على حد سواء ؟

وهل هى مرض لا شفاء منه ، أم أن جهود العلماء قد أوصلتهم الى بارقة أمل تبعث الضوء فى العقول المظلمة ، وتعيد السعادة الى بيوت هدها الشقاء ، والابتسامة الى شفاه حرمت منها منذ أن داهمها هذا المرض الرهيب ؟

قال ميلدرد بونج وهو رجل فى الثالثة والخمسين من العمر ، عند أول شعوره بشيخوخة دماغه : « عندما يشعر الانسان انه بدأ بفقدان قدرته على التذكر ، يدرك أنه قد أصبح فى عداد الموتى ، فأنا الآن لا أكاد أذكر احتياجاتى التى لا غنى لى عنها الا بصعوبة ، لقد أصبحت أفكارى خاوية ، وصرت أشعر أننى أعيش فى فراغ ، وبهذه العبارات المفزعة عبر ميلدرد عن الحالة التى وصل اليها ، فقد كان يعتقد أنه لن يستطيع أن يصوغ مثل هذه الجمل اذ استفحل المرض فيه وتمكن منه .

لا ريب أن أقسى مرض يمكن أن يلحق بدماغ الانسان هو المرض المعروف باسم مكتشفه العالم

الألماني « الزايمر » الذي يتعرض فيه أسمى ما في الانسان - دماغه - للمرض والاختلال . فالامراض كلها يمكن أن تفتك بالمصاب مرة واحدة . وينتهي الأمر . أما مرض الزايمر أو شيخوخة الدماغ . الذي ينتهي في مراحله المتأخرة بما يعرف بالخَرَف أو فقدان الذاكرة ، أو عدم القدرة على التحكم في أكثر حاجات صاحبها خصوصية ، فهو يقتل المصاب به مرتين : الأولى حين يفقده الذاكرة ، فيميت دماغه ، والثانية حين يفقده القدرة على الحركة فيميت جسده .

كيف يبدأ ؟ وكيف ينتهي ؟

البوادر الأولى للمرض تبدأ بالظهور حين يعجز المصاب عن تذكر الاسماء والتواريخ والأماكن ، فيفقد بذلك سجل حياته بأكمله ، وتبدو له الأشياء كلها وكأنها تلتف بحجب كثيفة من الضباب ، لا يكاد يرى من خلالها شيئا ، أو يتعرف حتى على ملامحها ، وحتى أبسط الأشياء تصبح أمورا خارجة عن نطاق قدراته ، كاحكام ربط حذائه ، أو تقطيع شريحة من اللحم قبل تناولها ، أو حتى معرفة الوقت بالنظر الى عقارب الساعة ، ثم يبدأ الجسم بعد ذلك بالذبول ، ويبدأ الموت يزحف ببطء الى أعضاء الجسم تدريجيا ، فيفقد القدرة على المشي ، ثم يفقد القدرة على قضاء حاجته الطبيعية بنفسه ، ثم لا يلبث أن يصبح متكورا على نفسه في فراشه ، ويروح في غيبوبة طويلة تنتهي بالموت ، ويقدر العلماء الفترة التي يستغرقها المرض حتى يتمكن من القضاء على ضحيته ، بما يتراوح بين الست والثماني سنوات ، الا أن بعض الأجسام القوية قد تقاوم المرض ، وقد يمتد بها الصراع مع الموت الى عشرين عاما .

لقد اصبح العلماء يطلقون على مرض « الزايمر » نسبة الى العالم الذي اكتشفه اسم مرض العصر ، ويقدر عدد ضحاياه في أمريكا وحدها بأكثر من ثلاثة ملايين أميركي سنويا ، ويبلغ مجموع ضحاياه ممن هم على قيد الحياة حوالي ٢٧ مليونا ، وتبلغ نسبة المسنين منهم ، أي من تجاوزوا الخامسة والستين ٧٪ فقط ، وهؤلاء يعتبرون ممن أقعدهم المرض ، فأصبحوا من العجزة الذين لا يستطيعون القيام بأي عمل . . وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر من الأسماء التي كانت لامعة في شبابها الممثلة « ريتا هايوارث » ، والمخرج السينمائي الشهير « اوتو بريمنجر » ، والممثل المعروف « أدموند اوبراين » ، ونذكر من المشاهير الذين يتهدد المرض حياتهم الآن الكاتب المعروف « روس ماكدونالد ، والفنان الشهير « نورمان روكويل .

مدى خطورة المرض

رغم ان الطب يقوم في كل يوم بدراسات تحليلية متعمقة على التطورات الكيماوية ، التي تجري داخل الدماغ اثناء سير المرض . فالمرض لا يزال مستعصيا على الباحثين والمحللين ، فهو يصيب الناس من كل جنس ، ومهما كانت الطبقة الاجتماعية التي ينتمون اليها ، ويزداد عدد المصابين به مع ازدياد معدل الأعمار وارتفاع عدد المسنين ، ويحصد في كل عام في أميركا وحدها ١٢٠,٠٠٠ ضحية ، ليحتل بذلك المرتبة الرابعة بين الأمراض التي تؤدي بحياة المسنين . . اذ يأتي مباشرة بعد أمراض القلب والسرطان والسكتة الدماغية .

ظل الأطباء ، حتى وقت متأخر ، يعتبرون مرض الزايمر دخيلا على الطب ، وبعضهم لم يكن يعتبره مرضا على الاطلاق ، بل مجرد اضطراب وضمور طبيعي لخلايا الدماغ ، لا يعرف له سبب ولا مصدر ، وليس له علاج .

ومنذ أمد ليس بطويل ، بدأت تلوح في الأفق الطبي بارقة أمل ، فعقدة المرض المستعصية بدأت تستسلم أمام اصرار الباحثين والعلماء الأطباء ، وبدأت تتكشف لعيونهم من خلال أبحاثهم المتطورة الأسباب التي تؤدي الى الاصابة بالمرض ، وأخذت أسرار المرض الذي ظل لغزا محيرا لفترة طويلة من الزمن تستسلم لأبحاثهم واحدا بعد الآخر ، وصاروا الآن يعرفون لماذا يفقد الانسان ذاكرته وقدرته على التحكم في تصرفاته ، كما أن هذه الاكتشافات زادت من امكانية ايجاد علاج ناجح وفعال لمنع حدوث المرض أو ايقاف دماره . اذا تسلل الى عقل المصاب في غفلة منهم .

الأسباب

شيخوخة العقل عند المسنين ، كانت تعتبر فى الماضى نتيجة حتمية لخلل فى الدورة الدموية ، وعجز الدم عن الوصول الى الدماغ لتغذيته ، وفى عام ١٩٠٦ واجه « الويس الزايمر » - وهو طبيب الماني متخصص فى الأمراض العصبية - حالة شيخوخة متقدمة فى الدماغ عند امرأة كان يتولى علاجها ، وكانت الأعراض كلها ظاهرة للعيان ، لا تحتمل الجدل ، وليس فيها مجال للشك ، فقد كانت فاقدة الذاكرة ، مشوشة الأفكار ، وتعانى من الهلوسة ، مع أنها لم تتجاوز الحادية والخمسين ، وبعد موتها تمكن الزايمر من الحصول على اذن بفتح جمجمتها ، واستخراج دماغها وفحصه ، فوجد أن بعض أجزاء الدماغ تحتوى على كتل متشابكة من الألياف العصبية ، ملتفة على بعضها بشكل غريب ، وقد أطلق عليها اسم « الكتل المتشابكة من الألياف العصبية » ، وبعد مضى بضعة عقود على هذا الاكتشاف ، اعتبر الأطباء وجود مثل هذه الكتل التى وصفها الزايمر حدثا نادر الحصول ، وان حصل فهو يصيب صغار السن ، وأطلقوا عليه اسم « الشيخوخة المبكرة للعقل أو « خرف الشباب » .

وفى عام ١٩٦٠ اكتشف الباحثون بمكبراتهم الألكترونية المتطورة ، أن مثل هذه الكتل تتواجد أيضا فى أدمغة الشيوخ المصابين بالخرف ، وسرعان ما تغير مفهوم المرض ، وأصبح واضحا لديهم أن المرض الذى أطلقوا عليه اسم « خرف الشباب » وقالوا انه نادر الحدوث ،ليس مقصورا على الشباب ، ولا هو نادر الحدوث .

ان التشخيص والوصف اللذين أوردهما الزايمر للمرض ينطبقان على أكثر من نصف حالات الشيخوخة المبكرة ، أما الحالات الأخرى فهى غالبا ما تكون نتيجة شلل جزئى صغير ، يتكرر حدوثه داخل الدماغ ، فيقضى على جزء لا يستهان به من غشاء الدماغ أو نتيجة أمراض اخرى ، بعضها قابل للعلاج ، ولكنها فى مراحلها الأولى تسبب للمصاب بها حالة اضطراب عقلى ، تتمثل معالمه فى الشعور بالكآبة ، وباختلال فى عمل الغدة الدرقية ، وبعوارض النقص فى بعض أنواع الفيتامينات ، وعدم تقبل الجسم لبعض أنواع الأدوية ، وفقر الدم والادمان على المشروبات الروحية .

فقدان الذاكرة

ان فقدان الذاكرة فى مرض الزايمر يحدث عادة بعد سن الخامسة والستين ، ولكنه قد يأتى مبكرا فى الاربعينيات من العمر . يقول الدكتور بارى رايزبرغ من المركز الطبى بجامعة نيويورك : « ان بعض الناس وحتى كبار السن منهم - ممن يشكون صعوبة فى تذكر بعض الأمور . . كالمكان الذى وضعوا فيه نظاراتهم مثلا ، أو يجدون صعوبة فى تذكر بعض الأسماء كما كانوا يفعلون أيام شبابهم ، قد لا يكونون من المصابين بمرض الزايمر ، بل ان ذلك قد يكون نتيجة طبيعية لضعف الذاكرة مع تقدم العمر . . أمثال هؤلاء المرضى لا بد للطبيب أن يؤكد لهم أن هذه الأعراض طبيعية ، وهى أعراض حميدة قابلة للشفاء ، مع تحسن الصحة العامة للمريض .

أما حالات ضعف الذاكرة التى لا يستطيع الطبيب الا أن يوليها اهتمامه وعنايته ، فهى تلك التى تسبب للمصاب بها متاعب لا يمكن التغلب عليها ، سواء فى عمله أو فى حياته الاجتماعية ، فالمدرس الذى لا يستطيع أن يتذكر أسماء طلابه بعد ان يمضى معهم فصلا دراسيا كاملا ، والطبيب الذى ينسى مواعيده ، حالتان خطيرتان لا يمكن تجاهلهما .

احدى الظواهر الأخرى للمرض . . يطلق عليها الأطباء اسم « ابراكسيا » وهى العجز عن القيام بالأعمال الحركية المنسقة والمعقدة ، كتمشيط الشعر مثلا ، فالقدرة على القيام بمثل هذه الأعمال تتحكم بها أجزاء مختلفة ومتعددة من الدماغ ، وبعد هذه الأعراض الأولى تأتى الاعراض الأكثر جدية وخطورة ، فلا يعود المريض قادرا على التصرف بحكمة ، فقد يلبس ملابس الشتاء فى وسط الصيف ، فاذا صارت حالته أكثر سوءا ، لا يعود يميز بين حنفية الماء الحار وحنفية الماء البارد ، وهو تحت الرشاش فى غرفة الاستحمام ، وقد يسبب لنفسه بعض الحروق من الماء الحار ، وفى آخر مراحل المرض يصبح المريض قلقا ضائعا تائها ، لا يعرف كيف

يفرج كربته ، أو أين يجد راحته ، وفي هذه المرحلة قد لا يعرف أين يعيش ، ولا في أي فصل من فصول السنة هو الآن ، وقد ينسى المريض اسم قرينته اذا كان رجلا ، أو تنسى المريضة اسم زوجها .

العناية بالمريض

بعض ضحايا هذا المرض يصبحون عرضة لنوبات من الهيجان ، قد تصل بهم الى هاوية الانحراف الاجتماعي ، ويصبحون خطرين على المجتمع الذي يعيشون فيه ، فالمريض الذي يبلغ هذا الحد من الانهيار يصبح في أمس الحاجة الى عناية مستمرة ، فالزوج الذي تصاب زوجته بالمرض ، أو الزوجة التي يصاب زوجها به ، لا بد لهما أن يتحولا من انسانين عاديين الى قديسين يضحيان بنفسيهما وسعادتهما في سبيل سعادة وسلامة الآخرين .

وفي آخر مراحل مرض الزايمر يفقد المصاب القدرة على الكلام . اللهم الا بضع كلمات ذات مقطع واحد أو مقطعين منفصلين ، ثم يفقد القدرة على المشي ، وتصاب عضلات وجهه وذراعيه وساقيه بالتقلص ، وتستمر حالة المريض في التدهور بشكل تدريجي ، ولكنه ثابت ، على حد تعبير الدكتور مايكل جنايك من جامعة ماساشوست ، ولكنه يستدرك قائلا :

اذا كانت البداية سريعة ، فالتدهور يكون سريعا ، اما اذا كانت البداية بطيئة فالتدهور يكون بطيئا ، والنتيجة النهائية للمرض تكون موت المصاب بالالتهاب الرئوي ، نتيجة ادخاله الطعام الى القصبة الهوائية مع الهواء الذي يستنشقه واستقراره في رئتيه .

التشخيص

الطريقة الوحيدة التي تعطي نتائج مؤكدة عند التشخيص هي طريقة اقتطاع شريحة من غشاء الدماغ ، واجراء التحليل المخبري عليها ، فهذا التحليل قد يكشف الحقيقة المؤلمة عن مدى تكون كتل الألياف العصبية المتشابكة في غشاء الدماغ ، غير أن معظم الأطباء يعتمدون في تشخيصهم للمرض على فحوصات اقل تطرفا وايلاما للمرضى ، وكثيرا ما تكون هذه الفحوصات كافية لاستبعاد اية أسباب اخرى لما يعانيه المريض من اعراض ، ولكنها لا تعطي نتائج ايجابية مؤكدة عن وجود مرض « الزايمر » ، ففحوصات الدم مثلا قد تدل على أن المريض يعاني من الانيميا ، أو وجود خلل في الغدة الدرقية ، أو نقص في فيتامين ب ١٢ ، وهذه قد تكون مصدرا للمتاعب التي يعاني منها . كما أن الأجهزة الطبية الحديثة التي أصبح بامكانها تسليط أشعة تخترق عظم جمجمة المريض ، وتمكن الطبيب من فحص الدماغ ، دون أن يخدش جلد المريض ، أو ينشر عظم جمجمته ، والاجهزة الرنانة الأكثر تطورا ، والتي تعمل بالطاقة الذرية الممغنطة ، فتخترق حاجز الجمجمة ، وتعطي رنينا تلتقطه اذن الطبيب حال عثورها على بوادر اي ورم أو مرض أصاب الدماغ فاحدث به خللا ، كما تشمل الفحوص التشخيصية أيضا تعريض المرضى لاختبارات قوة الذاكرة ، والقدرة على الانتباه والتركيز ، والقدرة على التعبير وادراك الابعاد ، واستكناه المسببات والنتائج .

ومع أن الأطباء لم يتمكنوا حتى الآن من العودة بدماغ اصابته الشيخوخة الى الحالة السليمة ، التي كان عليها قبل الاصابة ، الا أن هذا لا يعني اطلاقا أن الطب لا يستطيع أن يقدم أية مساعدة للمصاب . فعندما يكون المرض في مراحله الأولى ، وتكون الكآبة أهم أعراض المريض . يعطى المصاب بعض العقاقير المضادة للكآبة ، وفائدة مثل هذه العقاقير لا تقتصر على تخليص المريض من كآبته ، ولكنها تعمل على تأجيل ادخاله الى دور الرعاية الخاصة ، بل يذهب البروفيسور جينايك الى حد القول بأن التحسن الذي يطرأ على سلوك وتصرف المصاب بعد معالجته بالعقاقير المضادة للكآبة ، يكون كبيرا جدا ، ويمكن أن يعمل على تأجيل تدهور حالته العقلية أو تباطئها على الأقل ، والنوع الثاني من المساعدة التي يستطيع الطب تقديمها للمصاب ، عندما يكون المرض في مراحله الأولى هو كتابه قائمة بسيطة بالأعمال الروتينية التي يترتب على المريض عملها كل يوم ، وتعليقها في أماكن يسهل عليه رؤيتها ، أو تذكيره بها عن طريق الهاتف . . هذا النوع من المساعدة يطلق



شيوخ من الجنسين يستمعون بإصغاء الى حديث عن امراض الشيخوخة

عليه الأطباء اسم (عكازات الذاكرة) ، فاحدى المصابات بالمرض كانت أسرتها تخشى من أن تنسى تناول العلاج فى الوقت المحدد ، لذلك استخدموا الهاتف لتذكيرها بأن وقت تناوله قد حان ، وكانوا يخشون من خروجها لوحدها من البيت فى ساعات المساء فتضل طريقها ، فوجدوا ان كتابة جملة بسيطة على باب المسكن من الداخل تذكرها بعدم الخروج بعد الخامسة مساء ، قد حل لهم هذه المعضلة ، وبمثل هذه المساعدات البسيطة استطاعت المريضة أن تظل لوحدها في مسكنها ، وتمارس حياتها اليومية بشكل أقرب ما يكون الى الحياة الطبيعية لمدة سنتين كاملتين .

تطورات جديدة

وعلى الرغم من أن أسباب المرض ما زالت غير محددة تماما ، فالباحثون فى هذا المجال ما زالوا يواصلون أبحاثهم ودراساتهم ، فى محاولة دائبة لا تكل ولا تمل ، للكشف عنها ، فمعرفة الأسباب وتحديدها قد تساعد على تفادى الاصابة بالمرض .

ففى عام ١٩٧٦ اكتشف علماء بريطانيون فى ثلاثة مختبرات ، أن المصابين بالمرض هم من المصابين بفقر ملحوظ فى أحد الأنزيمات ، الذي يعمل على انتاج مادة الاسيتايلكولين ، التى تساعد على انعاش الذاكرة ، وتسهيل عملية الاتصال بين الخلايا العصبية ، وقد كان هذا الكشف حافزا قويا لاستكمال بحوثهم فى هذا الاتجاه ، كما يقول الدكتور بيتر ديفنز ، أحد الباحثين العاملين فى كلية البرت آينشتين للعلوم الطبية فى نيويورك .

وقد مكن هذا الاكتشاف الدكتور دونالدبراس ، والفريق العامل معه فى جامعة جونز هوبكنز للعلوم الطبية ، من السير قدما فى أبحاثهم ، وقد اكتشفوا من التحليلات التى أجروها على أدمغة المصابين خللا فى النيورونات فى النواة الاساسية للدماغ التى تقع فى مكان عميق منه ، حيث يتم انتاج سائل الاسيتايلكولين بشكل طبيعى ، ليقوم بعمله فى تنشيط وتغدية بقية خلايا الدماغ .

وقد توصل البحث العلمى فى السنوات القليلة الماضية الى طرق اخرى لاكتشاف أسباب المرض وأعراضه المبكرة ، يمكن اعتبارها كشفا جديدا فى هذا العالم الخفى من تلافيف الدماغ البشرى .

البحث عن الأسباب

أ ـ انسداد مركز تجميع المعلومات

فى الدماغ البشرى جزء خاص بتجميع المعلومات التى ترد اليه ، وتخزينها فيما يمكن أن يطلق عليه تجاوزا اسم « مركز تجميع وتخزين المعلومات » ويقع تحت قشرة الدماغ الوسطى .

وقبل أشهر قليلة اكتشف الباحثون فى كلية الطب فى جامعة (ايوا) تلفا واضحا فى مناطق معينة ، مجاورة لمركز تجميع وتخزين المعلومات ، فى أدمغة خمسة أشخاص من الذين ثبتت اصابتهم بمرض « الزايمر » ولا ريب فى أن حدوث انسداد فى المدخل المؤدى الى هذا المركز الحيوى فى الدماغ ، وانسداد الآخر فى النقطة التى تسمح للمعلومات المخزنة بالخروج ، سيجعل من الدماغ عضوا غير قادر على استقبال أية معلومات جديدة ، أو السماح للمعلومات المخزنة بالخروج ، ليستفيد منها المريض ، وبالتالى يفقد ما يسمى بالذاكرة ، على حد قول الدكتور انتونيوداماسيو ، وهو أحد أعضاء فريق الباحثين فى جامعة ايوا ، ويضيف قائلا . . ونحن نعتقد أن هذا قد يكون أحد الاسباب التى يمكن بواسطتها تفسير بعض أنواع فقدان الذاكرة ، التى يعانى منها بعض الناس فى مرحلة مبكرة من العمر .

ب ـ انخفاض نسبة (RNA) فى الدماغ

فى الدماغ السوى تتكون مادة بروتينية تقوم بتغذية خلاياه ، واحدى المواد الرئيسية التى تساعد على تكوين هذه المادة البروتينية هى مادة (RNA) ، وقد اكتشف الدكتور شارلز ماروتا أحد العاملين فى مستشفى ماكلين فى بلمونت ، أن المناطق التى تتكاثر فيها الكتل والتلافيف فى أدمغة المصابين بمرض الزيمر ، تقل فيها هذه المادة بشكل ملحوظ ، وبالتالى تقل المادة البروتينية التى تقوم بتغذية خلايا الدماغ . ومادة (رنا) التى تساعد على تكوين المادة البروتينية ، يقوم الجسم بالتخلص منها بعد أداء مهمتها بأحد الأنزيمات التى يفرزها ، وقد عثر ماروتا وزميله على أدلة تثبت وجود زيادة ملحوظة فى نشاط هذا الانزيم ، فى أدمغة المصابين بهذا المرض ، مما قد يكون سببا مهما فى نقص المادة البروتينية المغذية لخلايا الدماغ .

جـ ـ عوامل وراثية

تلعب العوامل الوراثية أحيانا دورا هاما فى الاصابة بهذا المرض . . فقد بلغت نسبة المصابين بهذا المرض عن طريق الوراثة بين ١٠ ـ ١٥٪ من مجموع المرضى ، وأطفال المصابين بالمرض تبلغ نسبة احتمال اصابتهم به ٥٠٪ ، وتظهر أعراض الاصابة على هؤلاء قبل وصولهم سن الخامسة والستين ، فاذا ما ظهرت الأعراض الأولى للمرض عليهم يكون تغلغله فى أدمغتهم سريعا وحادا ، كما اتضح للباحثين أن ثلث المصابين بالمرض ممن لم يرثوه عن آبائهم لهم أقارب مصابون به ، وكلما كان سن المصاب صغيرا كان احتمال اصابة أقاربه به أكبر ، أما اذا كان المصاب قد تجاوز سن السبعين ، فيرى الدكتور ليونارد هيستون من جامعة ميتشجان أن احتمال انتقال المرض بالوراثة الى اقاربه يكون أقل ، وقد عثر الباحثون على دليل آخر يثبت أهمية العوامل الوراثية فى زيادة احتمال الاصابة به ، فالمصابون بمرض (داون) ، وهو أحد الأمراض العقلية الذى يسببه أحد الكروموزمات التى تولدها خلايا الجسم ، يتطور المرض عندهم فى سن مبكرة ، تتراوح بين الخامسة والثلاثين والأربعين ، ويقعون ضحية مرض الزايمر ، وقد وجد الدكتور هيستون أن الأسر التى أصيب أحد أفرادها بمرض الزايمر يزيد احتمال وجود شخص منها مصاب بمرض (داون) ثلاث مرات على الأسر التى لم يصب أى من أعضائها بهذا المرض .

د ـ الفيروسات البطيئة الحركة

الكثير من الأمراض العصبية التى تؤدى الى ما يشبه أعراض الاختلال العقلى يسببها ما يمكن تسميته بالفيروسات البطيئة الحركة ، وهى كائنات عضوية تظل هاجعة لفترات طويلة ، قبل ان تبدو على المصاب بها أية اعراض وقد حاول العلماء نقل هذه الفيروسات الى بعض الحيوانات ، لاجراء تجاربهم

عليها ، وذلك عن طريق نقل جزء من غشاء الدماغ من أشخاص مصابين بمرض الزايمر ، الى الحيوانات المعدة للتجارب ، غير أن محاولاتهم هذه باءت بالفشل ، وبالتالى لم يتمكنوا حتى الآن من الوصول الى دليل حاسم على صحة نظريتهم .

والخلاصة أن محاولات الوصول الى حقائق قاطعة وحاسمة فى أسباب هذا المرض وطريقة الحماية منه أو معالجته بعد الاصابة به ، ما زالت تراوح مكانها ، والحقيقة التى تمكن العلماء من الوصول اليها حتى الآن ، هى أن المرض قد لا يكون له سبب واحد ، بل أسباب عديدة متداخلة بعضها ببعض ، تشمل الفيروسات والمواد السامة والجينات الوراثية .

طرق جديدة للعلاج

واستنادا الى هذه المعطيات المتاحة ، بدأ الأطباء خطوات حثيثة ومبشرة بالخير فى تجربة طرق جديدة للعلاج ، فاكتشافهم لوجود نقص فى مادة معينة ، يفترض توفرها فى الدماغ ، دفعهم الى البحث عن علاجات تؤدى الى اعادة رفع كمية هذه المادة الى النسبة المطلوبة ، وأنجح علاج توصل اليه العلماء فى هذا الصدد أطلقوا عليه اسم (فيزو سينجمين) ، وهو يعمل على زيادة مستوى الاسيتايلكولين ، عن طريق وقف مفعول أحد الانزيمات التى تعمل على التخلص منه ، وازالته من ثنايا الدماغ ، وقد أدى استعمال هذا العلاج الذى تولى الاشراف على تجربته على المرضى الدكتور كينيث ديفيس من كلية طب ماونت سيناى فى نيويورك ، الى تحسن ملموس فى حالة ثلاثة من أحد عشر مريضا ، أخضعوا للعلاج بجرعات يتناولونها عن طريق الفم ، وظهرت نتائج العلاج بارزة وسريعة على الذين لم يمض على اصابتهم بالمرض أكثر من سنة ونصف السنة ، فالعلاج الجديد يضعف مفعوله ، أو ربما ينعدم عندما يكون المرض قد بلغ مرحلة متقدمة ، اذ لا يعود هناك خلايا دماغية نشطة تقوم بافراز مادة الاسيتايلكولين التى تغذى الدماغ .

اما أكثر طرق العلاج الحديثة المبشرة بالخير فقد توصل اليها الدكتور روبرت هاربو من مركز دارتماوث - هيتشيوك الطبى فى هانوفر ، وقد بنى طريقته فى العلاج على احتمال عدم وصول الكمية المطلوبة من العلاج الى دماغ المريض ، عندما يقوم بتناوله عن طريق الفم ، ولذا قام هو وأعضاء الفريق العاملين معه بزرع مضخة صغيرة تحت الجلد الخارجى ، لبطن أربعة من المرضى المصابين بمرض الزايمر ، وعن طريق أنبوب رفيع يدخل من خلال ثقب فى غاية الدقة ، الى داخل جمجمة المريض ، تقوم المضخة بضخ سائل الاسيتايلكولين بشكل دائم الى داخل تجويف الدماغ . وقد اعترف أفراد أسر المرضى الذين استخدمت معهم هذه الطريقة فى العلاج ، بظهور تحسن ملموس على المرضى فى أنشطة كانت تعتبر مفقودة عندهم ، كالقراءة ، والعناية بالامور الصحية الشخصية ، والمحادثة ، والنشاط الاجتماعى ، وظلوا يمارسون هذه الأنشطة لمدة سنة بعد بدء العلاج ، ويأمل هاربو أن تستخدم المضخة الحاقنة هذه على عدد اكبر من المرضى ، وأن تستخدم علاجات اخرى أقوى مفعولا . . . . وهو يشعر الآن بالسعادة لنجاح هذه الطريقة فى العلاج والنتائج التى توصل اليها .

فترة مواجهة مثيرة

يقارن العلماء المواجهة الحاسمة بينهم وبين مرض الزايمر ، بنفس المواجهة التى خاضوها مع أمراض القلب قبل ثلاثة عقود من الزمن ، فقد كان الظن السائد بينهم أنه نتيجة حتمية للتقدم فى السن ، ثم استخدموا الأدوية التى استطاعوا بواسطتها السيطرة على ضغط الدم العالى ، ثم تعرفوا على الدور الذى تلعبه التغذية المقننة فى السيطرة على تصلب الشرايين ، وأدركوا أن كلا العلاجين قد يساعدان فى تخفيض عدد الوفيات بأمراض الشريان التاجى . . .

وهم اليوم يأملون أن تسير الأمور فى مواجهة مرض الزايمر على نفس المنوال . . فما يعرف عن المرض الآن يفوق ما كان يعرف عنه فى الماضى ، وسيعرف عنه فى السنة المقبلة أكثر مما يعرف عنه الآن . . حتى يصل الباحثون الى العلاج الحاسم . . . . . □

قاموس العربي

د

الدَّوْلـــــــة

هي الكيان السياسي ، والاطار التنظيمي ، والقوة الاجتماعية المنظمة ، التي لها وحدها السيادة داخل المجتمع ، وعلى أى فرد من أفراده ، وتعلو ارادة الدولة شرعا على كل ارادات الأفراد والجماعات ، وتمتلك الدولة وحدها داخل المجتمع سلطة اصدار القوانين ، وسلطة تنفيذها ، وامتلاك حق الاكراه وحق القهر على المواطنين ، بما في ذلك حق اعدامهم ، وللدولة ، وحدها دون سائر التنظيمات حق الطاعة ، وسلطتها سلطة متميزة ، تضم سلطتها القسرية قوة الارغام .

وكل هذه الخصائص يوردها فقهاء العلوم السياسية، من قبيل التفرقة بين الدولة وبين الكيانات الأخرى . . جماعات كانت أو تنظيمات ، وتتكون الدولة من عناصر ثلاثة : هي الأرض والشعب والسلطة ، ويقول علماء القانون ان الدولة تعتبر من وجهة النظر القانونية شخصية قانونية موحدة ، وكيانا جماعيا دائما .

وهناك نظريات عديدة في الفكر السياسي ـ لتفسير الدولة ، فيرى هارولد لاسكى أن تاريخ الفكر السياسي ملىء بالتفسيرات المثالية للدولة، وعند ارسطو لها هدف واحد وغاية ، ما لم تعط هذه الحضارة ضمانات تنبع من سلطانها على الحياة والموت .

ويذهب جون لوك الى أنه لابد من أن يقام جهاز عام للحكم حتى نتمتع بحقوق الحياة والحرية والموت . ويقرر هيجل أن الدولة هي الفكرة الالهية ، كما توجد على الأرض ، وكل قيمة للانسان مشتقة من انغماسه في مشاكلها .

وهكذا فإن هناك اعترافا جماعيا بين الفلاسفة والمفكرين ، فيما عدا الفوضوية ، على ضرورة وجود جهاز عام في المجتمع ، يحدد شروط الحياة وحدود القواعد المسموح بها .

وتعود نشأة الدولة الى ميل الانسان نحو الحياة الاجتماعية ، التي تصبح مستحيلةفي غياب عقد اجتماعي ينظم قواعد التصرف ، ويحدد الحقوق والواجبات ، ويتضمن تحديد سلطة عليا في المجتمع ، قادرة على التحكم والحكم والحفاظ على القانون ، وتستخدم سلطتها وصلاحيتها لخدمة المصالح العليا الدائمة والثابتة للمجتمع .

وحول خدمة الصالح العام والمصالح العليا ، دارت كل الاختلافات والاجتهادات في الفكر



جون لوك

السياسي ، التي كان محورها الدولة كتنظيم سياسي وقانوني .

فأصحاب النظرية الاجتماعية يقولون ان الدولة رغم أنها تدعي تمثيل الصالح العام ، الا أن هذا الصالح العام في واقع التطبيق يتحدد ويتميز ، ومن هنا فهم يخلصون الى أن الدولة متميزة ومتحيزة بطبيعتها ، ففي أثينا كانت الدولة تتحيز ضد العبيد ، ولا تمثل الصالح العام على اطلاقه ، بل كانت تمثل الصالح العام في حدود مفهوم الأحرار الأثينيين ، وفي الدولة الاقطاعية تتحيز الدولة كذلك لمصلحة الاقطاعيين وهكذا . . فإن جمهور علماء الفكر السياسي المحدثين عند تحليل الدولة ، يهبطون من المثاليات والتصور التجريدى الى النظرة الواقعية التي تقتضي تقدير الصراع الديناميكي ، بين الذين تتحيز لهم الدولة ، والذين تتحيز ضدهم ، ويختلف تحيز الدولة من مجتمع الى آخر ، حسب علاقات الانتاج والقوى الاجتماعية والاقتصادية فيه . وتستخدم الدولة سلطتها القسرية ، أى سلطة الارغام ، لتخدم العلاقات السائدة في المجتمع ، ومن هنا فإن مقولة المثاليين بأن الدولة تخدم الصالح العام ، فإن هذا الصالح العام ليس شيئا جامدا ، ولكنه متغير ، وتتغير معه الأيديولوجية التي تبشر به ، أو تدافع عنه ، بتغير النظام الاجتماعي .

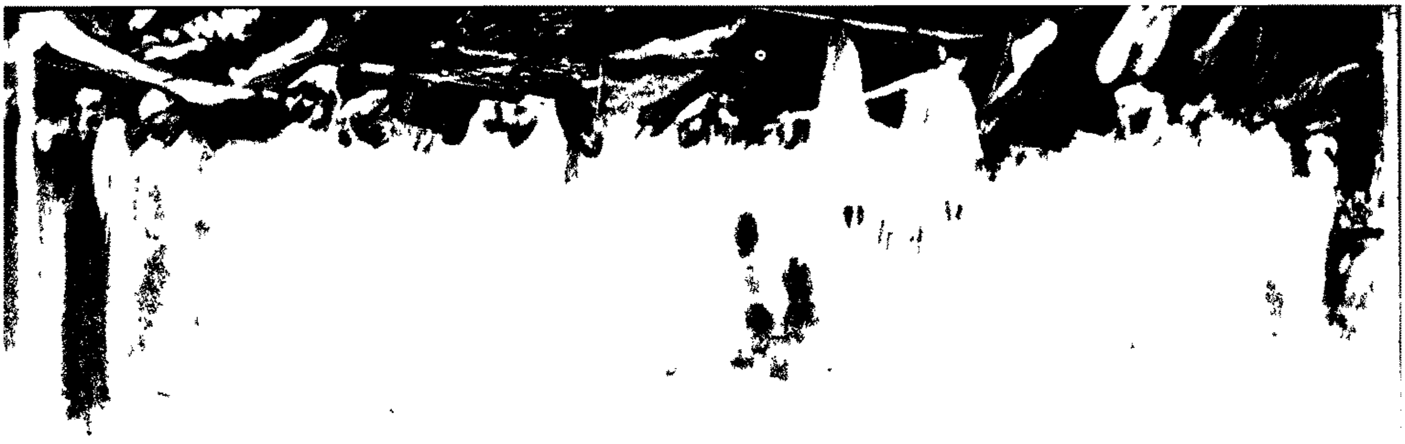
ويحدد لاسكى عميد المفكرين السياسيين ، أن الدولة تحتفظ لنفسها بحق القوة المسلحة ، لتحفظ لنفسها حق القسر ، ويذهب لاسكى الى الحد الذي يقرر فيه أن كل نظام اجتماعي ، لا يهتم بدور القوات المسلحة ، انما يغفل حقيقة هامة في تكوين الدولة الحديثة وسلطتها القسرية ، التي تميز الدولة عن بقية الجماعات والتنظيمات الأخرى . □

ايمان قوى

ادرك المسلمون الأوائل على بساطتهم سر الحياة ، وانها صراع لا ينتصر فيه الا القوى الشجاع ، الذى يطلب الموت لتوهب له الحياة .

ومن كلمات خالد بن الوليد في هذا الصدد : لن يصيبك عدوك في صدرك ، الا اذا أعطاك صدره ، فاذا وليت ظهرك أصابك دون مؤونة .

وقد قال له رجل قبل أن يلتحم الصفان في معركة اليرموك : ما أكثر الروم ؟ وأقل المسلمين ! فقال خالد ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! انما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدّ الرجال ، ولم تكن جيوش الروم قليلة ولكنها كانت قليلة في همة خالد .



قصـة :

الدرس الأخير

بقلم : الدكتور محمد حسن عبدالله

مشاعر متناقضة من الدهشة وعدم التصديق . الفرج بانبعاث ذكريات قديمة عزيزة ، أوشك غبار الزمن أن يخفي ملامحها ، الدهشة من جسارة المحاولة ، وعدم المبالاة بالاحتمالات الخاسرة . حاولت أن أسحب ملامحه الطيبة التي غابت تفاصيلها ، في قرارة بئر لاتدرك العين قاعها . . لم يجتمع تحت الضوء غير القليل جدا . عينيه العسليتين الصافيتين ، وذقنه الحليق الأخضر ذي (النغزة) ، وشعره الأسود الناعم الحاد ، لم تكن هذه الملامح آخر مارأيت،على العكس ، كانت أول مارأيت ، حين جلست أمامه في المدرسة ، ورمقته بخوف واعجاب ، وهو يوزع علينا أوراقا ملونة نقشت عليها الحروف الهجائية ، ثم طلب منا أن نردد وراءه ألف . باء . تاء . . رأيته بعد ذلك مرارا على سنوات متقطعة ، بعد أن رحلت الى المدينة ليتيسر لي تلقي التعليم الثانوي ثم الجامعي . اذن لم تكن العينان الصافيتان آخر ماتراءى لي . كان فوقهما ـ آخر مرة أو قبلها لست أدقق ـ اطار نظارة ذهبية مستديرة ، كما انبعث دخان أزرق من بين الخصل السوداء الناعمة الحادة ، وانضافت ـ منذ زمن طويل ـ تجاعيد أفقية بمساحة الجبين ، تجاعيد حمراء بينها مسافات أو خطوط بيضاء . . ولم تستطع الذاكرة امدادي بالمزيد من التغيرات في شكل محمد أفندي متولي . ثلاث سنوات وربما أكثر مضت على آخر رؤية ، غير أنه لم يغب عن خاطري طويلا ، كثيرا ما أواجه مواقف وأقوالا تذكرني به ، كثيرا ماأقيس تصرفاتي الى تصرفاته كما شاهدتها ، أو كما أظنها فيما لو كان في موقعي ، ويعاني ما أعانيه ، وغالبا ما أنحاز اليه وأقف في صفه ، وأحكم بصوابه اذا ما اختلفت بنا السبل في هذه المقايسات المتخيلة . أما هذه المرة فان دوافع الدهشة ظلت تتأرجح بين الاعجاب والاستغراب ، بين الايمان بقوة محمد أفندي متولي وحكمته ، والسخرية مما يمكن أن يعد ضربا من الانتهازية ، يستغل فيه مشاعر الناس الذين أخلصوا له الحب طويلا ، وكأنه يصفي حسابات قديمة ، يسترد حقا ضائعا بعد أن قدمه اليهم في هيئة تبرع أو هبة ، وقبلوا منه المنحة ،



وفرحوا بها ، عاد يعلن أن ما قدمه لم يكن الا قرضا واجب السداد ، مع الفائدة ، وغرامة التأخير !!

قلت لزميلي القديم :

ـ متأكد ؟

ـ ألف بالمائة !!

ـ محمد أفندي متولي ؟ !

ـ بعينه . خامس اسم في قائمة المرشحين لمجلس القرية ، حسب الترتيب الأبجدي ، نقلت صورة من الكشف لأني لم أكن أصدق ، ولم يصدقني أحد ، الجميع يعيشون حالة من الحيرة والشك ، وبخاصة حين يقرأون أسماء المنافسين ، انهم جميعا تقريبا من تلاميذه .

قلت بحسرة :

ـ هذا ما يحيرني حقا ، ليسوا تلاميذه وحسب ، فكلنا تلاميذه ، اننا نحمل له أجمل الذكريات ـ هل تنكر ذلك ؟

قال :

ـ كيف أنكر ؟ ولماذا كلنا أحببنا محمد أفندي متولي ، ولا نزال نحبه ، رغم العصا الغليظة التي كان يعاقبنا بها اذا لوثنا أيدينا بالحبر ، أو أخطأنا في قاعدة املائية . أتذكر العصا التي كانت رجلا لكرسي قديم ؟ ما أفظعها !

سرح الخيال الى ذلك الزمن الرومانسي ، زمن البراءة والاكتشاف والاستجابة الحارة الفورية لكل نوازع الطفولة . كانت العصا غليظة ، لكني لا أذكر أنه أصاب بها أحدا ، كانت ضرباته « تهويش » ، وفي حالات نادرة ، ولم نكن نخافها ، وانما نتظاهر بالخوف ، كما كان هو يتظاهر بالقسوة ، ولم يكن هذا المشهد الاحتفالي يمنعنا من أن . .

قطع صاحبي سيل ذكرياتي العزيزة ، وكأنما كان يجري معي « سرا » في نفس الطريق . قال :

ـ كانت فظيعة ، غير أنه اذا وضعها على حافة السبورة وانصرف في الاستراحة ، تدافعنا بقاماتنا القصيرة ، ورحنا نقفز لاسقاطها من مكمنها ، أتذكر لماذا ؟

ـ طبعا . . لنشم مكان قبضة يده على العصا ، كان العطر يفوح منها . . عطر هادىء ، لكنه نافذ ، تنتعش به الروح . .

عاد زميلي القديم يكمل حديث الذكريات ، والنسر والنجمة الذهبيان يلمعان فوق كتفه الضخم المستدير ؟

ـ أتدري أن رائحة هذا العطر لاتزال تعيش في خياشيمي الى اليوم ، وانني حين كبرت ، وتنقلت بين مدن العالم ، كنت أبحث ـ بين وقت وآخر ـ عن الرائحة القديمة فلم أعثر عليها .

قلت بعجب :

ـ لماذا لم تسأل محمد أفندي نفسه ، انه لن يضن عليك بما ليس من أسراره ؟

قال باقتناع حقيقي :

ـ من تظنني ؟ هل أجسر على مفاتحة مدرسي في هذا الأمر الشخصي ؟ وبخاصة اذا كان هذا المدرس محمد أفندي ؟ !

لم أعجب كثيرا لسماع هذا التعليق ، محدثي مهندس قديم بالمصانع الحربية ، يحمل رتبة عقيد ، وقد أنجب طفله الرابع منذ عامين ، لايزال يشعر بأن محمد أفندي الذي علمنا الحروف الهجائية منذ ثلاثين عاما ، يملك من المهابة مايحول دون مناقشة هذه المسألة العادية جدا معه . لم أعجب كثيرا ، وقد شاركت قديما في جلسات مع محمد أفندي ، ورأيت ابتسامته تنفرج عن أسنان بيضاء ، تميل الى الطول ، لكنني أبدا لم أضحك في حضرته . . ولم أنهض عن الكرسي قبل أن يفعل .

عاد زميلي القديم يقول بفرح :

ـ لقد أعفاني الله من الحرج ، نحن العسكريين بعيدون عن الانتخاب وهمومه ، قلت بحيرة حقيقية ، وكأني أبحث عن منفذ من ورطة .

ـ وأنا ؟ !

ـ عقلك في رأسك ، اعرف خلاصك .

ـ هذه أنانية منك ، فكر معي على الأقل .

قال بجدية بالغة :

ـ المشكلة أن المتنافسين مع محمد أفندي من تلاميذه ، وهذه مشكلته ، أما مشكلتنا المزدوجة ، أعني مشكلتك وآخرين في مثل حالتك ، ان هؤلاء التلاميذ زملاء لنا ، وهنا الصعوبة ، هل ننصر الأستاذ أو الزميل ؟

قلت بتجرد غاب عنه الواقع المحدد :

ـ ننصر الأصلح للموقع المتنافس عليه .



قال مجاريا :

- هل تجد في محمد أفندي مايعاب ؟ تاريخ الرجل ناصع ، وأياديه وخدماته للجميع .

قلت :

- صحيح !!

قال :

- وأحمد حسين ، ومصطفى الضيف ، ومحيي صديق . . كلهم . . هل تجد فيهم مايعاب :

قلت بايمان :

- مطلقا . . شرفاء جادون ، راغبون في خدمة قريتهم باخلاص ، يؤدون وظائفهم كأحسن مايكون . لكن . .

قال صاحبي ضاحكا :

- آه . . هذه الـ « لكن » هي الزاوية الحرجة .

لم أجد في نفسي رغبة لدخول مباراة الذكاء ، وأصلت فكرتي حتى لايفلت الخيط .

- هل نحن نختار من يمثلنا على أساس ماضيه أو مستقبله ؟

قال :

- الاثنين معا ، بالنسبة للشخصية الانسانية لايمكن الفصل بين ماهو ماض وما هو مستقبل . لكن

قلت مقلدا ضحكته السابقة :

- هاأنت تعود الي « لكن » تطلب فيها النجاة من الحكم القاطع ، فماذا ترى ؟

قال مجازفا :

- هناك حقيقة أساسية ، وهي أنه لولا محمد أفندي ماأجريت انتخابات أصلا . لم أفهم للوهلة الاولى . أضاف :

- بدونه ، ينجح الباقون بالتزكية ، المجلس خمسة والمرشحون ستة .

أسرعت للدفاع عن أستاذي القديم . :

- لماذا يكون هو بالذات العضو الزائد ؟ انك بهذا تظلمه وتنحاز ضده ، دون مبرر في شخصه أو طموحه المشروع .

عبرت بوجه صاحبي مسحة من اللامبالاة ، وقال بشيء من السخرية الخفيفة :

- طموحه المشروع !! لاأعتقد أن محمد أفندي لايزال عنده مايرغب في فعله ، وأظنه على المعاش من نحو عشر سنوات ، يعني قارب السبعين أو تجاوزها ، لامستقبل له ، ومن هنا يكون الترجيح .

قلت بحرارة منطفئة ، إذ لا أعرف كيف أنمّي موقفي :

- من رؤية علمية بحتة ، ليست هذه بحجة ، ريغان يقود أكبر بلد في العالم ، وهو في السبعين ، لماذا لاتثق . . ؟

قاطعني :

- ليس عندي شك في مقدرة محمد أفندي حتى لو كان في المائة ، ولكن الشباب أيضا لهم الحق في أن يأخذوا فرصتهم .

تنهد في حيرة جاوبته بمثلها ، زاد ثقل الأمر على كاهلي أن أهل القرية يتأثرون بموقفي ، هنا الخطورة وصعوبة الاختيار . ذكرياتنا العزيزة كلها مع صاحب العصا المعطرة ، أول من علمنا الحروف ، والثقة في حق الشباب ومقدرته أقوى . قلت مغامرا بالرأي .

- مارأيك في دعوة الجميع الى لقاء مكاشفة ، يقدمون فيه براجهم ، لعل بعضهم يشعر بضعف موقفه فيتنازل ، وتنتهي المنافسة الى التزكية .

قال بثقة استغربتها :

- واذا لم يتنازل أحد ؟

قلت :

ستكون لهذه المواجهة فائدة أخرى ، هي تحديد المواقف من جانب المرشحين ، وظهور اتجاهات الناخبين .

قال صاحبي بثقته المستغربة :

- لاأظن أن مثل هذه المواجهة ممكنة ، فقد لايوافق التلاميذ على مواجهة أستاذهم .

قلت بلهفة :

ـ لماذا لانجرب ؟

قال :

ـ هل تحب أن أدهشك من جديد ؟ لقد عرضت الوساطة للحصول على تنازل سرا ، فلم أتمكن ، فعرضت ماتقترحه الآن . . حوار مواجهة أمام الناس فلم يكن أيضا .

استفزني هذا التطور الجديد ، وسألت بلهفة :

ـ معقول ؟

قال وكأنه يسدد ضربة قاضية :

ـ غير المعقول هو ما ستسمعه الآن . كان محمد أفندي متولي هو الرافض في المرتين ، رفض التنازل عن الترشيح ، كما رفض الحوار . صمم على ما يطلق عليه المنافسة الحرة .

رحت أردد دون وعي :

ـ أهذا معقول !؟ أهذا معقول !؟ لابد أن الرجل أدركته أمراض الشيخوخة

ـ انه في منتهى العافية . . البدنية . . والذهنية .

تلفت حولي أبحث عن حل أو وضع أحتمي به :

ـ والناس

ـ حائرون ، منقسمون . الرجل خدمهم وعلم عيالهم نصف قرن ، لكنهم يقولون سرا : أما كان الأجدر به أن يفسح الطريق للشباب ؟

ضربت كفا بكف :

ـ هذه هي المصيبة .

عادت تنهداتنا تتجاوب ، نظراتنا تشرد في غير اتجاه ، لم يترك لي الرجل منفذا لعمل ، وموقفي لاأحسد عليه .

بعد صمت . .

ـ اسمع ! من اليوم أنا مريض ، اجازتي سأقضيها في السرير .

ـ ليس هذا بحل . مرضك المزعوم يستدعي الزوار وتوجيه الأسئلة ، فماذا أنت فاعل ؟

ما توقعه صديقي القديم . . حدث . سيل الزوار لم ينقطع ، أعجب زائر كان محمد أفندي ، كان مجاملا كعهده ، منعني من مغادرة السرير حين جلوسه ، كما حال بيني وبين توديعه خارج الغرفة عند انصرافه . طوفنا بالحديث في الذكريات ، تجنبنا موضوع الانتخابات بعض الوقت ، كان التوتر ينبيء بالعاصفة ، هو بنفسه اندفع لتفجير الموقف بسؤال مباشر ينضح بالتحدي :

ـ طبعا صوتك الشخصي لاأناقشه انه مضمون تماما ، ولكني أنتظر أن تقف الى جانبي علانية ، أنت تعرف قيمة هذا في التأثير على الرأي العام .

كانت الغرفة غاصة بالزوار . الكلمات محسوبة وغلطة الشاطر بألف ، ولا مهرب من الكلام .

ـ والله يا أستادي . .

صمت . حدقت العيون ، احتبست الأنفاس ، نقرت عصا على الارص . تهافتت كلمات من أمف محمد أفندي :

ـ ليست القضية أستاذ وغير أستاذ القضية يصلح أو لايصلح .

تجمد المشهد المتحرك ، كأنما توقفت آلة العر . ، لكن الفرج جاء في كلماته ، قلت وأنا أنتقي الكلمة بعد الكلمة :

ـ والله مادمت وضعت المسألة في هذه الصورة ، فان السؤال ينطبق على الجميع يصلحون ، أو لايصلحون ؟

ـ ورأيك ؟

ـ لاأجد في أحد مطعنا ، وان كنت أعتقد أنه من حق تلاميذك عليك أن تمنحهم الفرصة .



قال بهدوء قلق :
ـ أنـا أدرى بحقـوقي ، ولست أجهـل حقـوق تلاميذي . شكرا . .
صافحني وسط الغرفة ، منعني من السير معـه ، تركني واقفا مثل عود الذرة العاري في حقل الخريف . لم يترك مؤشرا بالرضا أو السخط .
لم أجد مبررا لاستمرار تمارضي بعد انتشار موقفي وكلماتي ، غير أن الذكريات العزيزة ظلت تشدني ، فلم أجد في نفسي قوة تسمح بالمشـاركة العلنيـة في الدعاية الانتخابيـة للذين أؤيدهم ، وكـذلك كـان الأمر بالنسبة للمرشحين في البداية ، شعروا بالحرج وامتنعو عن مهاجمته ، أو التوسع في الدعاية ، لكن محمـد أفندي أصـر عـلى الـدعـايـة لنفسـه ، نشـر الملصقـات ، وعقـد الاجتمـاعـات ، ودار عـلى المقاهي ، وتجمعات الفلاحين والعمال ، وبذلك لم يطل الوقت حتى كان جميع المرشحين يفعلون نفس الشيء ، يحـاربونـه بسلاحـه ، ويبتكرون أسلحـة دعائية جديدة ليس للقرية بها عهد .
جاء يوم الانتخـاب ، حدث مـاتوقعتـه ، سقط محمد أفندي ، أول سقوط في حياتـه ، بعد اعـلان النتيجة،شعرت بـالرثـاء لـه ، تـألمت من أجله ألمـا حقيقيـا ، رأيت من واجبي وقـد انتهى الأمـر الى ماسعيت ، أن أذهب اليه موضحا ومعتذرا ، رعاية لحقه القديم ، قبل أن أتمكن من حشد نفسي لتنفيذ ماعزمت ، كان محمد أفندي يطرق الباب زائرا .
كان وجهه محايدا ، ليس فيه ملامح المهزوم ، أو مشاعر التحدي ، كان كعهده ودودا في غير خضوع :
ـ أهلا بك ياأستاذي .
ـ لماذا لم تحضر لتهنئتي بالنجاح ؟
ـ بسيـطة ياأسـتـاذ ، أنت لم تكن بحـاجـة لهـذا النجاح ، خيرها في غيرها .
ثبّت عينيه على عينيّ .
ـ أنا جاد ، وأنت لست من السـطحية بحيث لم تفهم قصدي .
قلت مجاريا مجاملا :
ـ على أي حال ، ليس بجـديد عليـك التصدي للخدمة العامة ، والتحمل في سبيل الواجب ، استمر في تمجيـد حركتي بـنظرته الـثـابتـة من تحت الاطـار الذهبي ، قال :
ـ هذا بعض قصدي . الخـدمة العـامة يمكن أن نزاولها في أي موقع ، أعني : لم يكن من المحتم أن أفوز لأقوم بهذه الخدمة العامة .
لم أفهم تماما ، كان مهما أن أفهم بدقة . قلت :
ـ هل كان هناك قصد آخر ؟
ـ بل قصد أول ، أساسي !!
ـ لو تتفضل بشرحه لي .

رأيت في هيئتـه صورة المـدرس القديم ، يـوزع البطاقات الملونة ، نقشت عليها الحروف الهجائية ، صوته الهادىء يردد : الف باء تاء . . قال :
ـ كان القصد أن تدور معركة انتخابية حقيقية ، أن يتنـافس أهل الجـدارة حتى يفقد النـاس خجلهم ، وترددهم وخلطهم في الاحكام بين العاطفة والمصلحة الحقيقية . . لن يتم هذا كما أرى ، الا بصدام بين رأي ورأي ، وشعـار وشعـار . لاتـدري كم كنت سعيدا برأيك الذي صدقتني به ـ ظاهريا ـ أمام الناس يوم جئتك زائرا ابان مرضك .

قلت وكأني لم أسمع تفسيره الذي لم أتوقعه :
ـ اعذرني ، فهذه مسألة رأي .
ـ كيف لاأعذرك وأنا معك ؟
ـ اذا كان ماتقـول عن نيتك ، لماذا لم تتنازل ليلة الانتخاب مثلا ؟ قال :
ـ فكـرت فعـلا أن أتنـازل عن التـرشيــح ليلة الانتخاب ، أو حتى أمام اللجنة ، ولكني خشيت أن أفسد الدرس الأخير الذي أرغب في توصيله اليكم ، مع أنه ـ دعائيا ـ كان لصالحي ، لكن صالحي سيبقى دائـما هو الصـالح العـام ، أعتقد أن هـذا تحقق ، واستحق تهنئتك عليه !
فكرت في كلامه قليلا ، نهض قـائما ، صـافحته بحرارة ، سألته :
ـ هل عرف المرشحون هذا المعنى ؟
قال بثقة :
ـ لايهم . . لقد خاضوا معركة ، هذا في ذاته قد علمهم الكثير ، الدرس دائما يبقى أكبر من المدرس .
ومضى في طريقه بخطوات ثابتة ، شرد خيالي الى ذكرى قديمـة ، وأنا أقفـز أمام السـبـورة لأشم عطر العصا ، ذلك العطر الهادىء النافذ ، الذي تتنفس به الروح . □

الجديد في العلم والطب

معلومات جديدة عن مذنب هالى

■ يؤوى مرصد كت بيك Kitt Peak في أريزونا واحدا من أضخم التلسكوبات في العالم . فهو يبلغ ١٥٨ بوصة ، من حيث قطر عدسته . . وكان كغيره من التلسكوبات يرصد حركات مذنب هالى وسكناته ليل نهار طوال الشهور الماضية ، منذ شهر اكتوبر ١٩٨٢ على وجه التحديد .

ونوجز فيما يلي أهم المعلومات التي تجمعت لدى المراصد الهامة في المدة الأخيرة ، وقبل اللقاءات المرتقبة في الفضاء الخارجي ، بين المذنب وبين مركبات الفضاء التسع المنطلقة حاليا للقائه .

وغنى عن البيان أن المركبات المذكورة ستمدنا عما قريب - بمعلومات هامة وخطيرة . . لا عن طبيعة المذنبات فحسب ، ولكن عن أصل الكون ، والخامة التي تكونت منها الشمس والكواكب أيضا . . ومهما يكن من أمر فان المعلومات التي نسوقها هنا هي احدث المعلومات التي وصلتنا عن مذنب هالى حتى الآن . . وهي لاتخلو من أهمية على كل حال . . .

١ - يتكون المذنب من نواة وذؤابة وذيلين . . فضلا عن السحابة الغازية التي تغلف الذؤابة . . وتتكون النواة - وهي أهم مقومات المذنبات عامة - من رصيص جليدي . . متصلب كالصخر . . وقد شاهد مرصد كت بيك في الأسابيع الأخيرة أن النواة تدور وتلف كلما ازداد المذنب اقترابا من الشمس .

٢ - وقد تمكنوا من قياس البخار المتدفق من النواة ، فثبت لهم أن مادة النواة الرئيسية هي جليد - تماما كما قال البروفسور وبل ، وثبت لهم أيضا ان السحابة الغازية التي تخرج من النواة أصلا لاتعدو كونها بخار ماء . . وقد بلغ عرض هذه السحابة بالقياس (٣٦٠,٠٠٠) ميل . .

٣ - وواصلت المراصد المختلفة قياس مدار المذنب ومساره بدقة متناهية . . ذلك أن هذه المقاييس ذات أهمية كبرى بالنسبة الى مركبات الفضاء المنطلقة الى حيث تلتقي بمذنب هالى على أبعاد متفاوتة ، فمن شأن تلك المقاييس الدقيقة . . بل قل مراكز توجيهها على سطح الأرض أن تساعد تلك المركبات في أن تسير في الاتجاه المناسب ، وبالانحراف المناسب ، لتلتقي بالمذنب في المكان المناسب .

٤ - نجحت المراصد في مشاهدة نواة المذنب قبل زمن طويل ، من تمددها ، بفعل حرارة الشمس . . وهذا ما عجزت دونه المراصد أثناء زيارة المذنب الأخيرة للمجموعة الشمسية سنة ١٩١٠ . . هذ بالرغم من أن المذنب اقترب من الأرض في تلك الزيارة أكثر من اقترابه منها في الزيارة الحالية . . والفضل في ذلك الم

يعود الى التلسكوبات المتطورة المتاحة للفلكيين حاليا ، والتى لم يكن لها وجود قبل ٧٦ سنة .

٥ ـ بدأ المذنب يتعرض لتغيرات جذرية قبل ١٤ شهرا . . وذلك حين كان لايزال بعيدا عن الكوكب العملاق المشترى . . فقد شاهد العلماء كيف بدأت النواة تقذف جزيئاتها الى خارجها ، وقد بدت لهم فى ذلك كالماء الذى يغلى ويقذف فقاقيع بُخارة الى فوق .

٦ ـ على أن المعلومة التى أدهشت العلماء وحيرتهم ، كانت فى التقلب الذي اعترى اشراق المذنب أو نوره بين ليلة وأخرى . . وقد عزوا ذلك التقلب الى عدم الانتظام فى شكل المذنب . .

عقم النساء وكيف يعالجونه بالهرمونات ؟

■ شاعت فى الغرب فى المدة الأخيرة عقاقير الخصوبة التى تتناولها المرأة العقيم . . ويعتبر البرجانول Perganol فى طليعة تلك المستحضرات . . وهو مزيج من الهرمونات المستخلصة من بول النساء المتقدمات فى السن اللاتى تجاوزن سن اليأس . . ويستعمل البرجانول لتنشيط تجاويف المبايض التى تحمل البويضة ، والعمل على انضاجها ، . . فهذه التجاويف تفتقر الى النشاط فى المرأة العقيم ، وذلك تبعا لقلة افرازات جسمها من الهرمونات ، أو لعدم انتظام تلك الافرازات ، وفى اغلب الأحيان ينجح مقدار معين من العقار فى تنشيط تجويف واحد . . وانضاج بويضة واحدة ، ثم تتناول المرأة العقيم عقارا آخر اسمه المختصر (HCG) . . ومن شأن هذا العقار أن يطلق البويضة لتدخل أنبوب فالوب ، وتنتظر فيه الاخصاب ان كان ثمة اخصاب .

على أن فى تناول هذه العقاقير مشكلة . . اذ أن مقدار البرجانول اللازم لانضاج بويضة واحدة بحاجة الى تحديد دقيق . . والا أدى تناوله الى انضاج بويضتين أو خمسة أو سبعة . . وذلك تبعا للاختلاف بين امرأة عقيم وأخرى . .

وهذا هو بالضبط ما حدث للسيدة باتى فروستاشي . . فى كاليفورنيا . فقد أنجبت سبعة توائم ولم تكن راغبة فى أكثر من جنين . . وجاء انجابها هذا تبعا للمعالجة بالبرجانول ، وقد حصلت عليها فى مستشفى الأطفال فى مقاطعة أورانج . . فى كاليفورنيا . . الا أن السيدة باتى فقدت أربعة من توائمها السبعة . . ولم تخرج من المستشفى الا بواحد . . تاركة اثنين منهم فى المستشفى قيد العناية المكثفة .

ولم يكد يمضى على رجوعها الى البيت أربعة أيام حتى رفعت الدعوى على المستشفى المذكور وطبيبه ، تطالب بغرامة قدرها ٣,٢٥ مليون دولار . . فهى تدعى أنها كانت ضحية سوء التصرف من قبل المستشفى والطبيب المعالج جاروسلان ماريك ، وتدعى أيضا ان المقادير التى تناولتها من البرجانول و (HCG) كانت فائضة عن الحاجة وغير مناسبة ، وتدعى السيدة فروستاشي أن المستشفى والطبيب لم يقوما برصد أثر تلك العقاقير فيها بدقة وانتظام ، بحيث يُصبح فى الامكان تغيير تلك المقادير وفق الحاجة ، وما زالت الدعوى قيد النظر فى محاكم كاليفورنيا . . ولا ندرى متى يصدر الحكم فيها . . علما بأنها أقيمت فى شهر اكتوبر الماضى . . ١٩٨٥

مكتشفون ومخترعون

مذنب هالى : ملأ السماء ضياء . . والدنيا ضجيجا . . ولا غضاضة في ذلك ، وقد طالت غيبته ثلاثة أرباع القرن . . واستعد العلماء لاستقباله في النصف الأول من شهر مارس الحالى بحفارة علمية لم يسبق لها مثيل . . وبلغ من اهتمام الناس بهالى المذنب أنهم نسوا هالى العالم صاحب الفضل الأكبر في تحديد مدار المذنب والتنبوء بعودته . . فمن هو إدموند هالى هذا ، وما هى منجزاته العلمية المتنوعة ، التى تؤهله لتبوء المكانة الأولى بين علماء عصره جميعا . . باستثناء اسحق نيوتن ولا ريب . . وما هو فضله فيما يتصل بمذنبه الشهير : مذنب هالى ؟

ولد هالى (تلفظ الياء كما تلفظ في كلمة فرايدى ، . يوم الجمعة في الانجليزية) ، في قرية هاكنى قرب لندن سنة ١٦٥٦ . . وشعر بميل للفلك منذ طفولته . وقد رأى بأم عينه وقبل بلوغه العاشرة من عمره المذنبين العظيمين . . مذنب سنة ١٦٦٤ ، الذى يعتبره الناس مسؤولا عن وباء الطاعون الذى رافق ظهوره . . ومذنب ١٦٦٥ الذى تزامن واندلاع حريق لندن الكبير . . فلم يشك أحد من العامة بأن المذنب هو الذى تسبب بذلك الحريق . .

ولما كان الأب صاحب مصنع للصابون ، وقد أثرى في أعقاب انتشار الطاعون . . وانتشار الوعى الصحى معه ، استطاع ادموند الالتحاق بجامعة اكسفورد وبكلية الملكة فيها بالذات . . ومعه عدد كبير من التلسكوبات التى زوده بها أبوه ، ومن طريف ما يذكر أن أحد تلك التلسكوبات التى حملها الطالب معه وكأنها الكتب ، بلغ طوله ٢٤ قدما .

ولكن الطالب مالبث أن انقطع عن دراسته الجامعية . . فقد ضحى بها وهو في الثامنة عشرة من عمره ، وذلك من أجل رحلة علمية فلكية قام بها الى بحار الجنوب ، ودرس فيها نجوم السماء في نصف الكرة الجنوبى ، وقد استغرقت رحلته تلك ٣ سنوات ، وأنجز فيها مسح مواقع مجموعة كبيرة من النجوم . . ٣٤١ نجما على وجه التحديد . .

وجاءت سنة ١٦٨٠ واذا بإدموند يرى لأول مرة المذنب الذى سمىَّ باسمه فيما بعد .

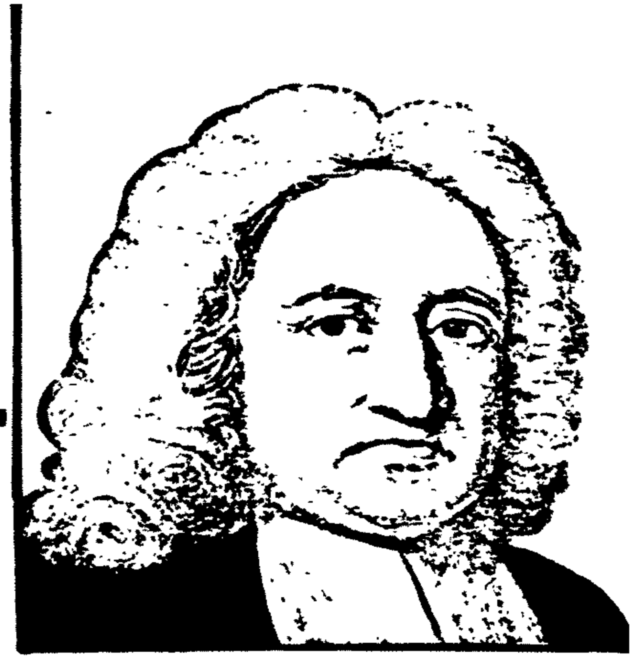
رآه وهو في عرض البحر ، وفي طريقه من دوفر الى كاليه . . وراعه منظر المذنب ، فقصد الى باريس في الحال ، واجتمع بالعالم كاسينى . . وقد اقترح الفلكى الفرنسى هذا أن يكون مذنب ١٦٨٠ هو نفسه ١٥٧٧ . واقترح أيضا أن تكون المذنبات من أتباع الشمس وتدور حولها كالكواكب

وانغرست هذه الآراء في نفس هالى كانغراس البذور في التربة . . ولكنها لم تتعد كونها آراء ، وبحاجة الى توطيد وتبرير بالرياضيات قبل أن تكتسب الثبوت او الطابع العلمى ، وتحظى باحترام العلماء ، لا عجب اذن أن طغت على تفكير أدموند الشاب ، وأثارت في نفسه الحماسة للبحث عن تلك الرياضيات .

ولا يخفى أن الجاذبية وقوانينها هى قوام الرياضيات التى يحتاجها الفلكى لتحديد مسار المذنبات ، ولكن الجاذبية كانت ما تزال مشكلة الفلك في تلك العصر . . فقد شعر بوجودها العلماء . . ولكن شعورهم كان لا يزال مفتقرا الى الرؤية الواضحة . . ناهيك بالالمام بقوانين الجاذبية التى تشد أجرام السماء بعضها الى بعضٌ ، والتى تفصل تلك الأجرام نفسها بعضها عن بعض . .

ولطالما تأمل إدموند هالى هذه الجاذبية بلا طائل . . ولطالما تباحث فيها مع صديقه كريستوفر رن ، المهندس المعمارى الكبير آنذاك ، والفلكى المعروف سابقا . . ولما أعياهما البحث أعلنا في الصحف سنة ١٦٨٤ مكافأة مالية مجزية لمن يحل لهما

إدمونـــــد هالـــى
١٦٥٦ - ١٧٤٠



تلك المشكلة . . وبلغت قيمة تلك المكافأة جنيهين استرليني . . وهى قيمة كبيرة بمقاييس تلك الأيام .

ومضت شهور والمشكلة قائمة بلا حل . فتوجه هالى الى جامعة كمبردج قاصدا الاجتماع باستاذها الكبير اسحق نيوتن . . لعله يشاركهم البحث عن حل لمشكلة الجاذبية ، وفوجىء هالى حين اكتشف ان نيوتن كان على علم تام بتلك المشكلة ، وانه نجح منذ زمن فى تحديد قوانين الجاذبية ، وأنه . . أوضح ذلك كله وبتفصيل فى كتاب له . . كتبه دون أن ينشره . .

وذهل هالى لمحتويات ذلك الكتاب . . وقد وجد فيهـا الحل الشـاق لكثير من مشـاكل ذلـك العصـر العلمية . . وشعر هالى بضرورة نشر ذلك الكتاب ، وظـل يلح على نيـوتن بنشره حتى أقنعـه . . ولعـل استعداده لتحرير الكتاب ومراجعته ولتمويل نشره ، هوالذى ضمن لكتاب نيوتن الخروج الى حيز النور .

ولما كـان كتـاب نيـوتن هــذا ، وهـو البـرنسيبيـا (Principia) أو (القواعد الـرياضيـة للفلسفة الطبيعية) . . من أعـظم كتب العلم فى التـاريـخ كله . . ان لم يكن أعظمها جميعا ودون استثناء . . عتبر دور هالى فى نشره بمثابة فضل علمى كبير ، بلغ ى نظر الكثيرين المرتبة الأولى بين منجزات هـالى لعلمية جميعا .

ومهما يكن من أمر فإن كتاب نيوتن هذا هوالذى قدم الى أدموند هالى الرياضيـات التى طالما بحث عنها . . وهو الذى مكنه من تحديد مدار مذنبه مذنب هـالى ، ومذنبـات أخرى غيـره ، بلغت ٢٣ مذنبـا بالتحديد ، ونشر إدموند نتائجه هذه فى الكتاب الذى نشره سنة ١٧٠٥ ، والذى تنبأ فيه بأن المذنب الذى رآه سنة ١٦٨٢ سيعود الى الظهور ثانية عشيـة عيد الميلاد سنة ١٧٥٨ . . وصدقت نبوءته ، وذلك بعد وفاته بنحو ١٦ سنة . . واعترفت له الأجيال اللاحقة بأكثر مما تمنى ، وقد أطلقت اسمه على المـذنب ، خلافا للقـاعدة ، قـاعدة تسمية المذنبـات بأسماء مكتشفيها لا بأسماء دارسيها ، أو العاملين على تحديد مداراتها .

وشغل هالى منصب بروفسور فى جامعة أكسفورد سنة ١٧٠٤ . . وحل محل فلامستيد بعد وفاته سنة ١٧١٩ ، وأصبح فلكي الملك .

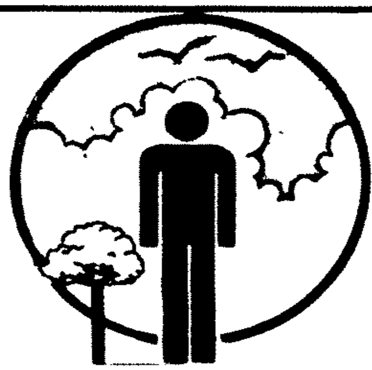
وتجدر الاشارة الى بعض منجزات هالى وأعمـاله العلمية الأخرى ، التى لا تدع مجالا للشك بأنه كان حق أعظم علماء عصره . . من بعد اسحق نيوتن .

من ذلك أنه ابتكـر طريقـة لقياس المسـافة بين الأرض والشمس . .

وكـانت الطريقـة التى اعتمـدهـا الكـابتن كـوك فى رحلاته . . وفى تاهيتى بالذات ، ومن ذلك أيضا أنه قـام بأبحـاث عـديـدة مختلفـة فى المغنـاطيسيـة . . والنباتات والحرارة . . والهواء .

ونخص بالذكر اختراعه أول جرس للغواصين ، ويعمل فى أعماق المياه بنجاح ، وكان الأساس الذى قـامت عليـه احـدى الشـركـات لانقـاذ السفن من الغرق . . أو تجنبها اياه . .

وأخيرا نذكر مشروعه الخاص برصد القمر ، وقد استغرق ١٨ سنة ، واكتمل سنة ١٧٤٠ ، أى سنة وفاة أدموند هالى عن عمر يناهز ٨٤ سنة . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

يحاكم ويغرم لأنه ضد التدخين

■ حكمت احدى المحاكم في بريطانيا على أحد سائقي سيارات الأجرة (واسمه المستر كارلس) بغرامة قدرها ـ ٢٠ جنيها استرلينيا . . ذلك لأنه رفض نقل أحد الركاب في مطار هيثرو الى لندن ، نظرا لأن ذلك الراكب كان من المدخنين . . مدخني الغليون على وجه التحديد . . وقد وقع الحادث في شهر يولية الماضي ، وحدد الحكم في شهر اكتوبر ١٩٨٥ .

ولما كان المستر كارلس من أعداء التدخين ، ويعاني من التهاب اللوزتين . . فضل حرق القوانين المرعية ، والتعرض لدفع غرامة مالية على الاخلال بمبادئه والاساءة الى صحته وقد حاول أحد شرطة المطار اصلاح ذات البين بلا جدوي .

بيد أن المستر كارلس رفض دفع الغرامة واستأنف . . واذا بالحكم الجديد يقضي بمضاعفة الغرامة الى ٥٠ جنيها استرلينيا . . بالاضافة الى دفع رسوم المحكمة ونفقاتها البالغة ٦٠ جنيها . .

ومن طريف ما يذكر أن هيئة (العمل ضد التدخين ومن أجل الصحة) وهي تعرف بالانكليزية (ASH) تبرعت بدفع النفقات . . وأن أحد كبار أصحاب المطاعم في لندن تبرع بدفع الغرامة . . ولا يخفي أن هذا الثرى هو أيضا من أعداء التدخين الألداء ، وقد حظره في أكثر مطاعمه . .

وتجدر الاشارة الى ما ذكرة القاضي تبريرا لحكمه ، اذ قال لايحق لسائق التاكسي أن يرفض نقل راكب ـ أي راكب يقف في طابور المنتظرين ، هذا ماينص عليه النظام . . رقم (٩) من أنظمة مطار هيثرو ، والمادة رقم (٥)، وذلك حفاظا على راحة الركاب ولا يجوز له أن يرفض الراكب بحجة أن التدخين لا يروق له أو يضر بصحته . . اذ ان باستطاعته ان يغلق الشباك الفاصل بين حجرته وحجرة الركاب الخلفية ، ويتجنب بذلك رائحة التبغ وأثره . . .

هل بدأ القطب الجنوبي بالذوبان ؟

■ القارة القطبية الجنوبية قارة شاسعة تفوق استراليا مساحة . . . وهي مغطاة بالثلوج ، كما لايخفى ، ويمتد الجليد من شواطئها ألسنة أو رفوفا هائلة تغطي مساحات من البحر متفاوتة واكبر هذه الرفوف هو رف روس Ross بلا نزاع . . وتبلغ مساحته مثل مساحة فرنسا تقريبا . اما سمكه فيُقل عن ١٣٠٠ قدم . لاعجب اذن ان قام هذا الرف سدا منيعا في طريق الجليد الزاحف من غرب القارة



القطبية ، وحال دون وصوله الى مياه المحيط .

غير ان هذا الرف كان موضع شبهة العلماء فى المدة الاخيرة . فقد بدا لبعض المختصين ان جليده اخذ فى الانحلال أو الذوبان احيانا . . ولو صدق هذا الظن لترتب عليه وصول الجليد القادم من الغرب الى البحر وانسيابه فى مياهه . . الامر الذى من شأنه ان يؤدى الى ارتفاع مستوى هذا الماء نحو ٣٠ قدما (٩ امتار) (ليس في بحار الجنوب فحسب) ولكن في بحار العالم ومحيطاته كلها دون استثناء . . ومعنى هذا ان مياه البحر ستغمر جانبا لايستهان به من سواحل العالم وسهوله ووديانه ، فيتقلص نصيب اليابسة من سطح الارض البالغ حاليا نحو ٣٠٪ ليصبح ٢٥٪ او دون ذلك . . فالشبة اذن خطيرة . . جدا . . تنذر بوقوع كارثة ، بل طوفان ، بحيث لامفر للعلماء من ان يقوموا بالدراسات والابحاث الكفيلة بنفي تلك الشبهه او اثباتها .

وبدأت هذه الدراسات والابحاث فى الربيع الماضي على صعيد دولى . . وقد تستمر بضعة شهور أخرى ان لم نقل سنوات . . وتشمل هذه الابحاث التى يجريها نخبة من العلماء والهيئات حفر آبار او ثقوب فى رف رس الذى ذكرنا . . وذلك على بعد ٤٩٠ كيلو مترا من المكان الذى يتجزأ فيه الرف وتنفصل عنه قطع كبيرة لاتلبث ان تندفع الى البحر لتصبح جبالا جليدية عائمة فيه . . ويتم حفر هذه الثقوب والآبار التى لايقل عمقها عن ١٣٠٠ قدم بطرق مختلفة . . وكان احدثها حفر الجليد بالاذابة . . اذابته بواسطة شعلة نارية خاصة .

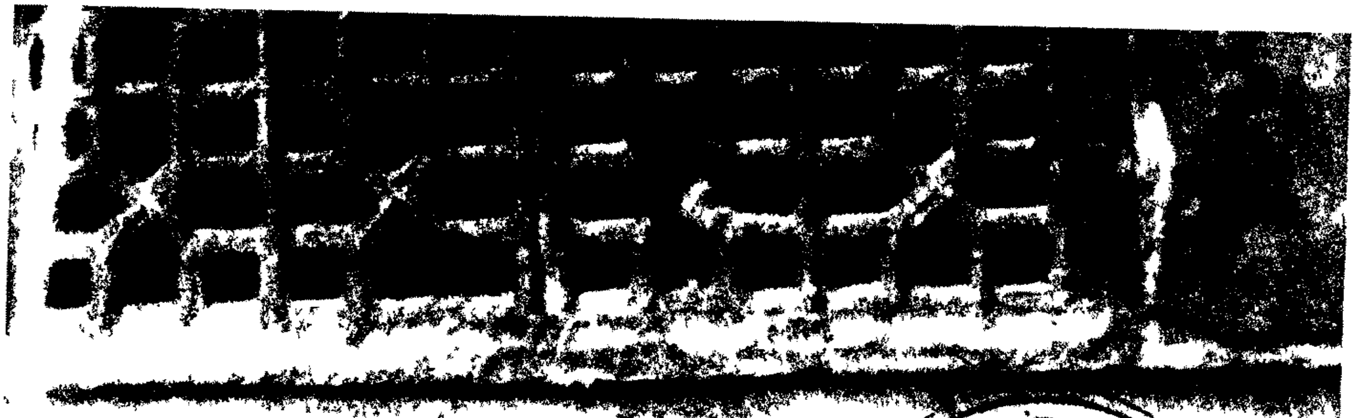
طحالب تمتص الذهب الذائب في البحر

يبدو أن ولاية نيومكسيكو في الولايات المتحدة ستشهد عما قريب عصرا ذهبيا جديدا . . كالعصر الذهبي الذي شهدته في القرن الماضي أيام اكتشف الذهب في الولاية ، واستخرج منها على نطاق واسع . الا ان الذهب المرتقب سيستخرج من الماء ، لامن باطن الأرض ، ماء البحر وماء النفايات الذي تلفظه المصانع . . والماء الذى قد يوجد في مواقع المناجم القديمة المستنفدة .

وذلك ان العلماء في جامعة نيومكسيكو اكتشفوا أنواعا من الطحالب (الأشنات) algae تتمتع بالقدرة العجيبة على استخلاص الذهب من تلك المياه . . والذهب موجود وفي حالة ذوبان في مياه البحر وغيرها كما هو معروف ، الا أن نسبة وجوده تختلف بين بحر وآخر . . وقد اكتشف علماء نيومكسيكو أن نسبته في مياههم تبلغ بضعة أجزاء في البليون . . وهى نسبة عالية نسبيا ، وان بدت منخفضة لأول وهلة . . ويسهل على أنواع الطحالب السالفة الذكر استخلاصها .

والطحالب المسماة **chiorella valgaris** هي أهم تلك الأنواع الماصة للذهب . . والغريب أن هذه الطحالب لاتمتص أو تستخلص أيا من المعادن الأخرى غير الذهب الموجودة في الماء . . فثمة شعيرات كيماوية جذابة أو مستقبلة ، ولا صقة بجدران خلايا هذه الطحالب . . هي التى تمتص الذهب . واكتشف العلماء أيضا أن الذهب يلصق بهذه الشعيرات فورا ، حتى لو كانت الطحالب ميته . . وتقدر كمية الذهب التى تستطيع الطحالب استخلاصها بهذه الطريقة التى تسمى (**biosorp tion**) بحوالى ١٠٪ من وزنها وهى جافة . .

وغنى عن البيان أن مهمة فصل الذهب عن الطحالب مهمة يسيرة . . فحسبك أضافة احدى المواد الكيماوية القوية من الفئة المسماه — **gold complexing** كالسينانيد مثلا ، حتى يتم فصل الذهب . . دون غيره من المعادن التى تكون عالقة بالطحالب أيضا .



حول الندوة الدولية لموسيقا عُمان التقليدية

هذه الصدفة تحولت
في يد هذا الفنان
الشعبي الى بوق
للموسيقا التقليدية
العمانية .



أحيانا يكون المكان هو طريقك للاحساس العميق بالزمان ، وبالتاريخ ، ولعل هذا هو ما يشعر به بقوة من يزور سلطنة عمان لأول مرة ، يشعر به وهو لايزال يراها من نافذة الطائرة ، فسواحل عمان بشواطئها المتعرجة ، وموانئها التي تحدق بها الجبال ، وطبيعتها المتنوعة بين صحراء مترامية ، وسهول ساحلية وداخلية خصبة ، وسلاسل الجبال الممتدة من الشمال الى الجنوب ، وموقعها المتميز في الجنوب الشرقي لشبه جزيرة العرب عند التقاء الخليج ببحر العرب ، كل هذا يمنح من يزور عمان لأول مرة شعورا عميقا بأنه في زيارة لمعقل من معاقل التاريخ ، لحركة هذا التاريخ بين قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا ، لنقطة التفاعل بين ثقافات وحضارات هذه القارات كلها

كانت البداية دعوة كريمة من وزارة الاعلام بسلطنة عمان لمجلة العربي ، لحضور « الندوة الدولية لموسيقا عمان التقليدية » بمسقط ، في الفترة من ٦ ـ ١٦ أكتوبر سنة ١٩٨٥

وحين غادرنا مطار السيب الدولي بمسقط في الطريق الى فندق « انتركونتننتال » حيث تعقد الندوة ، كانت السيارة تعبر طرقا حديثة واسعة في عاصمة عصرية كبيرة ، شبكة هائلة من الجسور العلوية المتقاطعة التي تربط بين أحياء المدينة ، وتسمح بتدفق حركة السيارات بيسر ، ولكن سلاسل الجبال التي كنا نراها من نافذة الطائرة لا تزال هناك قائمة وممتدة ، فالمدينة في قلب الجبال ، والجبال تحتضن المدينة ، تحمل البيوت والعمائر على قممها ، ومدارجها وسفوحها ، الطرقات تمضي بين الجبال ، تدور حولها أحيانا،ترتفع معها ، وتهبط أحيانا ، تخترقها أحيانا ، بيوت عصرية حديثة ، ولكن واجهاتها كلها تحمل طابع العمارة الاسلامية والعربية والعمانية ، وشرفاتها تزدان بالزخارف الاسلامية ذات الوحدات المتكررة ، والأعمدة التي تنتهي بأقواس متناظرة ، بيوت حديثة على هيئة قلاع ، وأخرى تأخذ سقوفها شكل القباب أو الأبراج ، بيوت كلها زاهية الأصباغ والألوان ، متناسقة في تنوع ألوانها ، واختلاف درجات اللون ، الجديد والقديم هنا في شوارع مسقط يمتزجان ويتصالحان أهذا كله مصادفة أم ثمة قصد وتخطيط وتنظيم ؟ حتى فندق « انتركونتنتال الذي توقفت أمامه السيارة ، تتوج صالته الداخلية الفسيحة مجموعة من القباب ، وتنساب على واجهته خطوط الفن العربي

تساؤلات من قريب

كنا في حاجة الى شيء من الوقت ، لنعرف أشياء عن برنامج الندوة ، والقضايا التي تناقشها ، والمشاركين فيها ؟

البرنامج مزدحم لدرجة تجعلك تشك في أنه ستكون هناك فرصة للخروج من الفندق والتعرف على المدينة ، ثلاثة اجتماعات صباحية ، ومثلها في المساء ، والزيارات المخطط لها في البرنامج كلها جماعية ، وخارج العاصمة

القضايا المطروحة للمناقشة في البرنامج كثيرة ومتنوعة بعضها يتصل بالمأثورات الشعبية بعامة ، وبعضها يركز على موسيقا عُمان التقليدية ، وأخيرا تلك المفاجأة التي تقدمها الندوة سيمفونية عُمان / تأليف عزيز الشوان وقد سجلها أوركسترا لندن السيمفوني

المشاركون في الندوة كلهم من كبار المختصين بالفلكلور (المأثورات الشعبية) بعضهم عرب من الأردن والعراق وتونس والبحرين وعمان ومصر ، وبعضهم أجانب من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والنمسا والمانيا واليابان

الأخوة العمانيون من شباب العلاقات العامة ، عبدالله ومحيب وعاري وغيرهم يتحركون كخلية نحل بين الضيوف ، ويؤكدون لك أنهم رهن اشارتك ، في كل ما تسأل عنه ، أو تريده ، لكن كيف مع مثل هذا البرنامج ؟ في مثل هذه الحالات

ترك للوقت أن يقوم بدوره ، بعض المشاركين في الندوة أعرفهم من قبل ، أستاذ الأدب الشعبي المعروف الدكتور عبد الحميد يونس ، الأستاذ صفوت كمال خبير الفلكلور ، الذي عمل سنوات طويلة في الكويت ، وهذا وحده أكثرية ، ثمة رجل ربعة القوام يتميز بصوته الموسوق ، ونظارته السميكة ، وحركاته السريعة العفوية الرشيقة ، يبدو أنه يعرف كل الضيوف ، ويبدو أن كل الضيوف يعرفونه ، فهو يتحدث اليهم جميعا حديث العارف ، ينتقل بين اللغة العربية والانجليزية مع تنقله بين الضيوف ، قال لي الأستاذ صفوت كمال / هذا هو الدكتور يوسف شوقي . . انه وحده الذي يملك الكثير من الاجابات عن كل ما تود أن تسأل عنه بشأن هذه الندوة .

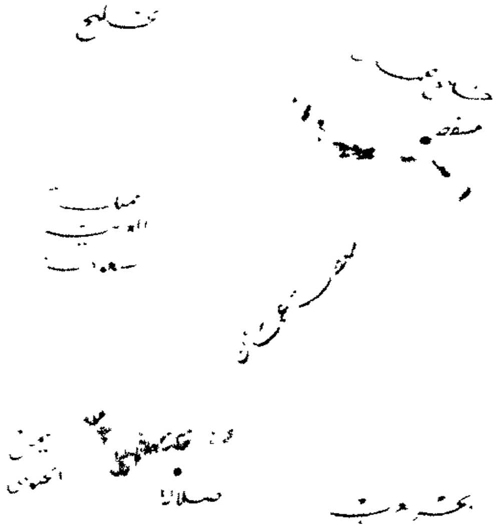
« الدكتور يوسف شوقي أستاذ الجيولوجيا وصاحب الدراسات والابداعات المعروفة في عالم الموسيقا ، وآخر معلوماتي عنه أنه كان وكيلا لوزارة الثقافة في مصر » ماذا أنتظر لأعرف كل شيء ، عن دوره هنا وعن الندوة منه شخصيا ؟ وفي الحقيقة أنني لم أجد فرصة حقيقية للحديث مع الدكتور يوسف شوقي ، الا بطريقة واحدة هي أنني دعوت نفسي للغداء على مائدته ، فلعل هذا هو الوقت الوحيد الذي يمكن أن تكمل فيه حديثا معه !

انشاء مركز عُمان للموسيقا التقليدية

قال الدكتور يوسف شوقي « جئت الى عُمان منذ أكثر من عامين بدعوة من وزارة الاعلام العمانية ، للقيام بمهمة محددة هي : جمع وتوثيق فنون الموسيقا التقليدية العمانية ، وهذه عملية علمية وفنية وميدانية ، وفي بلاد واسعة ذات تاريخ حضاري قديم مثل عُمان ، فهي ليست سهلة ، ولكن المسؤولين هنا قاموا بتذليل كل الصعوبات » .

ثم استطرد الدكتور يوسف شوقي :

« من المعروف أن المجتمعات التي لها تاريخ عريق تحرص وهي تتطلع الى المستقبل على أن تلتفت الى هذا الماضي العريق ، ليكون تيار التقدم متواصلا ومرتكزا على أسس من هذا الماضي ، والفنون التقليدية بعامة ، لكونها ابداعا تلقائيا وجماعيا ، فإنها



تعبر أصدق تعبير عن روح الأمة ، وتحافظ على أهم ملامح الشخصية الوطنية ، ولأن هذه الفنون التقليدية تعتمد على الانتقال الشفاهي بين الأجيال ، فإنها تتعرض الآن تحت ضربات التطور وغزو أجهزة الاعلام الحديثة الى الاندثار ، فضلا عن التغيير الذي قد يصل الى حد التشويه ، ومن هنا كان حرص المسؤولين هنا على تقديم كل عون ممكن للاسراع بانقاذ هذا التراث من الضياع بجمعه وتوثيقه ، والمحافظة عليه ، للمحافظة على شخصية هذه الأمة أولا ، وليكون مصدر الهام للأجيال الحاضرة أو القادمة ومنطلقا للتطور .

قلت للدكتور يوسف شوقي : **هل يمكن أن تلقي ببعض الضوء على الطريقة التي قمتم بها لانجاز هذه المهمة ؟**

ـ « كان المستهدف من هذه العملية كما أشرت اجراء حصر لجميع أنماط الموسيقا والغناء والرقص التقليدي العماني في جميع ولايات السلطنة بحيث يشمل الحصر، المعروف والمتداول والمتنحي وحتى المنقرض من تلك الأنماط ، كما يشمل حصر المناسبات التي تؤدى فيها هذه الفنون ، والآلات المستخدمة في أدائها ، كل ذلك تمهيدا لعمل سجل

متعدد الروافد لهذه الفنون ، يتجسد في الارشيف القومي للموسيقا التقليدية ، ولتحقيق هذا الهدف ، قمنا بتصوير أنماط الغناء والرقص التقليدي العماني تصويرا تلفزيونيا ، وبتسجيل الجانب الصوتي للغناء والرقص ، وكذلك تسجيل أنماط الغناء التي لا تصاحبها حركة راقصة تسجيلا صوتيا

كما قمنا بتصوير جميع العناصر البشرية والآلية ، التي تسهم في أداء الفنون التقليدية العمانية ، في وثيقة تصوير فوتوغرافي

منهج البحث

● ماذا عن المنهج الذي استخدمته في عملية الجمع والتوثيق ؟

ـ كان منهج البحث يعتمد الأسس التالية أن يكون الموثق الميداني مستقبلا للمعلومات لا مرسلا فمن المعروف أن هذا الموثق يقوم باستقصاء الحقائق الفنية أو التاريخية أو الاجتماعية من مصادر بشرية متعددة وعليه في هذه الحالة أن يستقبل المعلومات التي يعطيها له المصدر البشري دون تعليق أو معارضة أو نقاش أو تصويب

أن يحرص الموثق الميداني على صياغة الأسئلة التي يوجهها الى مصادره البشرية صياغة محايدة صريحة ، لا تحمل في طياتها أي نوع من الاجابة أو أي اشارة الى معلومات بعينها

أن يكون التكوين التركيبي والوقفة والحركة نوعا واتجاها في أداء أي نمط من أنماط الموسيقا التقليدية هي ذاتها العناصر التركيبية والحركة المتوارثة عن الأجيال السابقة وذلك دون اعتبار لما قد تفرضه طبيعة التصوير التلفزيوني من متطلبات فكثيرا ما حاول بعض المشاركين في أداء هذه الفنون التقليدية أن يغيروا من نظام وقفتهم ، ومن ترتيب عناصر ومكونات الشكل العام لما يؤدونه من فنون ، وذلك لكي يظهروا في التلفزيون بشكل أفضل ، ولقد لقي هذا الاتجاه الذي تكرر كثيرا مقاومة شديدة من فريق العمل الميداني حتى يخرج الأداء في شكله التقليدي الصحيح الاصيل

● من المعروف أن تحديد الاطار والملابسات التي تؤدي فيها الانماط الموسيقية والغنائية التقليدية يسهم في فهم الوظائف الاجتماعية لهذه الانماط ، فهل تتفضل بالاشارة الى بعض هذه الانماط الموسيقية مع مناسباتها ؟

ـ طبعا هناك أنماط كثيرة ومناسبات أكثر منها ، فالنمط الواحد قد يؤدى في أكثر من مناسبة

هناك فنون البحر ويدل كل اسم من أسماء فنون البحر على ما يرتبط به من عمل على سطح السفن التجارية مثل

شلة الناورة تغنى والبحارة يرفعون الناورة عند تحرك السفينة

شلة الفتيي تغنى عندما يرفع البحارة شراع السفينة الصغيرة الخ

وباختصار هناك فنون للصيد وللزراعة وللرعي وللحرف والصناعات البيئية وكلها مدونة مرتبطة بمناسباتها ، وما دمنا قد تطرقنا الى هذا الجانب فلا بد من الاشارة الى الفنون الأفرو ـ عمانية وهي تختص بأنماط الغناء والرقص التقليدي الوافدة من الساحل الشرقي لأفريقيا وكانت ترتبط في الماضي بالشعوذة والدجل ، وان كان معظم أنماطها قد تحول الى التسلية والترفيه

ومن هذه الفنون المكوارة ـ الطنبور (النوبان) الشرح في « صور » وهناك أيضا الفنون الاسيو ـ عمانية وتؤديها فرق اللوش في المناسبات الاجتماعية كالخطبة والزواج والختان وتتكون فرق اللوش للفنون التقليدية العمانية من خليط من الرجال والنساء يغنون ويرقصون ما توارثوه من أنماط فنية وفدت من اسيا في الماضي ثم أصبحت عنصرا عضويا من مكونات الفنون التقليدية العمانية

ومن هذه الفنون السيروان ، الكو راك لي رو كشاري

● ● ●

الجلسات تتوالى ، والأسماء التي قرأناها في البرنامج ترتبط بوجوه أصحابها ، وفي صالات الفندق والمقهى والمطعم يزداد المشاركون تعارفا ، وشيئا فشيئا تتضح اتجاهات الحوار الذي يبدأ في الندوة ويستمر في مقهى « مسندم » ومطعم « القرم » (هذه أسماء بلاد ومناطق في عمان) والشعور بأن عُمان كلها تعيش قصة الحوار بين الاصالة والمعاصرة يتأكد ، ومعلوماتنا



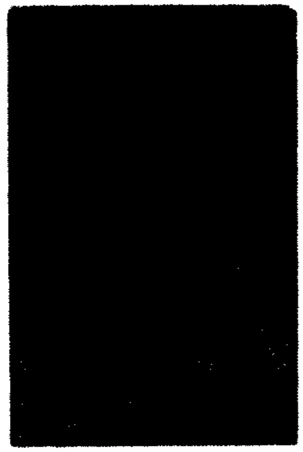




هـد الهـ هـوعـه
الـمـاب سـمـى
لـحوى الـه نـمـح ق
لـموسـما لـمـنـا سـه
الـمـانـه



الشيخ . عيسى بن راشد آل خليفة وكيل وزارة الاعلام البحرين



وزير الاسكان العماني السيد / أحمد بن عبد الله الغزالي .



وزير الاعلام العماني . السيد / عبد العزيز بن محمد الرواس .



الاستاذ . صفوت كمال .

عن تاريخ عمان وامبراطوريتها التي وصلت الى زنجبار بأفريقيا وأسطولها الذي وصل الى شرق آسيا تزداد ، من خلال الكتب التي يوفرها رجال العلاقات العامة بوزارة الاعلام ووزارة الثقافة ، ثم تأتي دعوة كريمة من وزير الاعلام السيد عبدالعزيز بن محمد الرواس لمقابلة الصحفيين المدعوين الى الندوة ، وجاءت الفرصة لتوجيه سؤال تحفظ بشأنه الدكتور يوسف شوقي عن الخطوة التالية لجمع وتوثيق فنون الموسيقى العمانية التقليدية .

الخطوات التالية

وحول الخطوات التالية لعملية جمع وتوثيق الموسيقى العمانية التقليدية قال السيد وزير الاعلام :

« مع أن أبعاد هذه الخطوات سوف تتحدد في ضوء « توصيات » الندوة الدولية لموسيقى عمان التقليدية الا أنه يمكن القول بأن التوجه هو للقيام بعملية جمع وتوثيق أخرى لبقية عناصر الفلكلور العماني (المأثورات الشعبية) مثل الحكايات والأمثال والأساطير وفنون النسيج والمنقوشات الفضية والنحاسية وغيرها من الفنون الشعبية لقد بدأنا بالموسيقى التقليدية لأن هذا الفن كان الأكثر عرضة للضياع والاندثار سواء بتأثير وسائل الاعلام الحديثة أو بموت العناصر البشرية العارفة بأصول هذا الفن » .

* * *

كانت فكرة البحث عن استكمال عناصر الرحلة تتأكد في داخلي ما دام شعوري بأن عمان ٨٥ تحيا بعمق قصة الحوار الدائر بين الاصالة والمعاصرة فلماذا لا نستكمل البحث وراء هذه الفكرة . .

هل ما رأيته في طراز المباني في عُمان هو امتداد لفكرة الحوار الفعال بين الاصالة والمعاصرة ؟

وطلبت من السيد محمد بن سالم المرهون مدير الاعلام أن يدبر لنا لقاء مع أحد المسؤولين في قطاع الاسكان .

ولم يدخر الرجل جهدا فبعد يومين لا أكثر كنا نخرج من أسر الفندق الجميل للقاء مع السيد وزير الاسكان .

لكن لنؤجل الحديث عن هذا اللقاء الى أن نقدم :

لمحات عن أهم الاتجاهات والقضايا التي برزت في الندوة

أولا قضايا الفلكلور (المأثورات الشعبية) التاريخ مصدر هام من مصادر « التراث الشعبي »

حول هذه القضية دار البحث المقدم من الدكتور يوسف غوانمه بجامعة اليرموك بالأردن .

وخلاصة وجهة النظر التي يطرحها البحث :

« ان التاريخ سجل هام للتراث ، وما العلوم الاخرى كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلكلور الا مشتقات من علم التاريخ الذي يعتبر الأم والأصل لكل تلك العلوم ويستطيع الباحث المتقصي أن يجد في ثنايا بعض المؤلفات التاريخية تفاصيل دقيقة وفريدة لعناصر من التراث الشعبي كالعادات والتقاليد والطقوس والمراسم ، بل إن بعض هذه المؤلفات يعتبر سجلا دقيقا لحياة المجتمع اليومية ، ومن هنا فإن

على عالم الفلكلور العودة الى التاريخ ، لأن العادات والتقاليد التي يحفظها التاريخ تعتبر معينا لا ينضب لعالم الفلكلور كي يقوم بالدراسات المقارنة ، ولكي يتمكن من فهم مدلولات كثير من الممارسات والمواقف والعلاقات ، وهذا ما يمكن الفلكلور من أن يكون علما تاريخيا .

ويقوم الدكتور يوسف غوانمه في بحثه بتحليل العديد من التقاليد والعادات التي تحدثت عنها كتب التاريخ مثل عادة شرب القهوة وتقديم الهدايا واقامة الولائم . . . الخ .

ثم ينهي بحثه بالاشارة الى أهم المراجع التاريخية التي عنيت بتقديم المعلومات الخاصة بالتراث الشعبي الى جوار المادة التاريخية الاخرى ومن أهم هذه المراجع تاريخ الطبري والكامل في التاريخ لابن الاثير ونهاية الأرب للنويري والسلوك للمقريزي . . الخ .

دعوة الى دراسة المأثورات الشعبية من وجهة نظر عربية

تناول البحث المقدم من الأستاذ صفوت كمال أستاذ الفلكلور بأكاديمية الفنون بالقاهرة طرح وجهة نظره حول هذه القضية ، ويظهر من هذا البحث أن ثمة توافقا في وجهة النظر بينه وبين الدكتور يوسف غوانمه حول ضرورة استخلاص الأصول التاريخية لمواد المأثورات الشعبية من الكتب والمراجع والوثائق التي اهتمت بجوانب من الحياة اليومية للانسان العربي .

ويرى الاستاذ صفوت كمال ان من أهم مميزات الثقافة العربية حيويتها التي تتمثل في التواصل بين ماهو موروث مدوّن (التاريخ) وبين ما هو مأثور شفاهي (الفلكلور) واذا كان في هذا الاتجاه يتفق مع الدكتور غوانمه فانه يتجاوز هذه النقطة الى التأكيد على حيوية الثقافة العربية باثبات وجود تواصل أيضا بين أنماط الابداع الشعبي في العديد من البلاد العربية وهو في هذا الاطار يشير الى التماثل القائم بين الوحدات الزخرفية في العمارة اليمنية وبين العمارة النوبية ، ويشير الى أن أدوات الزينة والحليّ في البلاد العربية تتماثل أيضا في وحداتها الزخرفية وأشكالها العامة بل في وظائفها وبعض مسمياتها ، ثم يستطرد لاثبات هذا التماثل بين فنون « الصوت » الشائعة في الجزيرة العربية والخليج العربي ، ويبرهن على أن هذه الفنون قد جمعت في بنائها الفني بين ما هو « موروث مدوّن » في كتب تاريخية مثل كتاب الأغاني وبين ما هو منقول شفاهي ، شأنها في ذلك شأن الموشحات وشأن الموّال والأمثال والسير الشعبية .

ويخلص من هذا كله الى أن البحث الفلكلوري العربي لا بد أن يكون متواصلا مع تقاليد المفكرين العرب الذين اهتموا بتسجيل جوانب من الحياة اليومية التي عايشوها ، وأن يهتم هذا البحث بالكشف عن التواصل القائم بين أنماط وطرز الابداع الشعبي سواء كان هذا التواصل زمنيا في التاريخ أو جغرافيا بين مختلف البلاد العربية .

الفنون التقليدية بين الأصالة والتطور

كان هذا هو العنوان الذي اختاره الدكتور عبد الحميد يونس أستاذ الادب الشعبي في مصر ، لدراسته المكثفة عن الفنون التقليدية باعتبارها تعبيرا تلقائيا عن ابداع الجماعة يمثل الصدق والاصالة ، ثم قال : ان التطورات التي تطرأ على هذه الفنون خلال تنقلها بين البيئات والأزمان وتحولها من مرحلة النشأة الاولى الى مرحلة النموذج أو الشكل القابل للتقليد



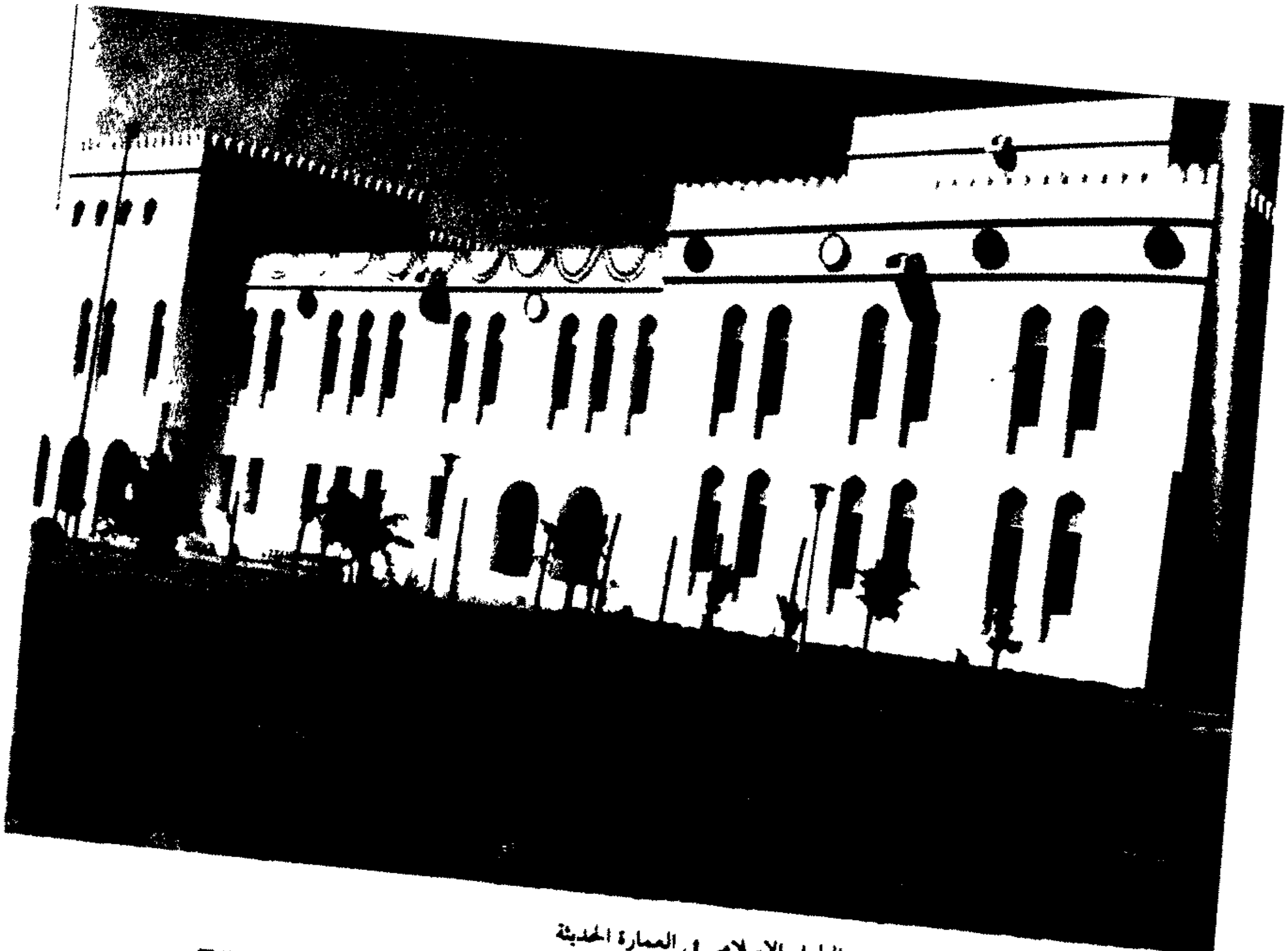
مبان حديثة من طراز عريق





نظرة من الماضي من نافذة حصن نزوى

راقصان يؤديان رقصة تقليدية في مرباط



الطراز الاسلامى فى العمارة الحديثة



احدى فرق النساء تؤدى رقصة تقليدية أمام مقر نائب الوالى فى مرباط

والتكرار لا ينفي عنها صفة الاصالة ، ثم تتطور الدراسة الى الاشارة الى أن هذه الفنون جميعا تمر الآن بمرحلة من التطور تشبه الطفرة بسبب دخولنا في عصر التكنولوجيا .

وتوضح الدراسة أثر هذه الطفرة على هذه الفنون من نواح متعددة فمن ناحية الجمهور نجد أنه في الماضي كان الجمهور يجمع بين الابداع والاداء والتلقي ، خلال مشاركته في الطقوس والشعائر والمراسيم ، ولكن بعد ظهور أجهزة التقنية الحديثة تباعدت العلاقة بين الاداء وبين الجماهير ، وغلبت الفرجة على المشاركة في الابداع والتلقّي .

ثم تستعرض الدراسة تأثير ظهور الراديو ثم التلفزيون . . وكيف أن ظهور هذه الاجهزة التقنية أدى الى أن يخضع تقديم الفنون الشعبية الى مركزية المنبع الذي يختار ما يمكن عرضه على الجمهور من هذه الفنون ، وكيف أن هذا الاختيار يخضع لذوق أهل المدن ، ومع أن ظهور الفيديو قد يشعر بالعودة الى حرية الاختيار للجمهور بمختلف قطاعاته الا أن الحقيقة هي أن الذي يتحكم فيما يقدم للفيديو هم المتجون الذين يخضعون بدورهم للجانب التجاري ، وللذوق السائد .

واذا كانت هذه الملاحظات كلها تقع لدى الدكتور عبدالحميد يونس في جانب المخاوف التي يثيرها التطور التقني في وسائل الاعلام فإنه يعاود القاء الضوء على الجوانب الايجابية لهذا التطور .

فيشير الى اهتمام المبدعين بالتراث الشعبي فأصبحنا نسمع في مجال الموسيقى والغناء لوحدات شعبية لكبار الملحنين ثم يقول للخائفين ان الفلكلور عند الدارس المستكمل لعدته قوة حية لاتنفذ ، تعدل نفسها لظروف الحاضر في نفس الوقت الذي تحمل فيه تراث الماضي ، وبفضل التقدم التقني والعلمي نجد أن أشكالا قديمة من الفكر والتعبير تظهر بهيئة جديدة حول قطارات السكك الحديدية والطائرات والسيارات ، ولم يعد الفلكلور ينظر اليه في الريف فحسب ، ولا في أطوار الماضي السحيق ، ولا في مكنونات من يسمون بالبسطاء من الناس بل ينظر اليه باعتباره ثمرة العقل الشعبي الذي يعمل في ظل هذا العصر ، وما فيه من مستحدثات تقنية ويبحث عنه في الحواضر وفي القرى والبوادي جميعا .

نموذج للثقافة الجماهيرية الاعلامية العربية

قدم هذا النموذج الدكتور عصام موسى بجامعة اليرموك بالأردن في بحثه الذي حمل هذا العنوان .

وهنا أيضا نلاحظ نوعا من التلاقي في رؤية المشكلات المشتركة فالدكتور عصام موسى يبدأ من حيث انتهى الدكتور عبدالحميد يونس واذا كان الدكتور يونس قد أشار الى طبيعة المشكلات التي يواجهها الفلكلور في ظل تطور التقنية الحديثة في وسائل الاعلام وأنهى بحثه بنوع من الثقة في قدرة الفلكلور على أن يعدل نفسه لمتطلبات هذا التطور بما لايفقده جوهره ودوره فإن الدكتور عصام موسى يقدم نموذجا عمليا لمواجهة هذه المشكلات بالفعل ويتكون هذا النموذج من

أولا : التراث بشقيه القديم والمعاصر :

هو المعين الذي يجب أن يستخدم كقاعدة عريضة تغذي الثقافة الاعلامية العربية ، وعلينا أن نختار من هذا التراث الشيء الصالح والمناسب ، ونقوم بتوظيفه لخدمة حاجات المرحلة الانتقالية .

ثانيا : الناقد الباحث

وهنا يبرز دور الباحث العربي الذي يتولى التنقيب في التراث لاستخراج أفضله بعين ناقدة موضوعية ، كما يتولى تبيان الفروق الفردية بين فن مجتمع وآخر وابراز السمات المشتركة التي تجمع بين تراث الثقافة العربية بعامة ، وبهذا الصدد يقترح الباحث تأسيس أكاديمية عربية تعنى بجمع التراث وتصنيفه وتحليله وتقديمه للملأ بصورة مقبولة ويرى أن وسائل الاعلام ملزمة باحتضان النقاد لابداء الرأي في الانتاج قبل تصنيفه وتقديمه .



د : يوسف شوقي



د . صالح المهدي

ثالثا : وسائل الاعلام

نتيجة لخطورة الدور الذي تقوم به وسائل الاعلام في هذا العصر فلا بد من أن تكون هناك سياسات اعلامية واضحة ملتزمة تجاه تنمية الذوق العام واختيار كوادر مدربة تتصف بصفات الابداع والانتهاء

رابعا : الفنان المنتج

ومع أن توفر مثل هذا الفنان المنتج أمر نادر الحدوث الا أن توفره أحيانا يكشف لنا عن مدى الثراء الفني الذي يمكن أن يتحقق بوجوده ، لقد تحقق هذا ممثلا بالأخوين رحباني وفيروز وغيرهم،لقد جاء نتاجهم يجمع بين القديم والجديد ويمثل انتاج الصناعات الثقافية الثقيلة الناجحة التي تستهوي الجماهير وتقدم في الوقت ذاته فنا بمستوى رائع ، إن توفير الظروف لبعث الفنان المنتج أمر واجب وممكن .

خامسا : مضمون الثقافة الجماهيرية

لأننا نعيش مرحلة تحول هامة فإن مضامين الثقافة الجماهيرية يجب أن تكون في اطار التحديات التي نواجهها ، تحدي الاستقلال في مواجهة التبعية ، وتحدي الوحدة في مواجهة التجزئة ، وتحدي الانتاج في مواجهة الاستهلاك ، وتحدي العدل في مواجهة الاستغلال والتخلف .

إن هذه التحديات يمكن مواجهتها باستغلال وتوظيف العناصر الايجابية في تراثنا بشقيه القديم والمعاصر ، والمدون والمأثور الشفاهي ، وفي كل بلد عربي رموز تاريخية تكفي لصنع برامج عديدة يمكن تبادلها مع بقية البلاد العربية ، ألف ليلة وليلة ، وحكايات كليلة ودمنة تشكل أرضية خصبة يمكن الاستفادة منها في صنع برامج للأطفال وللكبار

الفنون الشعبية والتنمية الاجتماعية

في دراسته حول هذه القضية أوضح الدكتور صالح المهدي بوزارة الشؤون الثقافية بتونس والرئيس المساعد للمجلس الدولي للموسيقى التقليدية ، بعد مقدمة اضافية تعرض فيها للمفاهيم المتعددة حول الفلكلور والآثار التي أحدثتها التقنية الحديثة في الفلكلور ايجابا وسلبا ، أشار الى الجهود التي قام بها في تأسيس معهد دولي للموسيقى المقارنة في برلين الغربية في نطاق منظمة اليونسكو للتعريف بالتراث الموسيقي للبلاد غير الأوروبية .

كما تحدث عن فلم سينمائي أعده سنة ١٩٧٥ بطلب من اليونسكو عنوانه « المنستير ٧٥ » تناول فيه تأثير الفنون الشعبية على التنمية الاجتماعية .

ثم أشار الى بعض التجارب التي قام بها في تونس من خلال وزارة الشؤون الثقافية لتأكيد دور الفنون الشعبية في التنمية الاجتماعية . منها : إقامة مهرجان الفروسية الشعبية ، الذي يشهد اقبالا كبيرا وقد حدث في احدى المرات أن تفشى مرض فاشترط المسؤولون عن المهرجان التعقيم للسماح بالمشاركة في هذا المهرجان ، فاذا بوزارة الصحة تجد نفسها في مشكلة اذ كان عليها أن توفر التطعيم لحوالي عشرين ألف مواطن في يوم واحد وفي مكان واحد الذي يقام فيه المهرجان .



مبان حديثه تظهر فيها لمسات فى العماره الاسلاميه والعربيه



رقصه عمانيه تقليديه
تؤديها احدى فرق
الرحال على مسرح
مدرسه ثانويه

أضواء على موسيقى عمان التقليدية

[illegible]

[illegible]

... ويمكن من ... في ... حركات في ... تحدث ... في عمان شائع بين ناس ... فإذا كان ما ... أن ... عن لاعب ... أساس للمجتمع ... كلاهما خاص ... لكل منهم خصائص في ... وفي الإيقاع، وفي الأسلحة المستعملة. وبعد استعراض هذه الخصائص يطرح الباحث بعض تساؤلات وأفكار تدعو إلى أن نحوز على عناية الدارسين

« المولد » و « المالد »

نمطان من الموسيقى الدينية

عن هذين النمطين من أنماط الموسيقى العمانية التقليدية الدينية، قدمت الدكتورة لويس (لمياء) الفاروقي أستاذ الفنون الدينية بجامعة ... بالولايات المتحدة دراسة مقارنة عرّفت فيها بكل من هذين النمطين وبالمناسبة التي تؤدى فيها، وبالطريقة التي تؤدى بها



جمال الوجه أم جمال الزي العماني التقليدي



وجه سيدة عمانية وراء اللثام

وعقدت مقارنة بين هذين النمطين أوضحت خلالها أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما .

« فالمولد » هو الاحتفال بميلاد الرسول عليه السلام وتتم هذه الاحتفالات في الفترة التي ولد فيها الرسول عليه السلام من كل عام ، أما « المالد » فإنه لا يرتبط بهذه المناسبة فهو يقام ليلة الخميس من كل أسبوع في بعض الولايات مثل ولاية « صحار » ، كما يقام في بعض المناسبات الاجتماعية مثل الأعراس أو شفاء مريض ، وهو بشكل عام يقام لإضفاء جو من البركة على هذه المناسبة الاجتماعية .

ويحتاج كلاهما « المولد والمالد » الى عدد من الرجال من ٢٠ الى ٢٥ فردا يجلسون على السجاد أو على حصر تمتد على الارض في صفين متقابلين .

وتعتبر سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام واحدا من أهم العناصر المشتركة بين المولد والمالد .

وينفرد المالد بأنه أقل تحفظا في إدخال العناصر الشعرية والموسيقية في بنائه الفني .

بينما يكون نمط المولد بلا آلات ، ويعتمد على الصوت المنغم الذي يؤدي سيرة الرسول عليه السلام من الصف الرئيسي الذي يحمل أعضاؤه العصي المصنوعة من الخيزران المحلاة بالذهب أو الفضة أو العاج بينما يقوم أفراد الصف الثاني بترديد ما يقوله الصف الأول .

وعلى غير ما يتبع في المولد فإن الصف الرئيسي في المالد يتضمن عددا من قارعي الطبول الكبيرة الذين يصاحبون بايقاعهم كل أجزاء المالد .

التأثيرات المتبادلة بين عمان والساحل الشرقي لأفريقيا في الرقص التقليدي العماني

قدمت هذه الدراسة : « هيزل تشنج هود » من جامعة ماريلاند بالولايات المتحدة الامريكية .

وقد بدأت دراستها بالتأكيد على أهمية الطبول في الرقص العماني ، وقالت انه يمكن اعتبار الطبول أدوات أساسية للايقاع ، سواء في التراث الافريقي أو العماني ، وكانت الطبول تستخدم في أفريقيا في اقامة الشعائر الدينية وللتحذير من الكوارث كالحروب والاحتفالات المختلفة داخل القبيلة .

كما كانت تعتبر حلقة اتصال بين العوالم المرئية وغير المرئية ، ثم انتقلت الى الحديث عن قارع الطبول في الموسيقى والرقصات العمانية ، التي يدور فيها الراقصون في حركات عكس عقارب الساعة أو الرقصات الفردية التي يتحرك فيها الأفراد على نغمات الطبول .

ثم أشارت الى أن قارع الطبل قد يتحول الى راقص ضمن المجموعة الراقصة ، فيدخل الى حلبة الرقص (في بعض الرقصات وهو يهتز بعنف الى الوراء والى الامام والطبلة الطويلة مثبتة في وسطه ويقوم ببعض الحركات الاكروباتية حول حلبة الرقص وأثناء الرقص يلتف الراقصون حول قارع الطبل الذي يهبط رويدا رويدا الى الارض حتى يلتصق بها



د . عبد الحميد يونس



هيزل تشنج هود



د . يوسف خوالدة



د . لويس الفاروقي

مو ما يزال يقرع على الطبل نفس الانغام والايقاع
بعل هذا الجزء يمثل قمة الأداء والاثارة .

الاصالة والمعاصرة في موقع آخر

كانت مباني « عمان بطابعها الفريد هي التي جعلتنا نتساءل مع أول خطوة في طرقاتها : هل هذا الامتزاج بين الاصالة والمعاصرة في العمارة العمانية مجرد صدفة أم وراءه تخطيط ؟ وفي الندوة الدولية لموسيقى عمان وعبر الحوارات الساخنة عن الاصالة والمعاصرة تحول السؤال الى هاجس ، فكان هذا اللقاء مع السيد أحمد بن عبدالله الغزالي وزير الاسكان .

وكان حديث الوزير شيقا وممتدا وشاملا لجوانب عديدة من قضية الاسكان في عمان ، وكنا نود لو مكنتنا الظروف من أن نفرد له مجالا خاصا ، ولكن في اطار هذا الاستطلاع نقتطف من هذا الحديث لمحات دالة على أن القيم الاصيلة في التراث يمكن أن تتلاقى مع امكانات العصر في مواقع عديدة لبناء مستقبل افضل . وهذه لمحات من حديث السيد الوزير .

● قبل أن اتحدث عن أسس السياسة الاسكانية الجديدة دعني أضع النقط على الحروف بشأن سؤالك الخاص بطابع العمارة العمانية اننا نعتبر ان المظهر الخارجي للمباني وللاسواق حق عام ، وحين يريد أي مواطن أو مؤسسة أن يقيم بناء فإن الجهات المختصة تقدّم له كتيبا يقترح عليه عدة خيارات في الشكل الخارجي للبناء ، لكن كلها تحافظ أو تحتوي على لمسة الفن الاسلامي أو العربي أو العماني في المبنى ، ● بالنسبة لنظام المبنى من الداخل ، فهذا من حق المواطن لانتدخل فيه ، يصممه وفق ذوقه الخاص .

في الفترة الاخيرة بعد انشاء وزارة الاسكان (وكانت قبلها وزارة تعمير الاراضي) وبعد أن كلفنا بوضع السياسة العامة الجديدة للاسكان وضعنا سياسة ترتكز على عدة أسس من اهمها .

توفير المسكن المناسب لكل أسرة عمانية والمسكن في رأينا ليس مجرد جدران إنه المناخ الذي تنمو فيه وتحيا الاسرة العمانية لهذا يجب أن يكون ملائما في حدود المعقول .

أن تكون المساكن بالشكل المرن الذي يسمح بالتوسع مع نمو الاسرفتياتي المواطن اليوم وهو في حاجة الى مسكن من حجرتين أو ثلاث ، نبني له ما يلبي حاجته الآن ، ولكننا بالاتفاق معه ـ نمنحه المساحة ونبني له الأساس اللازم الذي يمكنه أن يزيد عليه في المستقبل زيادة رأسية أو أفقية .

اننا بهذا نسعى الى عدم تفتيت الاسرة ، كما نفسح الطريق لنموها ولم شملها .

ليست لدينا تصنيفات للاسكان وللسكان فلا نبني مساكن شعبية لناس ، ومساكن متوسطة لناس ، وفاخرة لآخرين .

● طبعا هناك فوارق لكني أتركها للتفاعل الطبيعي ولكن لانكرسها بقوانين ونظم : الدولة توفر الأرض لمن يريد أن يقوم بالبناء بنفسه وفق ضوابط ، كما توفر المبنى لمن يريد مبنى جاهزا وفق ضوابط .

● أنشأنا بنك الاسكان ليقدم للمواطن القرض الذي يريد لعملية البناء أو لشراء مسكن ، وقروض هذا البنك تسدد على سنوات طويلة ، وبفوائد تتحمل الدولة نسبة فيها تزيد مع أصحاب الدخول القليلة وتقل مع أصحاب الدخول العالية ولا تحتسب هذه الفوائد الا بعد تسلّم المبنى لا تسلّم القرض .

في آخر اجتماع أضفنا الى أنشطة بنك الاسكان أنشطة جديدة لتوسيع قاعدة خدماته ، فأصبح من الممكن أن يمنح القروض لمن يريد أن يرمم بيته القديم لمن يريد أن يزيد في بيته الذي يحتمل الزيادة وأيضا أصبح من صلاحيته أن يقوم بالبناء لمن يريد .

● طبعا هناك معايير وأولويات هناك أولوية للعائدين من البعثات وللخريجين الجدد ، ونلجأ للقرعة اذا زاد المستحقون عن المتوفر .

بالنسبة لمن لا تنطبق عليهم شروط القرض وهم محتاجون الى المسكن ، فقد كانت وزارة الشؤون الاجتماعية توفر لهم المساكن المناسبة والآن هذه المهمة سوف تسند الى وزارة الاسكان .

● لا نحبذ فكرة المجمعات السكنية الضخمة ، ولا تحديد مناطق بعينها لفئات بعينها ، ولكننا نسعى لتوفير الفرص لحياة طبيعية ونساعد الناس لكي يساعدوا أنفسهم .

ربما لم نقدم في هذه اللمحات كل جوانب الصورة ، لكنها كافية لتأكيد أن الاصالة والمعاصرة لا يتصالحان فقط في واجهات المباني بل في فلسفة انشائها وأسلوب توزيعها . □


إسمعها
أكثر نقاءً مع توشيبا
RT-SX85
RT SF75
BOMBEAT SX85
• مكبرات صوت مردوجة قابلة للفصل • ترجيع أوتوماتيكي مردوج • تحكم منطقي IC بمحركين • عرافيك اكواليزر ٥ موجات • دبلجة بلمسة زر واحدة لسرعة عادية/ سريعة • تشغيل بواسطة المرتمل • نظام سريع لاختيار الموسيقى • قوة بث ٥ واط (PMPO)
BOMBEAT SF75
• كاسيت مردوج طراز ميدي • ترجيع أوتوماتيكي مردوج • دبلجة بلمسة زر واحدة لسرعة عادية/ سريعة • تشغيل بواسطة المرتمل • تحكم منطقي IC بمحركين • نظام سريع لانتقاء الموسيقى • قوة بث ٢ واط (PMPO)
RT-SX55
RT-SF55
RT-675S
RT-170S
RT 75S
BOMBEAT SX55
• مكبرات صوت مردوجة قابلة للفصل • دبلجة سريعة وتشغيل بواسطة المرتمل • دلك نظام تحكم مردوج • تحكم منطقي IC بمحركين • عرافيك أكواليزر ٥ موجات • قوة بث ٥٠ واط (PMPO)
BOMBEAT SF55
• كاسيت مردوج موديل ميدي • ٤ مكبرات صوت باتجاهين • نظام دبلجة سريعة • دبلجة بلمسة واحدة • قوة بث ١٨ واط (PMPO)
BOMBEAT 675
AUTO REVERSE
• إعادة بث أوتوماتيكية • ٤ مكبرات صوت باتجاهين • قوة بث ١٣ واط (PMPO)
BOMBEAT 170
AUTO REVERSE
• تسجيل وإعادة بث أوتوماتيكي • ٤ مكبرات صوت باتجاهين • قوة بث ٢٠ واط (PMPO)
BOMBEAT 75
• تسجيل بلمسة زر واحدة • مكبرات صوت قوية ١٢ سم • قوة بث ١١ واط (PMPO)
• كلها متوفرة مع راديو ٤ موجات (MW/SW1 SW2/FM) ونظام فولتاج مردوج • دولبي هي علامة تجارية مسجلة لمختبرات دولبي
TOSHIBA TOKYO, JAPAN

حضارات سادت ثم بادت



اعداد / يوسف زعبلاوى

مثلما المدن تتغير ، ومثلما العلم والحياة فى تطور مستمر ، فان المكتشفات الأثرية ايضا تقلب فى بعض الاحيان الكثير من النظريات والمسلمات ، رأسا على عقب . وتفتح افاقا جديدة للمعرفة .

حول الاكتشافات التى تمت ودورها فى القاء الاضواء على حضارات ازدهرت ثم اندثرت من شتى العصور ، يجىء « بابنا » الجديد هذا . . كى يتولى التعريف بما مضى من حضارات الغابرين . .

حضـــارة تشـــاتال

تتميز هذه الحضارة بالقدم والحداثة فى آن معا . . فهى أحدث حضارة كشف عنها علم الآثار حتى الآن ـ وقد بدأوا أعمال الحفر والتنقيب عنها فى الستينيات ، ولم يستكملوها بعد . .

وهى فى الوقت نفسه أقدم الحضارات الانسانية التى اكتشفها علم الآثار ، حتى الآن ايضا ، وقد ازدهرت فى أواسط تركيا ، فيما بين الألف السابع والألف الثامن قبل الميلاد . . ولا يخفى ماينطوى عليه قدمها هذا من خطورة . . فهو يعنى أنها تمثل تاريخ ماقبل التاريخ . . وحضارة ماقبل الحضارات . . وقد سبقت الحضارة السومرية وحضارة وادى النيل بأكثر من الفين من السنين . . . . وهذا يعنى أيضا أن الحضارة الانسانية لم تكن بداثية فى الألفين السابع والثامن قبل الميلاد ، كما صورتها لنا كتب التاريخ . . . لعلّها كانت حضارة بدائية حقا فى بلدة جارمو فى شمال العراق ، وبلدة أريحا فى غور الأردن . . وهما الموقعان اللذان زرعا بُذور الحضارة الرائدة . . ولكنها كانت حضارة ناضجة مزدهرة فى مدينة تشاتال المعاصرة للبلدتين المذكورتين . . وقد أتقن أهلها فيا أتقنوا ، الزراعة الواسعة والكثيفة بشتى ضروبها وأساليبها . . . وتكاثرت محاصيلهم حتى عمدوا الى تصدير الفائض منها . . الى شتى المدن . . القريب منها والبعيد . . . . .

هذا وحضارة تشاتال لم تعرف الكتابة ولا

القراءة .. ولم تترك لنا نصوصا مدونة .. فهى اذن تقيم الدليل على أن الكتابة ليست شرطا أساسيا لقيام الحضارات وازدهارها .. وهو الدليل الذى أقامته قبلها حضارات الهنود الحمر فى أمريكا الوسطى والجنوبية .. وبخاصة حضارة الأزتك والانكا ..

بقى أن نشير فى هذا التمهيد الى موقع مدينة تشاتال (انظر الخريطة) فى سهل قونية الخصب فى أواسط الأناضول ، على بعد ٣٢٠ كيلو مترا الى الجنوب من أنقرة ، وعلى ارتفاع ١٠٠٠ متر عن سطح البحر .. حيث البرد القارى القارس ، الذى قد لاتلطف من حدته كثيرا ولا قليلا مياه نهر تشامبا القريب .

القدم .. والمساحة .. والسكان

دلت الفحوص الراديوكربونية على أن المدينة عاشت بين سنة ٥٤٠٠ ـ ٦٢٥٠ ق . م ... ودلت فحوص جذوع الشجر على أنها ازدهرت فيها بين سنة ٧٢٠٠ ـ ٧١٠٠ ق . م . أو فيها بين سنة ٦٤٠٠ ـ ٦٣٠٠ ق . م . ومعنى هذا أن حضارة تشاتال سبقت حضارات وادى النيل ، وحوض الرافدين ، بحوالى الفى سنة أو تزيد دون ان تكون أقل منها نضجاً وازدهاراً .

ودلت الحفريات على أن موقع تشاتال يشمل تلّين .. يفصل بينهما أحد فروع نهر تشاراكمبا .. وتبلغ مساحة التل الغربى ١٥ هكتارا والشرقى ١٣ هكتارا ... وقد اقتصرت أعمال الحفر على هذا التل الشرقى ، وحصرت بجزء يسير منه لاتجاوز نسبته $\frac{1}{30}$ « واحد على ثلاثين » ....

فمساحة مدينة تشاتال بلغت اذن ٢٨ هكتارا ــ ويبلغ مجموع سكانها في تقدير العلماء نحو ١٤٠٠٠ نسمة ... أى أكثر من ٤ أضعاف مجموع سكان أريحا (٣٠٠٠ نسمة !)

العمران

لعل أكثر ما يبعث على العجب هو أن تشاتال كانت مدينة بلا شوارع .. تصور أنها افتقرت الى الطرق فالتصقت منازلها بعضها ببعض ، واندمجت جدرانها ، فبدت أحياؤها كتلا كخلايا النحل ... ويصدق هذا على الأحياء ـ فضلا عن المنازل ـ وقد اتصلت وترابطت ووصلت بينها ساحات المنازل الداخلية .

وكانت منازلها بلا أبواب ، وكان أهلها يدخلونها من سطوحها لامن أبوابها ، وذلك بواسطة سلم خشبى يتسلقوه صعودا الى سطح المنزل .. ثم يهبطون عليه ، أو على نظيره ، الى داخل البيت والى المطبخ بالذات . ولم يكن من باعث على هذا المسلك المعقد الشاق سوى الوقاية من شر الوحوش .. وحماية الطعام والأمتعة من شر اللصوص .

أما مادة البناء التى بنى بها أهل تشاتال بيوتهم ومعابدهم فلم تكن بدائية كما يظن القارىء ، بل كانت من الطين المشوى بالنار ... وهى مادة البناء الممتازة التى استعملها قدماء المصريين والسومريين ، بعد ٣ ـ ٤ آلاف سنة .... لقد صنعوا من ذلك الفخار أو الآجر أو الخزف ، قطعا متساوية من الطوب ، بنوا بها جدران المنازل وسطوحها ، فضلا عن أساساتها .

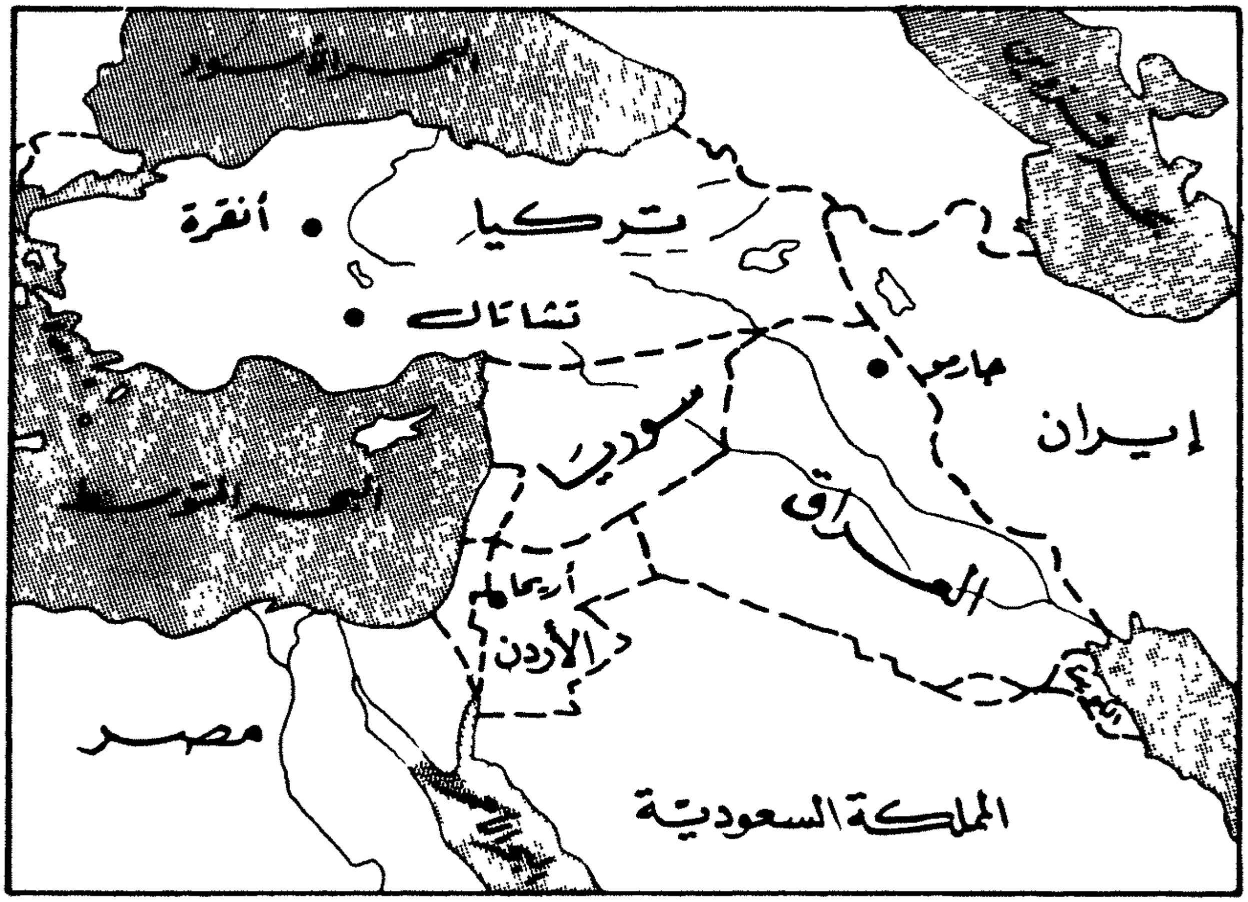
وغلبت البساطة على التقسيم الداخلى الذى اختاره أهل تشاتال لمنازلهم .. فكان قوامه قاعة رئيسية رحبة بمساحة ٦×٤ أمتار ، وأقاموا بمحاذاتها مخزن المنزل . وانشأوا مطبخا ـ دورا ثانيا ـ علويا ـ ومخزنا اضافيا على السطح ، وصنعوا هذه الملحقات العلوية من عصى البوص والجص ، لامن الطوب .

الحياة اليومية

وعرف أهل تشاتال أسِّرة النوم .. فقد احتوت قاعة المنزل الرئيسية على صُفّتين ، أو تختين ، أو مصطبتين .. خصصتا لنوم الوالدين .. وعرفوا ايضا الفراش وقد صنعوه من اللباد ووضعوه على الصفتين فى الليل وكسوا ارض القاعة بالبسط التى صنعوها من قصب ...

ومن طريف ما يذكر ان احدى الصفتين كانت بضعف حجم الصفة الاخرى .. وان هذه الكبرى كانت صفة للمرأة لا للرجل .. ويعتبر هذا من الادلة على أن مجتمع تشاتال سادته النساء لا الرجال .

ولو انتقلنا الى المطبخ لوجدنا فيه فرنا واحدا على



خريطة تبين موقع تشاتال (٥٤٠٠ - ٦٢٥٠ ق م)

الاقل . ووجدنا فيه القدور الفخارية التى استعملوها للطبخ . . وحفظوها ، لامعلقة على الجدران ، وانما ضمن ثقوب خاصة حفروها فى أرض المطبخ . . ولوجدنا أيضا الغلايات الحجرية التى حموها بالنار ثم وضعوها داخل القدر ، وذلك لطبخ الطعام دون تعريض القدور للتلف بوضعها فوق النار مباشرة . وقد استعملوا تلك الغلايات حين احتاج الطبيخ الى حرارة عالية ولمدة طويلة . وكان اللحم - لحم البقر لا لحم الضأن - هو مصدر البروتينات الرئيسى فى وجبات أهل تشاتال ، الا ان تلك الوجبات كانت متوازنة وقد اشتملت على الكثير من الحبوب وخاصة القمح،بالذات خبز القمح وعلى الخضار لاسيما الفاصوليا . . وقد ألفوا أكل الزيوت النباتية التى اعتصروها من العرعر والخردل وما الى ذلك .

بقى أن نتحدث عن وعى أهل تشاتال الصحى وحرصهم على النظافة وقد تجلى فى مجالات شتى . . نذكر منها المزاريب التى صنعوها من الجص وثبتوها على جدران المنازل - من الخارج - وذلك بقصد تصريف مياه الأمطار . . وتحاشيا من تجمعها فوق السطح ولامراض الرطوبة التى قد تترتب على تجمعها . . .

ونذكر أيضا المداخن فى المطابخ وقد صنعوها على نحو يكفل تصاعد الدخان الى الجو الخارجى عبر فوهة فتحوها فى السقوف . ونذكر كذلك الطريقة التى عالجوا بها القمامة وفضلات الانسان . فقد اتخذوا من ساحة المنزل المكشوفة والمعرضة للهواء ولاشعة الشمس ، اتخذوا منها مرحاضا ، وحرصوا على تغطية الفضلات برماد الخشب .

وتجلى وعى اهل تشاتال الصحى أيضا فى الطريقة



رسمت هذه الصورة حوالي سنة ٥٦٠٠ ق . م وهي تمثل الصيادين وهم يلاحقون مختلف الحيوانات



الالهة الام جالسة على عرشها وعلى جانبيها اسدان أو نمران . .

التي عالجوا بها جثث موتاهم . . فهم لم يدفنوها في التراب كما نفعل في هذه الايام ، بل ألقوا بها للنسور خارج المنزل وما اسرع ما التهمت هذه الجيف وجردت العظام من كل ما التصق بها من لحم وجلد . . الخ . . حتى أصبحت نظيفة لماعة لا تسبب التلوث . .

عندئذ اخذ اهل تشاتال تلك العظام ودفنوها في باطن الصفتين على عمق ١,٥ - ١,٨ مترا .

الزراعة والتجارة

نستطيع الجزم بأن أهل تشاتال أتقنوا الزراعة ، ومارسوها بشكل واسع ، وشملت عددا كبيرا من الحبوب الغذائية ، بالاضافة الى القمح والشعير . . وعرفوا ايضا زراعة الخضار ، وأولوا زراعة الفاصوليا - نوعين منها بالذات - جل اهتمامهم . . وعرفوا كذلك العنب والجوز والفستق الحلبي وغير ذلك . . وأقبلوا على زراعة هذا وذلك على نطاق واسع ، حتى بلغت محاصيلهم من الوفرة ما فاض عن حاجتهم ، فعمدوا الى تصديرها .

ولقد صدروها الى بلدان قريبة وأخرى بعيدة ، ما وقع منها في سهل قونيا أو وراءه ، فيما تُقدر مساحته بحوالي ٣٠,٠٠٠ كيلومتر مربع . . وكانت سيليسيا التي تقع على بعد ١٦٠ كيلومترا الى الجنوب من المدن التي صدرت اليها تشاتال منتجاتها ، وبخاصة المصنوعات الفخارية . . واستورد أهل تشاتال بالمقابل الأخشاب والمعادن والزجاج البركاني والرخام والأصباغ والصدف والمصنوعات الخشبية وذلك من جبال طوروس ومن مناطق أخرى بعيدة ، سوريا وسواحل المتوسط . . وغيرها . .

وهكذا يتضح لنا ان بوادر الزراعة والحضارة الانسانية لاتعود الى الألفين السابع والثامن قبل الميلاد - وقد شهدنا ما شهدنا من تقدم تشاتال الزراعي والتجاري - وانما الى آلاف أخرى قبلها .

الدين والفن ونظام الحكم

أقام أهل تشاتال معابد كثيرة ، وأقاموها على نفس مستوى المنازل مع الفارق أن جدران المعابد حفلت بالرسوم والزخارف

أما مواضيع تلك الرسوم واللوحات فقد شملت الأشكال الهندسية الرمزية ، فضلا عن العادية ، كما شملت الأيدى الانسانية . . فصورت بعضها نسورا مضت فى أكل جثث بشرية وصورت احداها انسانا يحاول الدفاع عن نفسه والنجاة بحياته من أحد النسور الذى راح يهاجمه . وصورت لوحة أخرى رقصات الصيد التقليدية ، ومشاهد من مصارعة الثيران . واتسعت احدى تلك اللوحات حتى شغلت الجدران الأربعة كلها ، فبلغ طولها وعرضها بالاجمال ٢٠ مترا وارتفاعها ١,٨ مترا

ويحتل الثور مكانا مرموقا بين مواضيع تلك الرسوم واللوحات . . وقد اكتفوا به رمزا للذكورة التى أحجموا عن تصويرها على هيئة رجل . . هذا بخلاف الأنوثة التى لم يترددوا فى تصويرها على هيئة امرأة ، وتكثر النساء فى رسوم تشاتال ولوحاتها ، البدينات منهن والنحيفات الرشيقات ، أما الحوامل منهن فتحتل مكانا متميزاً فى زخارف المعابد .

ذلك أن أهل تشاتال أولوا الأنوثة والحمل والوضع من التقدير ما بلغ حد التقديس أو العبادة . . فالأهمية عندهم انما تتمثل فى المرأة لا فى الرجل . . وقد ظهرت الآلهة العظيمة فى كثير من تلك الرسوم ، وظهرت فى بعضها وهى فى حالة وضع ومخاض ، وظهرت فى بعضها الآخر وهى تلد رأس ثور . .

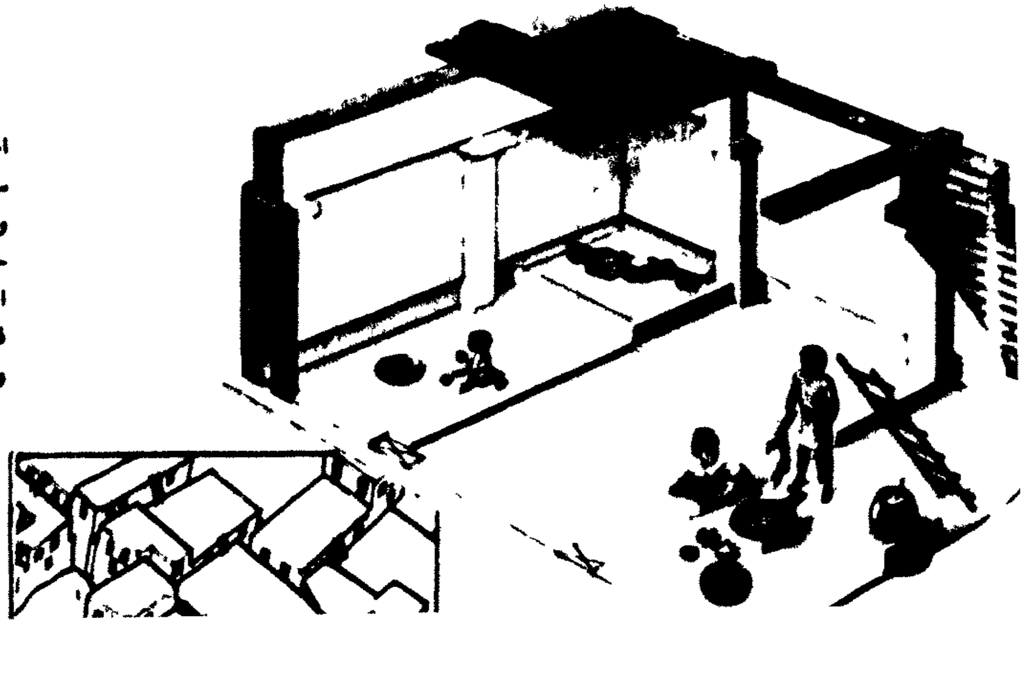
لاعجب اذن ان كانت الملكة لا الملك هى قوام نظام الحكم فى تشاتال ولعل آلهتهم نفسها هى التى جلست على العرش واتخذت من الكاهنات والكهنة وزراء لها

ترى من أين جاء أهل تشاتال فهم ليسوا من أهل المنطقة الأصلاء ، وقد دلت آثارهم على أن



صورة لمجموعة من الثيران والصيادين

مرض فرط نمو العظم تفشى بينهم . . وهذا مرض يزيد من سمك عظام الجماجم ، ولكنه يتنقل بواسطة بعوض الملاريا الذى لاوجود له فى اقليم تشاتال البارد . . ثم يتساءل المرء أيضا الى أين ذهبوا ؟ وقد دلت الآثار على أنهم هجروا مدينتهم فى حوالى سنة ٥٤٠٠ ق.م . . . ترى هل رحلوا الى مابين النهرين . حيث ازدهرت حضارة سومر بعد نحو الفين من السنين . . . هل هم حقا أسلاف السومريين المجهولين ؟ ! ☐



تظهر الصورة الملونة احد منازل تشاتال فى سنة ٧٠٠٠ ق . م . وتظهر الصورة الاخرى حيا من احياء تلك المدينة . . لاحظ السلالم فالبيوت بلا ابواب والمدينة بلا شوارع .

العربي ـ العدد ٣٢٨ ـ مارس ١٩٨٦



القصة الفائزة الثالثة في مسابقة العربي للقصة القصيرة

العُرس

بقلم / الدكتور فاضل محمد مشالى

حينما سمع طرقا على باب الدار ، كان في حظيرة المواشى ، يعتنى باحدى الأبقار . منذ فقدت وليدها وهى ترفض الأكل تماما ، جرب الحاج صابر كل الطرق التي يمرفها . . الفول الناشف المخلوط بالبرسيم الأخضر ، (الكسبة) المطحونة الممزوجة بحبات الذرة المجروشة ، ثلاثة أيام وهى صائمة عن الطعام . . البقرة ليست ملكا له . . هى لأحد تجار المواشى بالقرية . . عليه فقط اطعامها مقابل الاستفادة من خدماتها في الحقل . . اللبن الحليب بالنصف مشاركة مع التاجر ، أما العجل الذى وضعته من حق التاجر . . جاء وساقه لينضم الى قطيعه . . الا أن البقرة كانت ترفض ذلك على ما يبدو .

ازداد الطرق على باب الدار ، أصبح متصلا لاينقطع ، قلّب الطعام للمرة الأخيرة وقربه من فم البقرة ، أشاحت برأسها بعيدا . . ربّت على رقبتها في حزن تركها وسار ببطء في اتجاه باب الدار . . مر بغرفة النوم . . رأى زوجته تجلس على الأرض ، كانت بجوار السرير ، تصب الماء على كومة دقيق ، في اناء محشور بين ركبتيها .

ـ لم لاتردين على الطارق ؟ . .

رفعت أم محمد وجهها عن الاناء ، ونظرت نحوه ، لمعان عينيها لا يوحى بأنها تجاوزت الخمسين . غاصت بيديها في الوعاء .

ـ وهل ترى يَدَيَّ خاليتين . . ارفع ظهرك . . لاتنحن بهذا الشكل . .

اردفت وهو يختفى من أمام عينيها . .

ـ هل أكلَتْ البقرة ؟ . .

لم يرد عليها . واصل طريقه الى باب الدار . . فتحه . . رأى وجه « الأسطى » حسنين الحلاق . كان رجلا لامع الوجه حليق الذقن ، يرتدى

« طاقية » بيضاء و « جاكيتاً » بلا لون فوق جلباب مقلم . ضغط جسده كي يدخل من فتحة الباب .
ـ ياساتر . . أما زلت نائما ياأبا محمد ؟ .
ـ حرام عليك يارجل . . ألم نصلِّ الفجر في المسجد معا ؟ . .
ضحك « الأسطى حسنين » وقال مداعبا :
ـ ربما طاب النوم لعينيك بعد الصلاة . . ! وربما . . !
قاطعه الحاج صابر . . كان يعرف « ربمات » الحلاق والى أين تؤدى . .
قل يارجل . . ماذا وراءك ؟ . .
أخذ « الأسطى » حسنين مجلسه في غرفة الضيوف ، مد يده الى جيب سترته وأخرج جريدة .
ـ جريدة اليوم . . بها صورة ولدك . .
خطفها بلهفة . .
ـ أين ؟ . .
أشار الى مكان الصورة . . نظر الحاج صابر اليها . . فرك عينيه . . حينها تلاشت اهتزازات الورقة بين يديه ، وامتزجت تفاصيل الوجه الحبيب مع حبات الحنين المترسبة في أعماقه ، انفرج وجهه عن ابتسامة عريضة . سعيدة ومندهشة وفخورة .
ـ نعم . . نعم . . هذا ولدى . .
احتضن الجريدة وانطلق كالسهم الى غرفة النوم . .
ـ المهندس في الجريدة يا أم محمد . . المهندس في الجريدة . . رفعت يديها بسرعة من الوعاء . حاولت الامساك بالجريدة . . أبعدها وصرخ فيها . .
ـ امسحى يديك ياامرأة . .
بسرعة حركت يديها على فخذيها لتمسحهما . . وامسكت الجريدة .
ـ هذه صورة ولدى . . ما أبهاه وما أجمله !! . . كم هو رائع ياأبا محمد ، دمعت عيناها . . مسحتهما بيديها . . زادت الشعيرات البيضاء في حاجبيها ، وتلونت الرموش بلون العجين الأبيض فجأة ، وكأنها تذكرت شيئا . دقت على صدرها . .
ـ خيرا يا أبا محمد . . هل فعل شيئا لاسمح الله . . نهرها زوجها .
ـ اسكتى يا امرأة . . المهندس عاقل وزين الشباب واصلت وكأنها تحدث نفسها . .
ـ سترك يارب . . اللهم اجعله خيرا واحفظه في الغربة . .
تسرب الشك الى رأس الحاج صابر ، تساءل في خوف : لماذا نشرت الصورة ؟ ! . . هل فعل ولدى شيئا أغضب الحكومة ؟ . . أم فعل شيئا أرضاها ؟ . . أمسك بالجريدة وحملق في الكلمات المكتوبة أسفل الصورة ، تمنى لو كان يعرف القراءة . . تذكر أن « الأسطى » حسنين لايزال في غرفة الضيوف . . عاد اليه .
ـ لماذا ظهرت صورة ولدى أيها الرجل الطيب ؟ ! . .
ـ لم تعطنى فرصة لأشرح لك . .
ـ هأنذا أسمع ياصديقى . .
ـ تركت المحل وجئت لأشرب الشربات . .
زغرد قلب الحاج صابر . . . استحث محدثه . .
ـ لا تقتلنى يارجل . . قل ما عندك . .
أمسك « الأسطى » حسنين بالجريدة وأخذ يقرأ . .
« يتم الليلة عقد قران المهندس الناجح محمد صابر على الآنسة نوال حسيب . . الحفل بفندق النجمة » .
ثم أردف وهو يعطيه الجريدة .
ـ ألم تلاحظ صورة العروس . . انها بجوار المهندس . . نظر مرة أخرى الى الجريدة . . رأى العروس . . دقيقة الأنف واسعة العينين . الكحل يحدد أبعادهما بدقة . . وشعرها العارى المرفوع لأعلى يظهر أذنيها في الصورة كبيرتين بالنسبة لوجهها . رآها تبتسم في وجهه . . لايدرى لماذا اغتاظ من لون أسنانها . .
انتبه على صوت « الأسطى » حسنين . .
الزبائن بالمحل . . السلام عليكم . .
لم يطلب منه الانتظار ليشرب الشربات ، أغلق خلفه الباب وعاد الى غرفة الضيوف ، جلس الى أحد المقاعد ، ونظر من جديد الى صورة ولده وصورة العروس . . كيف يصدق أن المهندس يفعلها دون علمه . .
الفتاة لاتشبه أيًا من تلك الوجوه التى تخيلها زوجة لابنه ، وأُماً لأحفاده . . كيف استطاع . . ؟ ! بل كيف طاوعه قلبه ؟ ! . . نوارة الدار ، وفرحة القلب ، وراحة الروح . . نظر من النافذة . . كانت الأشجار والحقول الممتدة حتى الأفق في أماكنها ، لكنه







لم يرها . . كان عقله قد أخذ عينيه الى الوراء . . الى الليلة التى ولد فيها المهندس . . بعد خمس سنوات من الشوق والانتظار . . جاء الى الدنيا خابطا يديه وقدميه في الهواء . . تذكر كيف حمله على يديه ، وأخذ يجرى في قاع الدار . . تذكر كيف رحلت التعاسة وحلّت الفرحة بقدوم محمد . . من اللحظة التى جاء فيها ، هجر الحاج صابر المقهى . . وسهرات الليل ، وتفرغ للأرض والدار . .

تحول الفدان الذى ورثه عن أبيه الى معشوقة جميلة . . هدهدها وقلمها وروّاها . . من أجل عيون محمد ، احتضنت الدار ـ التى ورثها عن أمه ـ أسرة صغيرة وسعيدة . . وعندما انضمت اليهم خديجة بعد ذلك بعامين ، حمد ربه وأثنى عليه . أعطاه أكثر مما يستحق ، تحول الى المسجد وواظب على الصلاة . . الصلاة والعمل والجلوس في البيت ، كانت متعتهم . . عندما حصل ولده على الثانوية العامة ودّ لو يستطيع الصعود الى مئذنة المسجد ، لينادى أهل القرية بأن ولده سيدخل الجامعة . . مثله في ذلك مثل ابن العمدة . . منعه الحياء وخوف الحسد . . كانت فرحته لا يؤرقها سوى فكرة رحيل محمد الى القاهرة . . تلك المدينة البعيدة التى سمع عنها الأهوال . . أخفى خوفه من أجل عيون محمد ، ومن أجل كلية الهندسة . . القاهرة . . أيتها الساحرة . . ماذا تفعلين مع الأولاد ؟ .

كل من يدخلك يلتصق بك كأنك قدره . . منذ أخذته من بين يدَىَّ وزياراته تقل . . أعذاره تكثر . . بعد تخرجه من الكلية أصبحت فرحة الحاج صابر غيابية ـ خطابات . . أخبار . . دعوات . . حوالات نقدية . . أصبحت حياته معلقة ببعض سطور يقرؤ ها عليه « الأسطى » حسنين ، وها هو اليوم مطالب بأن يبتهج بصورة ظهرت في جريدة . . انتبه الحاج صابر على صوت أم محمد تناديه . . قام من مقعده وسار ببطء . .

أحسّ أن عمره تقدم ، وأن آلام ركبتيه ازدادت ، وأن نفسه بدأ يضيق . .

ـ نسيت نفسك مع الحلاق وتركت النار تأكلنى ! . .

ـ لا تخافى . . كل شىء على مايرام . .

ـ لماذا نشرت الصورة ؟ ! . .

قدم لها الجريدة .

ـ انظرى . . هذه عروس ولدك . . مبارك ياأم محمد . .

رددت وهى تنظر الى الصورة

ـ الحمد لله . . الحمد لله . .

أضافت . .

ـ ما أجملها . . انظر كم هى جميلة . .

أجابها الحاج صابر .

ـ لكنها ليست أجمل منه . . ثم انها أكبر منه سنا . . وأذناها كبيرتان . .

ـ اتق الله يارجل . .

ـ أنا لا أكذب . . أنظرى جيدا .

تفرست من جديد في الصورة . . سكتت للحظة ، ثم قالت :

أراها جميلة . . والأهم أنه اختارها بنفسه . . على هواه . .

نكأت جرحه . . همس بصوت منخفض

ـ ألم يكن من الواجب . . أعنى ! . . أليس من المفروض . .

قاطعته بسرعة . . كانت تخاف عليه من أحزانه الخاصة . .

تعرف أن الحلاق ثرثار . . القرية كلها باتت الآن تعرف الخبر . .

ـ لماذا لاتخرج وتشترى الشربات ؟ . .

ـ شربات ؟ ! . .

ـ نعم . . انه يوم العمر . . سيأتى الناس للتهنئة . .

ـ تهنئة ؟ ! . .

ـ مابك يارجل ؟ . . هل أطاحت الفرحة بعقلك ؟ . .

ـ فرحة ؟ ! . .

كانت تُقطِّعُ العجين الى قطع صغيرة ، ترصها بعد ذلك متجاورة في وعاء الى يمينها ، توقفت وقالت بجدية .

ـ خيرا ياأبا محمد . . مابك ؟ ! . .

صاح فيها

ـ كل هذا نتيجة لتدليلك . . يفعل مايريد وكأننا متنا . .

ـ ماذا تقول يارجل ؟ . . لقد تزوج على سنة الله رسوله . .

ـ ونحن . . ألسنا ضمن السنة . . أليس رضانا اجبا عليه . .

ـ ومن قال أننا غير راضين

ـ انا . . أنا . . أنا ياأم محمد . .

تحاشت النظر الى وجهه المرتعش . تشاغلت بمسح يديها من آثار العجين العالق بها ، أمسكت « القلة » ورفعتها الى فمها . استعاد الحاج صابر هدوءه بسرعة ، استغفر الله وطلب منه العفو ، تمتم لنفسه . .

ـ لقد حلمت طويلا بهذا اليوم . .

أضاف وهو يأخذ « القلة » من زوجته !

ـ تخيلت نفسي الى جواره . . ولكن . . ربما أصبحت عارا على ولدى !!

لاحظت أم محمد أن آلامه ستزداد . . خاطبته بحنان .

ـ كيف تظن ذلك يارجل ؟ . . ألا يرسل النقود والخطابات كل شهر ، . . هل أهمل المهندس ـ حماه الله ـ في شيء ؟

ـ انا لا أعنى الخطابات . . أعنى . . أعنى . .

اختنق صوته . . لملم نفسه ونهض من جوارها .

ترك غرفة النوم . ارتفع صوت أم محمد من خلفه . .

ثلاث زجاجات من « الشربات » وكيلو سكر . . لاتنس المرور على خديجة . . اطلب منها الحضور مع زوجها . .

واصلت تقطيع العجين الى قطع صغيرة ، سقطت منها قطعة على الأرض أزاحتها بعيدا . . هبطت يداها بعصبية على العجين تفرك فيه بقوة ، حمدت الله ، لأن أبا محمد لم يلاحظ الدمعة التى سقطت من عينيها ، أسرعت ومسحتها ، ثم استمرت في تقطيع العجين .

خرج الحاج صابر قاصدا دار ابنته خديجة ، كانت شمس الريف قد ارتفعت بضوئها ودفئها على أسطح البيوت ، وكانت رياح شمالية خفيفة قد جلبت هواءها المنعش . . حاول ان يفتح ياقة جلبابه لأقصى مدى ، ويأخذ قسطا كبيرا من الهواء حتى يشعر بالراحة . . الجريدة تحت ابطه ، ويده اليمنى ترفع جلبابه الواسع حتى لايدوس عليه . . الصبايا يحملن الجرار ويتجهن صوب مضخة المياه . .

نظر اليهن . . فساتين مزركشة وطويلة حتى الكعب . . وجوه حبيبة وبهية وأصلية . . مناديل ملونة تخرج منها ضفائر سوداء طويلة . . هز رأسه في حسرة . . مالها بنت شيخ البلد ياءمحمد ؟ . . بنت ناس . . وكلمة من أبيها ترج البندر ! . . ليس لك في الطيب نصيب ياولدى . . استمر يحدث نفسه ويدفع بالهواء الى صدره علّه يستريح . . انتبه على أصوات تناديه . .

وجد نفسه أمام مقهى المعلم بهلول .

ـ مبارك ياحاج صابر . .

منه لله « الأسطى » حسنين ، يصلى الفجر وينتشر في القرية (كأبى قردان) يقص الشعر ويطيل الكلام !!

ـ شكرا يامعلم . . « عقبال » أولادك . .

شد المعلم بهلول على يده بقوة ، تحول الى صبى المقهى وناداه ،

ـ وزع شربات المهندس ياولد . .

جلس الحاج صابر على أحد المقاعد يتلقى التهانى . . دبت الحيوية في أعضائه . . أخرج الجريدة وفتحها على صورة محمد وعروسه . . تناثرت الكلمات الطيبة من حوله . . سأله شيخ الخفراء وهو يقرأ الكلمات أسفل الصورة . .

ـ أمسافر أنت اليوم الى القاهرة ؟ .

اعتدل الحاج صابر في جلسته . ابتسم كأعرض ما تكون البسمة .

قال بصوت واثق .

ـ المهندس مُصِّر على سفرى . . يقول بأنه لافرح الا بوجودى . .

أجابته أصوات كثيرة .

ـ عنده حق . . يجب أن تسافر . .

ـ والأرض . . من يعتنى بها ؟ . .

صمت للحظة ثم أضاف . .

ـ الأرز يحتاج للماء كل يوم . .

رفع عينيه للسماء . لمح سربا من الطيور يحلق في نصف دائرة . .

رأى أشعة الشمس تلمع على أطراف الأجنحة . .

أكمل كلامه . .

ـ السنابل ممتلئة ، والطيور كما ترون تتربص بالسنابل . .

لملم الجريدة وطبقها بعناية . أعادها الى مكانها تحت الإبط .

وواصل كلامه :

ـ ولدي طيب .. سيفهم .. سيعذر ظروفي .

لم يحدث أن خيب رجائي فيه أبدا . حماه الله من كل سوء .

نهض واقفا . عندما وصل باب المقهى التفت الى الخلف وخاطب الجميع :

ـ كما أني لا أستطيع ترك البقرة .. مازالت ترفض الطعام . سار في طريقه واستمر يخاطب نفسه :

ـ يجب أن تأكل .. يجب أن تأكل .

بعد صلاة العصر تحولت دار الحاج صابر الى ما يشبه الفرح الحقيقي ، انتشرت في أرجاء الدار حيوية حديثه وبهجتها ، طار صوتها الحلو من نوافذ الدار واختلط بنسمة العصاري . كانت تغني لأحبها وهي تحرك السكر في أكواب « الشربات » . أيادي الصبايا من بنات القرية لا تكف عن التصفيق المنغم . انشغلت أم محمد بتقطيع قالب الثلج الى قطع صغيرة ، اقترب منها الحاج صابر ، قال دون ينظر الى وجهها :

ـ عنك يا أم محمد .

تحولت الى زجاجة شربات وفتحتها ، أخذت تصب محتواها في وعاء الماء .

ـ سيروح أولاده بإذن الله .

أخذ يصف قطع الثلج الى الوعاء .

ـ سامحه ياحاج .

وضع كمّ جلبابه على عينيه . مسحها بسرعة . أعطاها ظهره .

قال وهو يتحرك الى غرفة الضيوف :

ـ إنه ولدي .. ليحرسه الله .

جلس بين الرجال ، يوزع الابتسامات ويتقبل التهاني . أخذ يحكي القصص عن والد العروس .. حسب نسب ، من أعيان الصعيد .. رجل كلمة .. عائلة لها أصل وسمعة .. سأله جاره عبد المولى :

ـ هل رأيته ياحاج ؟

أجاب بسرعة :

ـ طبعا .. طبعا .. وهل تظن أن يذهب المهندس بدوني ؟ !

ثم زاد مؤكدا :

ـ في الشهر الماضي .. ذهبنا الى قصره في مصر ، وخطبنا ابنته ، واتفقنا على موعد عقد القران .

استمر موضحا :

هو أصلا من الصعيد ، لكنه يسكن مصر منذ عشر سنوات .. هو الآن موظف كبير جدا هناك .

التفت الى الشيخ اسماعيل مقرىء القرآن وقال :

ـ عندما قلت لحسيب نسبك إني لن أحضر كتْب الكتاب ، تأثر كثيرا وسألني عن السبب .

تخيل أحدهم يسأله فاستمر في الكلام :

قلت له إني لا أستطيع ترك الأرض وحدها .. اذا عطشت الأرض مني فماذا أفعل ؟ !

خاطب الجميع هذه المرة :

تعرفون .. الأرز يحتاج الى الماء .. والسنابل تحتاج الحماية ، والبقرة يجب أن تأكل .

أحس بصدره يضيق أكثر وأكثر ، وبأن الكلمات تخرج من فمه جافة غير مكتملة ، وبرغم نسمة الهواء الباردة شعر بحرارة الجو .. العرق يتصبب من تحت أبطيه . توقف عن الكلام ونهض واقفا ، ترك غرفة الضيوف ، مر بقاع الدار ، الصبايا لا ينقطعن عن الغناء ، تحرك بينهم وسار في اتجاه حظيرة المواشي ، نظر الى البرسيم والفول المحروش ، كان كما تركه لم تلمسه البقرة ، جلس أمامها وأخذ يقلب الطعام :

ـ كلي أيتها الطيبة .

نظر في عينيها .. الواسعتين .. خيوط دموية متشابكة تملأ البياض ، يسيل منهما شيء شبيه بالدموع .

ـ وليدك العجل سيعتني بنفسه .

مر بيده على جبهتها .. أخذ يدلك رقبتها .. تناول حزمة برسيم ودسها في فمها .

ـ صدقيني سيعتني بنفسه .. الأبناء يعتنون بأنفسهم .

أشاحت برأسها بعيداً .. عادت من جديد لتنظر اليه بعينيها المفتوحتين الصامتتين .. لم يستطع الصمود .. دفن رأسه في وجهها وأجهش بالبكاء .

هبطت البقرة برأسها الى أسفل .. غاصت بفمها في طبقات البرسيم الأخضر .

رفعت رأسها وأخذت تلوك ما بفمها ببطء شديد .

مجلة الأسرة والمجتمع

علِّمي ابنك
لقراءة واقتناء
لكتب



... ومن بعض الغذاء داء !

بقلم : الدكتور رياض العلمى

اعتاد الناس تناول بعض المأكولات والمشروبات دون النظر الى أضرارها المحتملة ، والى الآثار الجانبية السيئة التى تنتج عنها ماذا تقول اذا علمت أن الاكثار من عرق السوس يتسبب فى ارتفاع ضغط الدم مثلا ؟ وان الاكثار من تناول المواد الحاوية على الكافئين يؤدى الى الهيجان والتوتر والقلق ؟ وأن المضافات الغذائية الحافظة قد تؤدى الى السرطان ؟ ان لم تكن تعرف كل هذا فاليك هذا المقال !

هناك من المستحضرات التجاريه والسلع الغذائية ماله تأثير ضار دون أن يفطن الناس الى ذلك التأثير ومن هذه المستحضرات والسلع ما يمكن أن نسميه بالأدوية الحميه ! انها مواد تنتج وتباع ، ويستعملها الناس دون أن يدركوا مخاطرها ، وهى من جانب آخر سلع وعقاقير ، لا يمنعها القانون ولا يحظر تداولها ، فهى بذلك مواد غذائيه شأنها شأن السلع الاستهلاكية الأخرى ، بشرط أن تتوفر لها النظافه والنقاء

ومن تلك الأدويه التى ندعوها حمية ، والتى يقبل عليها الناس اقبالا عاديا التبغ والكحول ، وهما من الآفات الاجتماعيه التى يعم ضررها ، ويرى فيها الناس علاجا نفسيا ولكن هناك أدويه حمية اخرى كثيرة،ليست نفسية ، يشيع استعمالها دون حذر ، كعرق السوس والتيرامين والكافئين

يستخرج عرق السوس من مصادر طبيعيه ، أى من النبات ، ويستهلك فى العادة بكميات كبيرة . وقد يسبب ارتفاعا بضغط الدم وهو يزيد من حالة الضغط ان كان مرتفعا ، وقد يتنافر مع الأدوية المضادة لضغط الدم المرتفع ويستعمل عرق السوس كمادة محلية للحلويات بمختلف أنواعها ، وينتشر في أقطار الوطن العربي ، وبعض من أقطار الشرق الأوسط ، ويكثر تناوله فى الصيف وفي شهر رمضان المبارك ، وقد يتناوله شخص ما يشكو من ضغط الدم المرتفع ، فتسوء حالته دون أن يدرك ، ولهذه الأسباب نضع عرق السوس ضمن الأدوية الحميه

الأجبان القديمة ، والاسماك المخللة والمملحة ، والنقانق المتخمرة ، ولحم السلام المحتمر ، ولبن الزبادى ، وأكباد البقر والدواجن ، والموز ، والتين المعلب ، وفول الصويا ، والخميرة ، والبيرة وغيرها . وهناك اعتقاد بأن هذه المواد تتفاعل تفاعلا خطرا مع الأدوية الخفية الموجودة فى القهوة ، والشاى ، والكاكاو ، ومشروبات الكولا .

الكافئين

يحتوى الشاى على الكافئين والفيوفيلين . فاذا كان مشروب الشاى مركزا ، فانه يعد من أكثر مشروبات زنتين تنشيطا ، ومن أهم الأدوية الخفية .

ويحتوى الكاكاو على الكافئين وعلى الثيوبرومين ، فى حين تحتوى الحوارانا على الكافئين ، وتستعمل لتحضير المشروبات المختلفة فى بلدان امريكا.

يعد الثلاثى - الكافئين وثيوبرومين وثيوفيلين - قلويدات منشطة للجهاز العصبى المركزى . فهى ترفع من حدة الانتباه والنشاط ، وتقلل من التعب والكسل ، كما انها القوة العضلية للجسم ، وقد يزيد الكافئين من قوة الفهم والتعلم والاستيعاب والدقة فى المعلومات .

وقد لوحظ ان الكافئين يزيد من سرعة الشخص الضارب على الألة الكاتبة ، ويساعد على دقته ومهارته . كما أن الكافئين ينشط عضلة القلب ، ولكنه يسبب ارتخاء فى العضلات الملساء كعضلات القصبة الهوائية ويزيد الكافئين من استهلاك الجسم للأكسجين ، كما يسرع فى استهلاك المواد الغذائية .

ان كوبا من شراب القهوة أو الشاى المركز ، قد يحتوى على كمية تتراوح بين ١٠٠ - ١٥٠ ملغراما من الكافئين ، وهذا يوازى الجرعة الطبية العادية الفعالة لهذه المادة.كما ان قطعة من شيكولاته قد تحتوى على ٢٥ ملغراما من الكافئين ، بالاضافة الى ثيوبرومين وقد يحتوى شراب الكولا على ٣٥ - ٥٥ ملغراما فى كل



التيرامين : أما التيرامين فهو أيضا عقار خفى ، له أضرار أكثر خطورة من عرق السوس . فالتيرامين يدخل فى مجموعة كبيرة من الأطعمة والأغذية والمشروبات . وقد لا تكون له آثار سيئة ، ولكن خطورته تظهر اذا أخذ بنفس الوقت مع أدوية من فئة MAo-Inhibibitors وقد تكون قاتلة أحيانا ، فهذه المجموعة من الأدوية تصرف عادة للمرضى الذين يشكون من الاكتئاب ، ويوجد التيرامين عادة فى بعض الأطعمة ، وان اجتماعه فى جسم الانسان مع هذه الأدوية فى آن واحد قد يؤدى الى ارتفاع فى ضغط الدم ، ويسبب صداعا شديدا أو نزيفا دماغيا ، وقد يؤدى الى الموت ويذكر من الاطعمة التى تحتوى على كميات كبيرة من التيرامين

علبة من حجم ١٢ أونسا .

ومن الثابت أن ٤٠٠ ملغرام من الكافئين تسبب الحساسية المفرطة ، والتوتر والرجفة والصداع والهيجان ، وقد يشكو بعض الأفراد من هذه الأعراض بمجرد تناول كوب واحد من القهوة ، بينما يحتمل البعض الآخر شرب ٣ ـ ٤ أكواب من القهوة أو الشاي في جلسة واحدة ، دون أن يظهر عليهم أي أثر ، ولكن معظم الناس يصابون بحالة من الهلوسة والتشنجات ، بعد تناولهم جرعة ١٠٠ ملغرام من الكافئين . أما الجرعة القاتلة من الكافئين فهي بحدود ١٠ غرامات ، أي ما يوازي ٦٠ ـ ١٠٠ كوب .

ان الذين لا يموتون من مثل هذه الجرعات الكبيرة لا بد انهم يشكون من أعراض كثيرة اخرى ، مثل الهيجان والتوتر وعدم الارتياح والرجفة والتنميل ، بسبب سوء الدورة الدموية في الأطراف ، كذلك يصابون بزيادة في التبول ، وفي سرعة دقات القلب ، وتدل جميعها على تسمم ناتج عن جرعة مرتفعة من الكافئين ، كما ان طنين الاذن والهلوسة والزغللة وارتباك النظر ورؤية خيالات وخطوط ملتوية متشابكة ، هي أيضا من أعراض جرعة الكافئين المرتفعة .

ان التعود الجسماني والنفسي على هذه الأدوية ملحوظ في العادة ، ولكن الكثيرين لا يعدونه تعودا وكثير من الناس لا يستطيعون بدء يومهم دون فنجان من قهوة الصباح . اما الذين يستهلكون كميات كبيرة من الكولا فانهم يشكون من التوتر والهيجان اذا حرموا منها يوما واحدا فقط . ويعد الكافئين من المواد الضارة للقلب ، نظرا لمفعوله الواضح على سرعة دقات القلب ، وعلى رفع ضغط الدم ، وعلى زيادة ادرار البول ، ان مدمني شرب القهوة معرضون للاصابة بالنوبات القلبية أكثر من غيرهم ، لذلك تعد القهوة دواء خفيا

المضافات الغذائية

من الأدوية الخفية ما يدخل في العديد من الأطعمة والأغذية ، كمواد اضافية حيث تضاف بعض المواد الكيماوية الى الأغذية لحمايتها من التلف والتعفن ، بقصد المحافظة عليها وابقائها طازجة ، أو لتضفي عليها الألوان المناسبة ، أو المذاق المناسب ، وتزيد من ثباتها . ولقد ازداد عدد هذه المضافات في الوقت الحاضر ، حتى باتت مشكلة يجب التفكير فيها بجد .

ان أهم ما يخشى من هذه المضافات هو السرطان الذي قد تتسبب فيه بعض المواد الكيماوية الحافظة ، أو المضافة ، وهناك مواد غذائية طبيعية تحتوي على مواد « مسرطنة » شأنها في ذلك شأن المواد المصنعة . لنأخذ مثلا مادة النيترات التي يشك بأنها تسبب السرطان . انها موجودة بصورة طبيعية في كثير من الخضراوات كالباذنجان ، وان استعمالها للمحافظة على اللحوم أمر يدعو الى الشبهة .

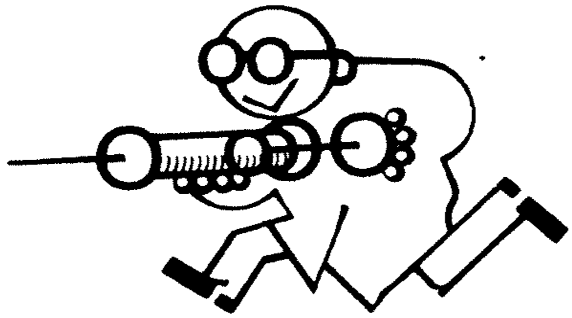
لقد أوصت منظمة الأغذية والأدوية الأميركية بمنع مادة السكارين ، وعدم اضافتها الى المأكولات والمشروبات ومواد التجميل ، غير أن هذا الموضوع ما زال يحير العلماء ، لعدم وصولهم الى نتائج حاسمة .

الغاز الضاحك

يطلق على هذه المادة الكيماوية أيضا غاز أكسيد النيتروز ، ويستعمل عادة في التخدير ، وخصوصا في طب الأسنان ، وبعض العمليات الجراحية الأخرى ، ولا يصرف الا بموجب وصفة طبية في المستشفيات ، ولكن هذه المادة تدرج ضمن الأدوية الخفية فلماذا ؟

يستعمل أكسيد النيتروز كغاز في بعض المستحضرات التي تدخل في اعداد الحلويات . وهذا الغاز يوجد في بعض المطاعم والمقاهي في أميركا ، ويباع بسهولة بدون وصفة طبية لأي عابر سبيل . ويسبب الغاز الضاحك حالة من الانتعاش والشعور بالتحليق ، صحيح أنه لا يحدث هلوسة ، ولكنه يتسبب في جموح الخيال والتصورات ويبعث على الضحك بدون أسباب .

ان الغاز الضاحك لا يحدث آثارا ضارة واضحة بحد ذاته ، غير انه قد يتسبب في حالة اختناق من



جراء منع الأكسيجين . فاذا استنشق هذا الغاز لثوان معدودة فلا ضرر منه . أما اذا استنشق لدقائق قليلة فان نتائج خطيرة قد تحدث منها ، مثلا : نبض بطيء ، ولون أزرق ، وضغط دم مرتفع ، فضلا عن حركات عضلية لا ارادية ، وتشنجات وتنفس مضطرب ، وكل ذلك يتسبب فى قلة الاكسجين ، وقد يؤدى الى الموت فى النهاية .

ومن الأدوية الخفية جوزة الطيب ، وهى بذور ثمرة الشجرة التى تحمل هذا الاسم ، أما البسباسة فهى الغلاف الخارجي للبذرة ، وتحتويان على مادتين فعالتين نفسيا ، تدعى الأولى ميرستيسين ، وتدعى الثانية الميسسين .

ويستعمل البعض جوزة الطيب والبسباسة لأسباب نفسية ، كنوع من الادمان ، حيث تؤخذ بعد اذابتها فى احدى المشروبات كالشاى أو العصير أو الموز المهروس . ويؤخذ هذا العقار أحيانا عن طريق الشم بالأنف ، غير أن هذه الطريقة مؤلمة للغاية

ويحدث الغثيان والقيء والدوخة فى فترة تتراوح بين ساعة وخمس ساعات ، بعد أن تؤخذ جرعة جوزة الطيب ، والجرعة تتكون من ملعقة الى ملعقتين كبيرتين ، أو تستمر الاعراض مدة ٤٥ دقيقة ، يتلوها شعور بالانتعاش والانبساط والراحة النفسية ، كما يشعر المرء بجفاف فى الفم والحنجرة والحلق وبعطش شديد ، وتظهر بقع فى الجلد ، واحمرار فى العينين ، وسرعة فى دقات القلب ، وامساك وصعوبة فى التبول . أما التوتر والخوف وعدم وضوح الكلام والتأتأة ، وعدم المقدرة على الحركة ، فهى أمور قد تحدث أحيانا .

التبغ

والتبغ دواء خفى يعد مشكلة من مشاكل العصر . فهو نبات تصنع منه السجائر والسيجار والزعوط ويعد من الأدوية الخفية ، لما فيه من مواد تؤثر على الجسم أهمها النيكوتين . والزعوط هو التبغ المسحوق ، ويشم عن طريق الانف ، ليدخل الى الدم مباشرة عن طريق الاغشية المخاطية ، وهو شائع فى بعض البلدان فقط . ويختلف التبغ عن غيره من المكيفات بأنه لا يشرب عصيره ولا تبلع أوراقه .

وفى عام ١٩٣٩ بدأت أول دراسة تربط بين التبغ والسرطان ، وفى عام ١٩٤٥ حذرت ما يوكلينك من أضرار التدخين وأثره على الأوعية الدموية ، وفى عام ١٩٥٠ ثبت بالبرهان القاطع أن للتدخين علاقة بالسرطان . وفى عام ١٩٦٥ صدر قانون يلزم شركات التبغ بذكر تحذير طبي يطبع على كل علبة سجائر .

والدخان الذى يستنشقه المدخن يحتوى على ١٢٠٠ نوع تختلف على الاقل من الغازات والشوائب وهى توجد بمعدل خمسة بلايين جزيء فى كل سم٣ . ولو جمعت هذه الجزيئات لتكون منها مادة بنية اللون تسمى القطران ، وهو مادة « مسرطنة » من جملتها بنزوبايرن ، ولكنها لا تشكل سوى ٨٪ من مكونات الغاز لان ٩٢٪ غازات وابخرة يختلط بعضها بالبعض الآخر ، ومن اخطرها غاز أول اوكسيد الكاربون الذى يوجد بتركيز يزيد ٤٠٠ مرة عن التركيز العادى ، وهذا الغاز يقلل من قدرة الدم على حمل الاكسجين ، ومن المؤسف أن المدخن يتعرض لكل هذه الاخطار فى وقت واحد . .

ان ولع الناس بالتدخين يعود بالدرجة الأولى الى احتوائه على مادة النيكوتين . ومن الثابت أن أثره سريع وفورى ، فاذا شعر المدخن بالتعب والتوتر ، فان النيكوتين يعمل كالدواء المهدىء ، واذا حاول المدخن أن ينقص وزنه باتباع نظام غذائى معين ، فان النيكوتين يعد منشطا للشهية ، وقد تم اكتشاف النيكوتين وفصله لأول مرة فى عام ١٨٢٨ ، وكان

المفعول العلاجى الوحيد له هو تنشيط النفس . أما آثاره السمية فهى كثيرة . ويمتاز النيكوتين بأنه قلويد سائل نادر لأن القلويدات مساحيق بيضاء اللون فى العادة . وهو يتبخر بسرعة مع درجة الحرارة العادية . ويعمل النيكوتين على سرعة التنفس وزيادة دقات القلب ، كما يضيق من الأوعية الدموية ، وبذلك يرفع من ضغط الدم ، مما يؤدى الى زيادة الحمل على القلب .

يعمل النيكوتين على اضعاف الشهية للطعام ، ويخفف من تقلصات المعدة ، فلا يشعر الانسان معه بالجوع ، ويسبب زيادة بسيطة فى سكر الكلوكوز فى الدم ، لأن الكبد يفرزه من النشويات المخزونة فيه . كذلك يخدر التدخين حاسة الذوق فى اللسان ، فلا يشعر الانسان بلذة الطعام ، الأمر الذى يقلل من الاقبال عليه .

ومن مضار التدخين تأثيره على الجنين فى بطن أمه . والمدخنات يضعن أطفالا أقل وزنا من المعدل ، ويغلب عليهم اللون الأزرق ، هذا فضلا عن تعرضهم للأمراض أثناء الحمل . فالنيكوتين يتسرب الى الجنين عن طريق المشيمة ، كما أن الطفل الذى يرضع من حليب أمه المدخنة قد يصاب بتسممات النيكوتين المختلفة ، وبالهيجان والعصبية والبكاء المستمر .

وقد أجريت دراسة فى عام ١٩٧٨ ، على علاقة التدخين بالأدوية المانعة للحمل عن طريق الفم ، فثبت ان ذلك يؤدى الى زيادة ضربات القلب عند الأم ، وتعرضها للانفجار الدماغى ، وغير ذلك من الحوادث المتعلقة بالدورة الدموية والقلب .

وقد ثبت أن التدخين يتسبب فى أمراض سرطان الرئة وامراض القلب ، وضغط الدم ، والقرحة المعدية وسرطانات أخرى . كما ان الاحصائيات تدل على أن عدد الوفيات بالسكتة القلبية بين المدخنين ، يصل الى ضعف عدد الوفيات بين غير المدخنين . وهذه النسبة تنطبق على وفيات السرطان بأنواعه ، ويموت من المدخنين ثلاثة أضعاف غير المدخنين بسبب التدخين ذاته .

الكحول

يمتص الجسم الكحول بسهولة وبسرعة من جميع أجزاء الجهاز الهضمى ، وتكون الكمية الممتصة عن طريق الفم قليلة جدا ، أما أكبر كمية يتم امتصاصها فتأتى عن طريق المعدة (حوالي ٢٠٪) ، وكذلك عن طريق الجزء العلوى من الأمعاء (٨٠٪) ، وان درجة الامتصاص سريعة وكاملة ، لان الكحول عبارة عن جزيئات صغيرة تذوب فى الدهون ، وتخترق جدار الخلية بسهولة .

ان تناول الكحول بكثرة ولمدد طويلة ، يؤثر تأثيرات عديدة وخطيرة على الجسم ، نذكر منها باختصار بعض هذه التأثيرات ، فهى . . يؤثر على الدورة الدموية والقلب وضغط الدم ، كما تساعد على ظهور السرطان فى الأعضاء التى تلامسها ، كالفم والمرىء واللسان والمعدة والكبد . وقد تسبب تشمعا فى الكبد ، ونقصانا فى نسبة السكر فى الدم ، وتتدخل فى افرازات البنكرياس ، وتغير من حركة الامعاء ، وتؤثر على الخمائر والانزيمات فى الجسم ، وتمنع امتصاص بعض المواد المهمة كالفيتامينات والحديد والكلس والأحماض الأمينية ، وتؤثر على المعدة ، محدثة فيها الالتهاب والقرحة والنزيف ، ومن أهم آثارها ما يتعرض له الجهاز العصبي والدماغ ، اذ تؤدى الى الادمان . ومن أخطارها المؤكدة تأثيرها على الأجنة ، وعلى الأطفال الرضع ، وعلى القوى الجنسية وغير ذلك .

تنافر الكحول مع الادوية

ومن اخطار الكحول أيضا تنافرها وتداخلها مع الأدوية ، فان تناولها مع اللومنال يزيد من مفعولها ، وهذا القول ينطبق على الفاليوم والميبرومات ، وغيرها من الأدوية المهدئة ، والأدوية المضادة للكآبة والتشنج ، وأدوية التخدير والمورفين وغيرها . □

علمي ابنك القراءة واقتناء الكتب

اعداد : ريم الكيلاني

« مع بداية وعي الطفل . . تبدأ عيناه بالتقاط الصور الملونة ، وعليك عزيزتي الأم أن تنتبهي لهذه الحالة ، وتعلّمي ابنك حب القراءة واحترام الكتاب » .

عُرف الكتاب على مر السنين أنه الصديق الأمثل ، وان القراءة هي الهواية التي تغذي العقل والروح ، والأسرة الناجحة هي تلك الأسرة التي تعتني بالكتاب وبنوعيته ، وبإثارة اهتمام أطفالها تجاه الكتاب ، وعنايتهم بنظافته وترتيبه .

غالبا ماتلفت الصور الملونة والأشكال الزاهية نظر الطفل في سنوات عمره الاولى ، وهذه واحدة من مئات الرغبات الكامنة في نفس الطفل ، ولكنها خطوة تثبت تطور قدرات الطفل في مجالي القراءة والكتابة .

ان الطفل الذي يتعلم كيف يقتني الكتاب ويحافظ عليه ، سرعان ماتراه يسأل ويستفسر ، ليتعلم كيف ينطق الحروف ويحولها الى كلمات تشرح الصورة الملونة التي أثارت اعجابه ، وعلى الأم في هذه الحالة بذل ما تستطيع لتشجيع هواية القراءة لدي طفلها .

ان عملية إعداد رفوف خشبية للكتب بحيث تكون قريبة منه ، خاصة به ، يستطيع أن يصل اليها بسهولة ليختار مايشاء منها ، كما ان عادة الذهاب الى المكتبة العامة من شأنها أن تخلق رغبة قوية لدى الطفل في اقتناء الكتب ، بل ان عملية ارتياد المكتبة تصبح احدى متعه اليومية .

والذي يزيد من حبه للقراءة تعاون أمين المكتبة مع متطلبات ورغبات الطفل ، وتأكيده على وجود القصص القصيرة ، التي عادة مايقرؤها الطفل بصوت مرتفع ، وهذا من شأنه أن يطور عملية القراءة عند الطفل وينميها .

ان أعظم تشجيع للطفل ليتعلم القراءة يكون بخلق الاحساس لديه بأن قراءة الصحف والمجلات والكتب شيء مهم وممتع في حياة الأسرة ، ولهذا أكبر الأثر في اتجاه الطفل نفس اتجاه الوالدين ، ليكتشف بنفسه المتعة الحقيقية في القراءة . ولكن ـ عليك أيتها الأم أن تعلمي طفلك كيف يفرق بين الكتب وبين الصحف والمجلات ، وعلى الطفل أن يكون مدركا



تماما بأن الكتاب شيء لابد من الاحتفاظ به ، لأنه يحتوي على معلومات قيمة تجعله مرجعا للقارىء في أي وقت .

كيف يختار طفلك مادة القراءة ؟

قد تتوقع الأم أن يولع ابنها بقراءة كل الكتب التي خصصت للأطفال . . ولكن هذه ليست قاعدة ، فقد يميل الطفل لقراءة كتابات معينة ، خلاف التي تقدمينها له ، وليس في هذا مايدعو للقلق ، مادمت لا تلحظين ابتعاد طفلك تماما عن قراءة الكتب .

فقد يكون طفلك مولعا بالكتب ذات الطابع السلس السهل ، أو بالكتب الهزلية التي تحمل في طياتها الطرائف المعروضة بطريقة جيدة ، مدروسة على أسس علمية وتربوية . ودور الأم هنا أساسي في تعليم طفلها كيفية التعامل مع الطرفة كجزء أساسي من قراءاته ، دون الشعور بأن مثل هذه القراءات مرفوضة داخل الأسرة . ومن المرجح رفض الطفل للكتاب الجيد ، الى أن يجد مايشجعه على القراءة ، كالقصص الكلاسيكية التي تعرض مسلسلة على التلفاز ، أو تذاع ضمن البرامج الاذاعية .

كيف يستعمل التلفاز ؟

لاشك أن الأطفال اليوم لايقرأون كالأطفال في الماضي ، فوجود التلفاز والمذياع قلل من شغف الأطفال وولعهم بالكتاب ، ولكن هذا لايعني أن ثقافتهم اواطلاعهم بات أقل .

اذا وجدت الأم أن طفلها متحمس لقراءة الكتب عن طريق الصورة المتحركة ، فعلى الأم أن تبحث عن محطة اذاعية متقدمة وراقية لضمان استفادة الطفل من المادة المعروضة . وهذه الممارسات والتطبيقات قد أصبحت شائعة في وسط الموزعين ، الذين بدأوا يحددون زمن طباعة واصدار القصص الكلاسيكية للأطفال ، تماما كما هو الوضع بالنسبة للكبار ، وذلك لخلق التوافق بين مايقرؤه الطفل وبين مايراه مسلسلا على شاشة التلفاز .

والى جانب هذه المطبوعات الكلاسيكية ، هناك كتب جديدة للأطفال ، توزع باستمرار لتناسب كافة الأعمار ، فان كنت تشتري كتابا هدية لطفلك ، ووجدت مجالا واسعا للاختيار من مجموعة العناوين المدونة التي قد تثير حيرتك ، فما عليك الا استشارة مدرس الفصل الذي بامكانه أن ينصحك بالكتاب المناسب .

وقد تلاحظ الأم اتجاه إبنها في إحدى مراحل العمر للاسهاب في قراءة كتب الجريمة والعنف ، فعلى الأم في هذه الحالة أن تتقبل هذا الوضع ولا تعتقد أن ابنها انسان وحشي أو سفاح أو ربما كئيب ، فهذه مرحلة شبيهة بمرحلة حب الطفل واتجاهه لقراءة القصص المرعبة ، التي تصور له أشياء كثيرة عن السحرة والعرافين والعمالقة ، فمثل تلك التجربة هي المتعة الحقيقية التي يجنيها الطفل من قراءاته . فلا تمنعي طفلك من قراءة هذه المواضيع في البيت ، فليس في قراءتها أي ضرر ، لان مثل هذه الاتجاهات سرعان ماتتلاشى لدى الطفل بمجرد شعوره بتفاهة المادة التي يقرؤها ، وسيتجه نتيجة للملل لقراءة مادة أخرى تثير اهتمامه ، وتأسر انتباهه ، وتكشف اي غموض بالنسبة له ، كأمور الفضاء أو الكمبيوتر أو الرياضة

تغير ميول الطفل :

طالما أن مكتبة طفلك الخاصة تنمي مواهبه وتطورها ، فان تغير ميوله من مادة الى مادة يصبح أمرا طبيعيا لاريب فيه ، وستكون عملية غربلة المكتبة التي



القراءة الجماعية من شأنها مساعدة الطفل على تنمية موهبة القراءة

يقوم بها اسك عملية معقولة فاعمل على تشجيعه لتنويع قراءاته ، ولكن احرصي على الاحتفاظ بالكتب المهمة التي تحتوي على معلومات جيده ، أو تلك التي تخلق في نفسه سعادة حين يقرؤها ، ويتعلم طفلك بان الكتب ليست مادة ترمى ، بمجرد الانتهاء من استعمالها أو قراءتها مرة أو مرتين

القارىء المعارض

أما الكتب التي لاتجدين ضروره في وجودها ، فيمكن اعطاؤها للأصدقاء كطريقة لتبادل الكتب معهم ، أو تباع في سوق المدرسة الخيري أما اذا كنت تخططين لاستقبال طفل جديد ، فسيكون من الأفضل تخصيص مكان لهذه الكتب ، لتظل في حالة جيدة ليقرأها الطفل الجديد ، خاصه اذا كانت تلك الكتب قد شكلت متعة كبيرة لطفلك الأول

واذا أظهر طفلك برغم كل التشجيع والترغيب اللذين توفريهما له اعراضا واضحا ورفضا قويا للقراءة ، فمن الواضح انه بذلك يخوض مخاطرة كبيرة ، ستكون العظمى في حياته ، لأنه بحكم صغر سنه لايدرك أنه باحجامه عن القراءة سيفقد أكبر متعة قد يلقاها في حياته

على أية حال ، ان الطفل الذي لايهوى القراءة ليس بالضرورة أقل ذكاء من أقرانه ، فالطفل الموهوب يستطيع أن يظهر ذكاءه ومهاراته وتفوقه في مجالات أخرى مهمة ، كالفيزياء والرياضيات مثلا

ولكن ثمة نقطة مهمة على الأم أن تنتبه لها ، فالطفل اذا كرس وقته كله للقراءة والقراءة فقط دون ان يظهر اهتماما لأى مهارات أو مواهب أخرى فهذا يعني أنه سيكون في المستقبل انسانا انطوائيا منعزلا عن العالم ، يعاني من الخجل وعدم الثقة بالنفس وعدم الاستقرار □



هو....

ذكريات عمر

ليس جميلا ما يتمناه البعض ، من أن يعودوا ليبدأوا حياتهم مرة ثانية من جديد ، فكثير منا يتمنى ان لو كان بامكانه ان يقطع خيوط علاقاته ، ويعود به الزمن من جديد ، ليبدأ بدايات جديدة ، وعلاقات جديدة ، وحياة جديدة ، ويتصور هؤلاء ان الحياة هكذا تكون اجمل ، او انهم سيتخلصون من كثير من متاعبها .

ولكن الحياة غير هذا ، فهناك العديد من التفاصيل والحكايات والخلافات والاتفاق والفرح والألم . . ملايين من هذه التفاصيل تمتد لتنسج خيوطا بينك وبين كل من حولك . . وتكتشف مع الوقت ان هذه الخيوط هي العمر . . عمرك انت وعمر من تعرف . . حياة بأكملها .

وهذا ما اكتشفته وما اتعذب به ومنه . . بعد ان توفي زوجي بفترة ، ولظروف كثيرة . . تزوجت مرة ثانية ، كمنطق حياة لأرملة في الثلاثين بلا اولاد . وبعد عشرة ايام من زواجنا تفجرت المشكلة ، فقد توافد اصدقائي . . زوجات وازواجا . . وكثير منهم كان صديقا على مستوى الأسرة قبل وفاة زوجي ،



وفوجئت بزوجي يعاملهم ببرود شديد . . يكاد ان يصل الى حد المجافاة . . لا يبتسم . . لا يفتح حديثا . . ردود مقتضبة . . كلمات مجاملة عامة ، يتفادى اي وعد بالالتقاء او حتى مجرد الدعوة او تمني لقاء اخر ، في اول الأمر ظننت انه امر ناتج عن عدم معرفته بهم لكن تكرار نفس طريقة اللقاء مع اصدقائي القدامى الذين يأتون لتهنئتي بالزواج جعلني افاتحه في الموضوع ، وأبدى له ملاحظاتي حول طريقة لقائه واستقباله لأصدقائي ، وكانت مفاجأتي كبيرة عندما اعترف لي بصدق ووضوح أنه يتعمد هذا الشكل من المقابلة والاستقبال ، لأنه بوضوح لايريد ان تستمر علاقاتي بهم ، فهم بالنسبة له ولي حياة قديمة انتهت بكل ما فيها ، وانه يجب علي ان ابدأ من جديد ، حاولت ان افهمه واوضح له ان بيني وبينهم ذكريات مشتركة . . واحاديث . . وأحلاماً . . وامنيات واشياء كثيرة طيبة كانت بيننا ، حاولت ان اقول له ان علاقتي بهم هي جزء من عمري . . فاني ارى فيهم اياما مضت . . وأرى في ابنائهم عمري . . هذا ولد يوم ان كنت في سن كذا . . وهذه ولدت عندما أجريت عملية جراحية لاستئصال الزائدة الدودية . . وكثير من الروابط والذكريات التي تمثل في مجموعها العمر والأحلام والصداقة ، ولكنه لم يسمع ولم يقدر . . وأصر ان يقطع خيوطا تربطني بقلوب احببتها وأحبتني بصدق .

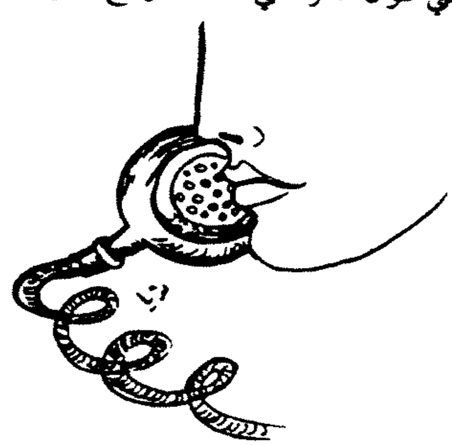
هي

هي

ظلال من الماضى

لم تتقبل الأمر بسهولة ، وأتصور أنه سيطل يبعص علينا حياتنا بين حين وآخر ، فبعد زواجنا وجدت ان أصدقاءها القدامى هي وزوجها السابق هم الذين سارعوا بالتهنئة وهم أسبق الناس الى تقديم الهدايا والدعوات الى عشاء او غداء ويشهد الله انني لم ار من أصدقائها هؤلاء شيئا سيئا ، على العكس تماما فقد كانوا دمثي الخلق مهذبين ، حريصين على مشاعرنا فرحين بنا ، ولكن خاطرا شيطانيا يسيطر على فكري وحياتي هؤلاء صور من حياتها الماضيه ، وأنا قد بدأت معها حياة جديدة ، لا اريد فيها ظلال حياة مضت ، ويزيد من اقتناعي بهذا ان زواجها السابق انتهى بوفاة الزوج ، وليس بطلاق ، والأمر الذي لانقاش فيه أن في داخلها ذكرى طيبة له ، وكانت محاولتي طوال الفترة التي سبقت الزواج وحتى الآن أن اتعامل مع هذه الذكريات ، ولكن ليس واردا في ذهني ان آتي بعناصر هذه الذكريات لتعيش معي وليس واردا في ذهني ان أضع نفسي في مجال القياس والمقارنة في عيون أصدقائها ومعارفها ، فيكفي هذه المقارنة الصامتة السرية التي تتم داخلها وتعقدها بيني وبين زوجها السابق ، ولا يمكن ان تنكر هي هذا ، فهذه هي الحياة وسننها وحكمتها وهكذا نحن البشر وطبائعنا

قلت لها نحن نظل ذوات منفصلة في المجتمع حتى نتزوج ، وبعدئذ نصبح ذاتا اجتماعيه واحدة ، فتعالي نكتشف اصدقاء جددا ونخوض علاقات جديدة ونبحث عن اناس حولنا وفي دائرة حياتنا ، قلت لها ان الحياة امامنا وليست خلفنا ، ولو خلفنا اسرى لذكرياتنا لوقفت الحياة ، فالذكريات هي عمر مضى بكل ما فيه من خير وشر وجمال وقبح وفرح وحزن عمر مضى فليكن كما كان ، ولكن العمر القادم الذي ينتظرنا علينا ان نصوغه وفق ما نريد ، وقلت لها ان حرصي عليها يكتمل بحرصي على مشاعرها ورجوتها أن يمتد حرصها على مشاعري بأن نفتح لأنفسنا دائرة جديدة من الأصدقاء ، ونترك هؤلاء الأصدقاء القدامى الذين يطلون على حياتي كأشباح من ماض لا اريد أن يطاردني ، ولا أن يلقي بظلاله على حياتي



هو



من الحياة

يوم عادت إليّ أمي !

كانت حلوة صغيرة . . وكانت كل زميلاتها في المدرسة يحببنها . . كانت تستقبل يومها الجديد كل صباح وحدها في غرفتها الصغيرة ، حيث تعلمت كيف تعد ملابسها ، وتجمع كتبها التي ستحملها معها الى المدرسة . . فاذا فرغت من هذا كله توجهت الى غرفة نوم والدها ، لتطبع على وجهه قبلة ، ثم تخرج مهرولة الى الشارع ، تنتظر السيارة الكبيرة التي ستقلها الى مدرستها . . وفي الطريق الى المدرسة تبدأ في تناول طعام الافطار ، الذي أعدته هي لنفسها في الليلة الماضية . . فهو اخر عمل تقوم به قبل أن تذهب الى فراشها وتغمض عينيها لتنام .

لقد تعلمت الطفلة التي لم تتجاوز عامها الحادي عشر أشياء كثيرة ، كانت تعتمد على غيرها في اعدادها . . وكانت سعيدة بحياتها الجديدة ، فهي تحب مدرستها وتحب زميلاتها ومدرساتها ، فقد كانت تشعر أنهن يبادلنها نفس الشعور الذي امتلأ به قلبها الصغير . . كانت اذا غابت يوما عن المدرسة لم يتوقف جرس الهاتف عن الرنين ، كلهن يسألن عنها . . هل هي بخير ؟ ما الذي منعها عن الحضور ؟ متى تعود الى مدرستها ؟

وكانت تتحامل على نفسها في أحيان كثيرة ، رغم الوعكة التي ألمت بها ، وتقوم من فراشها وترتدي ملابسها ، وتذهب الى المدرسة ، بعد أن تسمع صوت مدرسة اللغة العربية وهي تستفسر عن صحتها وتدعو لها بالشفاء !

* * *

وتمر الأيام ، وتعلن المدرسة عن الاستعدادات التي تجري كل عام للاحتفال بعيد الأم . . ويجيء اليوم أخيرا ، وتصحو الطفلة من نومها في ساعة مبكرة ، وترتدي فستانها الجديد . . انها لن تذهب الى مدرستها بالزي التقليدي الذي تعودت أن تضع فيه جسمها الصغير في صباح كل يوم ، فهذه مناسبة خاصة . . ولابد أن يكون الاحتفال بها خاصا . . لقد لبست المدرسة كلها ثوبا جديدا ، من أجل الأم التي أحبت وأفنت حياتها في العطاء . . من أجل هذه الانسانة العظيمة التي يحتفل الأبناء بتكريمها في هذا اليوم الذي يأتي مرة كل عام ! . .

وتعلن المدرسة عن برامج العمل ، الذي سيبدأ فورا بمجرد الانتهاء من تحية العلم في الفناء الفسيح الذي يتجمعن فيه كل صباح . . وتتجه التلميذات الى قاعة الأشغال اليدوية ، التي امتلأت - على غير العادة - بكل شيء يمكن أن تصنع منه الفتيات الصغيرات « الهدية » التي ستختارها كل منهن لتقدمها الى أمها في عيدها !

ووقفت الصغيرة حائرة في البداية . . ترى ماذا



تختار ؟ ولكن حيرتها لم تطل ، فسرعان ما وجدت نفسها تنضم الى الفريق **الصغير** الذي اختار سعف النخيل ، **يشكل** منه ألوانا من السلال والحقائب الصغيرة .

وراحت تعمل في حماس ، والابتسامة لا تفارق وجهها الجميل المشرق ، الى أن فرغت أخيرا من صنع سلة جميلة ، زينتها بالورود والرياحين .. ولم تنس أن تلصق بها بطاقة صغيرة ، ضمنتها كل ما يحمله قلبها من حب لصاحبة الهدية : « إلى أمي التي أحببتها ، وسأظل أحبها دائما ، ولن أنساها ما حييت ! » .

وحملت الصغيرة سلتها ، واتجهت الى حيث بدأت الفتيات يتجمعن في قاعة الاحتفالات التي ستستقبل فيها الصغار أمهاتهن بعد ساعات قصيرة عندما ينتهين من حفظ الأناشيد التي أعدتها مدرسة الموسيقا لتحية الأمهات .

وحان موعد بداية الحفل .. وبدأت الامهات يصلن الى القاعة التي امتلأت بباقات الزهور والهدايا ، التي صنعتها الأيدي الصغيرة في الصباح .. وجلست الطفلة تحتضن سلتها في ركن من القاعة تنتظر . كانت عيناها الصغيرتان الجميلتان ترقبان الوجوه ، وكأنها تبحث فيها عن شيء افتقدته .. ومضت بضع دقائق وهي جالسة في مكانها لم تبرحه .. شيء واحد فاتها أن تلحظه .. إنه عيون مدرساتها التي كانت ترقبها عن بعد دون أن تدري !

وفجأة رأينها تقوم من مكانها ، وهي مازالت تحتضن سلتها الصغيرة ، ثم راحت تشق طريقها وسط الزحام ، الى أن وصلت الى الباب الخارجي .. وسألتها مدرستها التي كانت تقف على مقربة منها : « الى أين أنت ذاهبة ياعزيزتي ؟ » .

سأعود بعد قليل .. لقد تذكرت شيئا مهما .. سأعود حالا ! قالتها في براءة ، ولكن في صوت تخنقه العبرات ! ولكنها لم تعد .. لقد تذكرت فجأة أن امها لن تحضر .. وأنها لن تنعم بالسعادة التي تنتظر بقية زميلاتها في المدرسة ، في هذا اليوم الذي قضت أسابيع طويلة تستعد له قبل أن يجيء !

وخرجت الى الشارع .. وراحت تتطلع حولها .. لقد أوشكت الشمس على المغيب .. وأحست برعشة تسري في جسدها الصغير النحيف ، رغم دفء الربيع الذي كان قد بدأ لتوه .. ووقفت



برهة تتأمل الطريق الطويل الممتد أمامها ، وأجفلت . . انها لن تستطيع أن تقطع هذه الرحلة الطويلة ، عائدة وحدها الى البيت . . فقد أحست برغبة شديدة في أن تعود الى بيتها ، والى غرفتها الصغيرة ، ولكنها ما لبثت أن تراجعت عن تنفيذ فكرتها . . فالطريق طويل موحش ، وقد لا تقوى على المضي فيه الى نهايته . . وهمت بالعودة مرة أخرى الى قاعة الاحتفالات . . ولكنها ما كادت تفعل حتى رأت صديقتها الطيبة مدرسة اللغة العربية تقترب منها ، وتمسك بيدها وتسألها : « لماذا تركت الحفل ياصغيرتي ؟ ان الجميع يسألون عنك . . هل أستطيع أن أفعل شيئا . . هل تريدين مساعدتي ؟ » .

ـ نعم أريد أن أعود الى البيت ، الآن !

وقالت المدرسة على الفور « لقد أنهيت عملي ، وأستطيع أن أرافقك في رحلة العودة الى البيت اذا شئت . ما رأيك ؟ » وتهلل وجه الصغيرة فرحا . . فقد كانت تحب مدرستها ، وقد وجدت فيها خير أنيس لها على الطريق !

* * *

وسارتا معا . وقد أمسكت باحدى يديها ، بينما شغلت يدها الأخرى بحمل السلة الصغيرة ، التي أمضت ساعات طويلة في صنعها لتقدمها هدية للأم التي لن تكون هناك !

وقادتهما أقدامهما الى حديقة صغيرة ، تقع على جانب من الطريق ، وقالت المدرسة تسأل صديقتها الصغيرة :

« ما رأيك لو جلسنا هنا فترة من الوقت نريح فيها أقدامنا المتعبة ؟ » .

ورحبت الطفلة وجلستا على احدى الارائك الصغيرة ، التي تنتشر حولها الزهور . ولكنها قبل أن تجلس خطر لها أن تقطف زهرة جميلة أعجبتها ، ثم أسرعت تضعها في السلة التي كانت تحملها !

وقالت المدرسة : « لماذا قررت فجأة العودة الى البيت ؟ هل قالت لك أمك انها لن تتمكن من الحضور ؟ لقد كنت تعملين في حماس شديد هذا الصباح وأنت تعدين هذه السلة الجميلة التي ستهدينها اليها . . فماذا حدث ؟ » .

ولم تدرك المدرسة أنها بحديثها هذا قد نكأت الجرح الذي كان قد توقف عن النزف منذ شهور طويلة . . فقد انفجرت الطفلة تبكي ، ولكن في صمت ، كما لو كانت لا تريد أن يكتشف أحد دموعها ، التي كانت تغرق عينيها الجميلتين ! .

وأخرجت صديقتها الطيبة منديلها تجفف به دموعها ، واقتربت منها تضمها اليها ، وتطبع على جبينها قبلة ، وضعت فيها كل ما تحمله لها من حب وحنان !

وانقضت بضع لحظات ، قبل أن تستعيد الطفلة هدوءها وتتكلم . . قالت : « لا ياسيدتي . . ليس الأمر كما تتصورين . . لقد فقدت أمي منذ بضعة شهور خلال العطلة الصيفية ، بعد مرض لم يمهلها طويلا . . وحزن أبي على رحيلها حزنا شديدا ، وجاءت جدتي لتقيم معنا بعض الوقت ، فقد كانت شقيقتي الصغرى في حاجة الى رعايتها ، ثم حملتها وعادت بها الى بيتها ، وتركتني أنا مع أبي الذي كان لا يكف عن رجائها في أن تسمح لي بالبقاء معه ، وكان يقول لها انه في حاجة الي ، فهو لا يستطيع أن يعيش في هذه الوحدة ، في هذا البيت الكبير الذي تركته أمنا ورحلت عنه . انني أعيش مع أبي الآن ، وهو رجل طيب يحبني ويعطف علي ، ولكنني أفتقد أمي ! هل صحيح أنها لن تعود الينا مرة أخرى ؟ انني أرفض أن أصدق أنني لن أراها ثانية ؟ في هذا الصباح صحوت من نومي وأنا أشعر كما لو كنت على موعد معها . . مع أمي وقضيت النهار كله انتظر اللحظة التي سأراها فيها . . ولكنها لم تأت . . لقد كنت جلست في ركن من قاعة الاحتفالات ، أرقب وجوه الأمهات اللواتي جئن للاحتفال مع ابنائهن بهذا العيد ، الذي كنت أنتظره كل عام . . كنت في كل لحظة يفتح فيها الباب لاستقبال احدى الأمهات ، أتوقع أن أرى أمي قادمة الي مادة ذراعيها لتحتويني بهما ، وتضمني الى صدرها الحنون . . ثم أدركت في النهاية أنني كنت أعيش مع أحلامي !

وعادت الصغيرة تجفف دموعها ، وتلقي برأسها على كتف مدرستها التي احتضنتها في حنان ، ثم راحت تحدثها . . قالت : « أنت طفلة جميلة ياابنتي ، كم كنت أود أن أفعل شيئا لأجفف دموعك ، وأعيد الابتسامة الى وجهك في هذا اليوم ، ولكن أرجو أن تعلمي أنني أتمنى أن تكون لي طفلة مثلك . قد لا تعلمين ياصغيرتي انني عشت طفولتي يتيمة الأب . . أنني لم أر أبي ، فقد جئت الى هذه الدنيا بعد رحيله . . ولكن أمنا استطاعت أن تعوضنا عن الحرمان ، الذي كان من الممكن أن نعيش فيه . . كانت امرأة عظيمة ضحت بشبابها من أجلنا . . كنا أربعة أخوة ، ثلاثة أولاد وأنا ابنتها الوحيدة . . ورفضت أمنا أن تتزوج ، فقد حملتنا الى بيت جدي لنبدأ حياة جديدة هناك ، والتحقت هي بوظيفة صغيرة كانت تدر علينا مبلغا متواضعا في أول كل شهر لا يكاد يكفي احتياجاتنا الخاصة . . وفي بيت جدي نشأت وكبرت وتعلمت معنى الحياة . . كان بالنسبة لي أنا واخوتي ، أبا وأخا وصديقا ، كان يحبنا الى درجة العبادة ، فقد كنا كل شيء في حياته . . وكنا نلجأ اليه دائما لحل مشاكلنا ، وكانت أسعد لحظات حياته هي تلك التي نصطحبه نحن فيها لقضاء اليوم على شاطىء البحر أو بين أشجار الحديقة العامة . . قد لا تصدقينني اذا قلت لك أننا كنا قريبين منه أكثر من أمنا ، التي كان عملها في البيت وخارج البيت يأخذ كل وقتها ، وخاصة بعد أن رحلت جدتنا . . هل تعرفين ماذا كانت نصيحتها الأخيرة لي : « الحياة رحلة ياابنتي . . إياك ان تتوقفي فيها ، وإياك والبكاء على شيء مضى وانقضى . واعلمي دائما أن الغد يوم جديد ، وقد تجدين فيه كل ما تحلمين به وتتطلعين اليه ! » .

* * *

وأحست المدرسة أن شيئا مهما قد فاتها أن تلحظه ، وهي ماضية في حديثها مع تلميذتها الصغيرة . . ان الظلام بدأ يلف المكان حيث كانتا تجلسان ، ومازال الطريق طويلا ، ولابد أن تستأنفا رحلتهما الى البيت . .

ومشيتا ، وقد تأبطت الطفلة ذراع صديقتها وتعلقت به ، ولكنها كانت في هذه اللحظة تبتسم . . وقد بقيت الابتسامة على شفتيها الرقيقتين ، طوال الفترة التي أمضيتاها معا في مسيرتهما . . حتى الحديث نفسه الذي كان يختلط بالدموع خلال جلستهما الطويلة في الحديقة ، قد تغير . . ووصلتا الى البيت أخيرا . . وتعلقت عينا الطفلة بالمسكن الصغير الذي تعيش فيه مع أبيها ، فوجدت الأضواء تنبعث منه على غير عادة . . واندفعت نحو الباب الخارجي تطرقه بكلتا يديها . . وفتح الباب ، ورأتها تقف أمامها وتفتح ذراعيها لتضمها الى صدرها . . انها جدتها العجوز الطيبة ، التي حملت شقيقتها الصغيرة ، وجاءت لتمضي مع حفيدتيها الصغيرتين بضعة أيام ، تستعيد فيها ذكرياتها مع ابنتها التي رحلت تاركة وراءها هاتين الطفلتين الجميلتين اللتين أصبحتا كل دنياها . .

وعلى بعد خطوات من الجدة ، وقف الأب يحمل ابنته الصغرى ، ويدعو شقيقتها الى الاقتراب منه ، ليطبع على جبينها قبلة حارة .

وكادت الطفلة تنسى مدرستها وصديقتها التي كانت ماتزال تقف قريبة من الباب ، تحاول جاهدة أن تحبس دموعها ، وهي تتطلع الى صورة الأم التي رحلت ، وقد أحاطت بها باقة من الزهور ، جاء بها الأب ليقدمها لها في عيدها ! .

ودعتها الجدة الى الدخول . . وتذكرت الطفلة السلة التي قضت نهارها كله في صنعها وزخرفتها . . وأسرعت اليها حيث تركتها أمام الباب عندما وقفت تطرقه بيديها . .

وحملتها وعادت بها الى جدتها ، وقالت وهي تلثم يديها بشفتيها : « هذه هديتك . . انها هدية صغيرة كما ترين ، ولكنني صنعتها خصوصا لك اليوم في عيد الأم . . انها لك ياأمي ! » .

ومدت الجدة يديها تحتضن بها هدية حفيدتها ، وقد امتلأت عيناها بالدموع !





طبيب الأسرة

قضايا منزلية

أمراض الأبناء ومسؤولية الآباء

عندما يفتقر الأبناء الى عمق الادراك وحس التصرف ، يصبح المرض قضية أسرية ، وعلاجه من مسؤولية الوالدين
واذا كانت قضية حب الصبا هي مشكلة الأبناء فإن علاجها يقع على عاتق الآباء والامهات ، لأنها مشكلة جسدية ونفسية ومن مشاكل الأسرة في عرف الطب الحديث

حب الصبا وهو المرض الشائع باسم حب الشباب ، أو مايعرف في العربية الفصحى باسم (العُدّ) وهو البثور التي تظهر في الوجه ، ويعتبر هذا من مشاكل المراهقين في البلوغ ، اذ يصيب مايقدر بنسبة خمسة وسبعين بالمائة من الصبيان، فيما بين السنوات العشر والعشرين من أعمارهم،وهو لايفرق بين ذكر وأنثى ، الا في احتمال ظهوره عند الاناث مبكرا عن الذكور ، وحب الصبا (أو حب الشباب) يعتبر في عرف الطب تطورا طبيعيا ، لأنه من سمة التحولات الجسمانية التي تطرأ على البدن عبر مرحلة البلوغ ، بسبب الفورة الهرمونية الجنسية ، وخاصة هرمون التستوستيرون (هرمون الذكورة) حيث ان الخصيان لايعانون من ظاهرة حب الشباب هذه بأية صورة كما هو حال الأسوياء ، هذا الى أن زيادة تعاطي هذا الهرمون سواء بطريق الحقن أو نتيجة ورم في الغدد الصم المفرزة لهذا الهرمون ، يصاحبها نوعه في الطفح الجلدي المميّز لحب الصبا

واذا كانت ظاهرة حب الصبا أو حب الشباب تعتبر رد فعل طبيعي للتغيرات الهرمونية الجنسية المصاحبة لسنوات المراهقة فإن مضاعفاتها ، وخاصة التهاب الطفح فيها ، تعتبر مرضا يستحق العناية من وقاية وعلاج ، هذا الى أن تجاوز مرحلة المراهقة يعني نهاية لمشكلة حب الشباب ، فهذا قل من يبقى المرض على جلدهم عقب استقرار النمو الذي يصاحب مرحلة البلوغ ، اذ غالبا ماتختفي بثور حب الشباب وحباته في أوائل سنوات العشرينيات من العمر ، ولكن



لايعدم أن تبقي نسبة ضئيلة من الناس ممن يصاحبهم المرض الى أبعد من هذا السن المألوف لنهايته .

والمشكلة أساسها تبدأ بزيادة نشاط الغدد الدهنية ، المرافقة لبصيلات الشعر ، في منطقة الوجه والكتفين والصدر والظهر ، مما يؤدي الى افراز دهن وافر يختلط مع المادة القرنية للجلد ، لتكون من المزيج سدادة صلبة ، ومن تعرض السدادة (المكون من المادة القرنية والدهنية) للشمس والهواء تحدث تغيرات كيميائية تؤدي الى تغير اللون نحو السواد ، وهذا مايعرف بالزوان أو النصل Comelan ، والى هذا الحد يعتبر الأمر طبيعيا لاضرر منه ولاضرار ، غير أن رغبة الصبيان في العبث بهذا النصل ، وبجهلهم بعواقب الأمر ، واعتقادهم أن البذور السوداء (الزوان أو الأنصال) هي حبيبات قذرة لابد من ازالتها ، وخاصة أن هناك رغبة ملحة داخلية تحكم عبث الصبيان بالبثور ، مما يؤدي بالتالي الى تسرب المادة الدهنية القرنية الى طبقات الجلد فيما تحت البشرة ، وينتهي الأمر الى الالتهاب اللاميكروبي ، واذا تلوثت (وما أكثر ماتتلوث) تنتهي الى حويصلات صديدية تترك ندبا وحفرا من أثر التليف .

علاج حب الصبا (حب الشباب)

من المتفق عليه أن الزمن هو العلاج الحاسم لحب الصبا ، لأنه لايوجد أي علاج يوقف هذه الظاهرة عند حد معين ، الا باستقرار الثورة الهرمونية الجنسية ، ، هذا الى أن الأمر يعتمد على حساسية الفرد ، واستعداده الشخصي الموروث ، لهذا يختلف العلاج من شخص لآخر . غير أن هناك قواعد عامة يمكن اتباعها وهي .

١ ـ غسل المناطق المصابة بالماء الدافىء والصابون مرتين يوميا لازالة الزوان أو الأنصال ، وبهذا تنتهي المشكلة التي لم تبدأ بعد .

٢ ـ استعمال الدهانات التي يصفها الطبيب المختص ، والتي لاتعدو أن تكون عقاقير تذهب بالطبقة الخارجية للجلد ، أو مضادات تحد من حالات الالتهاب الميكروبي .

٣ ـ تحاشي بعض الأطعمة التي يعتقد أن لها دورا مثيرا لنشاط حبوب الصبا ، وأهمها الشيكولاته والقهوة وأشربة الكولا والأسماك وكل الأطعمة والعقاقير الحاوية على عنصر اليود ، وكذلك التوابل والحليب والفواكة الحمضية .

٤ ـ الاستفادة من الوسائل الطبيعية كاشعة الشمس وكمادات الماء الدافىء وما اليه .

ومن الجدير بالذكر أن نحذر أصحاب المشكلة من العبث في المنطقة المصابة بأصابع اليد ، وعدم التعرض للاتربة والأجواء القاسية ، كما يجب أن ننبه الى عدم جدوى الفيتامينات أو الهرمونات في علاج حب الصبا ، والى الأشعة السينية التي قد يصفها البعض ، ولكنها قد تضر أكثر مما تفيد وتنفع .

ان حب الصبا في أطواره الأولى يعتبر اليوم ظاهرة طبيعية ، غالبا مايحيلها الصبي بجهله وعبثه الى قضية مرضية . □





طبيب الأسرة

ردود سريعة :

ضمور العين

* الاخ ي س - ادبو - سوريا

- ربما كان من الاصلح عرض الامر على احصائي العيون لفحصك قبل اي نصيحة معتمدة ، حيث يبدو أن الاصابة قديمة تجاوزها وقت العلاج بعد أن ضمرت

مرض السيدا ومرض الخنث

* الاخت ناجية مصطفى - المغرب .

- مرض السيدا هذا اصطلاح يطلق على مايعرف بمرض الايدس وكلاهما مؤلف من أربعة حروف هي اول اسم المرض المعروف بظاهرة نقص المناعة المكتسبة بسبب اصابة المريض بفيروس معين ، اما عن الخنث فهو تشبه الرجل بالمرأة وهذا مرض اجتماعي ونفسي ويقال انه وراثي

الزواج افضل الحلول المشروعة

* السيد م . م . ع - شبرا - مصر :

- ان زواجك هو افضل حل لمشاكلك

الثدي الصغير

* الاخت س . س . - مصر :

-حجم الثدي اساسه ترسبات دهنية لاعلاقة لها بوظيفة الثدي ولاكفاءته ولايرتبط بقضية الانجاب انما هو أمر مظهري فقط فالثدي الضخم لايدر لبنا اكثر من الصغير ولا صاحبته اخصب من صاحبة الثدي الضامر .

الشيب المبكر

* السيد ن . ع . ج . س - الدار البيضاء - المغرب :

اغلب الشيب المبكر وراثي السبب ، وربما كان سببه ضعف او مرض يؤثر على قوة بصيلات الشعر مما يحتاج الى فحص مباشر من مختصي الأمراض الجلدية فراجع احدهم

شعر زائد

* ب ش - المغرب - مكناس .

- امرك يحتاج لمراجعة مختصين في الأمراض الجلدية والتناسلية لماذا لاتستشر احدهم

التمزق العضلي

* السيد محمد . ت . الاذقية :

- التمزق العضلي هو - كما يوحي اسمه حروح وتهتكات في ألياف العضلة الداخلية . والتمزقات تتفاوت حجما وشدة ولكل منها حكمه الخاص ، غير أن الراحة أهم اسباب العلاج ، ولاتظن أن الامر يحتاج الى عشرات السنين

الهرمونات والشعر

* الاخ عبد المحسن ابراهيم - الرياض - السعودية :

- لانعتقد أن للهرمونات دورا في اضفاء النعومة على الشعر ، وربما كانت هناك دهانات لعلاج تجعد الشعر ولكنها مؤقتة الاثر ، والافضل أن تعرض الأمر على اخصائي الامراض الجلدية فهو اقدر على حل مشكلتك بعد الفحص .

السيد الرئيس

مجنون مستبد . . طاغ ، شهواني ، يقتل بالسهولة التي يتناول بها طعام افطاره ، ويصدر قراراته الدموية بالرقة والهمس اللذين يخاطب بهما النساء ويستمع الى الموسيقا .

حوّل وطنه الى جحيم ومرتع للّصوص والقتلة والمأجورين . . . . . معاونوه مسخ آدمية مشوهة . حربة مرتشية .

ومواطنوه مقهورون مهانون مذلون . يحلمون بالجمال والحق . . والخير والأرض والطير سحقوه مليئة بشعراء ومثقفين ورجال دين رفضوا أن يصلّوا له بدلا من الله .

وفي محاكمه الصورية تغيب شعارات العدالة ، وترتفع شعارات أكثر قسوة وظلاما من ظلم الدنيا ففي هذه المحاكم من الأفضل أن تكون مذنبا عن أن تكون بريئا ولا ترضى عنك الحكومة

عن هذا العالم المرير والمفعم بأحلام الخلاص والتحرر ، كتب ميغيل انخل استورياس روايته « السيد الرئيس » منذ أربعين عاما ، وكتبها المؤلف بالأسبانية لغة موطنه « جواتيمالا » وحصل بسببها على جائزة نوبل للآداب ، ورغم ذلك لم تقدم لقراء العربية الا في عام ١٩٨٥ .

والرواية واحدة من أفضل الروايات التي قرأت وسطورها تنبض صدقا وقسوة وعنفا . . وخلف القسوة تختبيء حقول الحنطة وصياح الديكة وقطرات ندى في صباح جميل يشرق على الوطن .

ويبدو أن كل ما يدهشنا لأعوام طويلة قادمة ، سوف يأتي من أمريكا اللاتينية قارة المستقبل ، ولكن أكثر ما يميز هذا الابداع القادم من عالم بعيد عنا ، وأكثر ما يكون شبها بنا أقول ان أكثر ما يميزه هو هذا الصدق الفني العالي . . الذي يجعل من العمل الفني عملا أقرب ما يكون الى متلقيه . . وأكثر ما يمكن تأثيرا فيه ، حتى يستطيع أن ينقلك من عالمك الى عالمه . . فتعيش معه العفن والموت . والانتظار الأبدي في زنازين معلقة ، لاترى فيها الا وجه الموت القادم . . وتحلق معه في عالمه . . وتجري وتلهث كي تمسك بيدك ضفائر البنات الصغيرة ، وهن يجرين في الحقول بحثا عن زهرة احتضنت الشمس وعانقت طين الأرض ، ومنحت عطرها فواحا تحية حب وأنشودة عشق الى الوطن . . أي وطن . . وأي انسان في أي زمان . . وأي مكان ، وما أنبله من احساس يفجره داخلنا عمل فني صادق . . معيار تفوقه وشهادة بقائه هي قدر صدقه وروعته .

محمود عبد الوهاب

الوصايا

شعر : أحمد سويلم

قيل ـ حين استعدنا ملامحنا الضائعة ـ
قيل : (حلمٌ تجسَّدَ
بعث جديد من الموت
وجه ندي الملامح . !)
أعلنت أنْ غداً لن يحلَّ الشتاء
صدَّقَتْنِى الفراشاتُ . . وانطلقتْ
واستراحت طويلاً على حافةِ الضوءِ
فاحترقت وطواها الفضاء .
صحت : إنْ غداً سيجىءُ بهوجِ الرّياح
كذبتنِى طيورُ الصباح
نقرتْ للصغارِ النوافذ
فتحت فى البساتين كلَّ الجفون . .
وتجىءُ الرياح
فاستحالت طيور الصباح
مِزَقاً من أسى . . وبقايا جراح

***

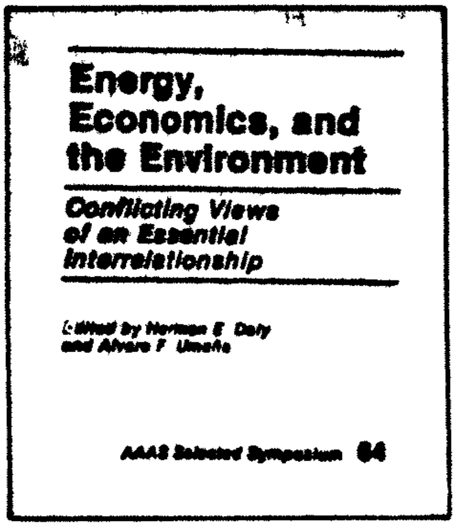
أسقطتنى الوعودُ الشهّيةُ من شاهقٍ
للمهانة . .



وَرأيتُ العيونَ تطاردنى :-
(أين حلمٌ جديدٌ . . تَجسَّدَ . .
بعثٌ جديدٌ . . وَوَجْهٌ نديُّ الملامح . !)
وعبرت البحارَ . . قطعتُ الفيافى . . أزلت التراب . .
عن كتاب الوصايا القديمة :
(النَّخيل يصفق في الصحراءِ . . ويثمرُ

والوطن الجدب يخصب -
والأرض تحضُنها فى اعتصارٍ - سواعدُنا
وتمدُّ لها النهرَ حبلاً من الوصل
والصبايا يُفسِّرنَ أحلامَهُنَّ على الضِّفةِ العائدة . !)
أقف الآن . . أذكر ما قيل . .
أقرأ لوحَ الوصايا

كان يشغَلنى . . ويؤرق نفسى انطفاءُ القمر
كنت أشكو هبوبَ الرياح . . سقوطَ المطر
آن - من زمنٍ - أن نفيق على جسد الحلم
أن نَلُمَّ شظايا الوصايا القديمة
نزرعُ النَّخلَ والكلمات
نُغيرُ مجرى الفصول . .
آن من . . زمنٍ . . أن . . نفيق . !



الطاقة والاقتصاد والبيئة

أعده للنشر . هرمان دالي وألفارو اومانا

عرض وتحليل : ياسر الفهد

ان القضايا المتعلقة بالطاقة والبيئة والتفجر السكاني والتضخم والبطالة أصبحت اليوم من الموضوعات الملحة التي لا تستأثر باهتمام رجل العلم والاقتصاد فحسب ، بل والرجل العادي الذى بدأ يشعر بوطأة الضغوط الناجمة عن الأزمة البيئية والمشكلات الاقتصادية

لقد ولّى زمن (الوفرة في المواد الاستهلاكية) ، وحل محله زمن (الندرة والضوابط الاقتصادية) الذي لم يعد بوسع الانسان في ظله أن يستمر في استهلاك

كتاب الشهر

كل ما يشاء من الغذاء والطاقة والمياه والمواد المختلفة دون حدود ، فقد أخذت الطبيعة تتململ من بذخ الانسان واسرافه ، وتتمرد على خططه وتدابيره ، وتضيق بتدخلاته في النظام البيئي وانهاكه موارد الأرض .

وقد تناول الكتاب الذي بين ايدينا هذه القضايا تناولاً جديداً ، وعالجها بطريقة علمية دقيقة . والكتاب من (اعداد هرمان دالي) استاذ الاقتصاد في جامعة لويزيانا و (الفارو اومانا) استاذ الهندسة البيئية في جامعة كوستاريكا . وقد أسهم هذان العالمان ، أيضا في تأليف بعض فصول الكتاب ، الى جانب خمسة مؤلفين آخرين من أرسخ المختصين في مجالات تخصصهم ، وهم : (كنث أرو) استاذ الاقتصاد في جامعة ستانفورد ، و (روبرت كوستانزا) استاذ الايكولوجيا في جامعة لويزيانا ، و (نيكولاس رويجن) استاذ الاقتصاد في جامعة فاندربلت ، و (بروس هانون) ، استاذ الطاقة في جامعة الينوي ، و (جارت هاردن) أستاذ الايكولوجيا البشرية في جامعة كاليفورنيا .

ويشترك هؤلاء العلماء السبعة في دراسة قضايا البيئة والاقتصاد والطاقة ومناقشتها . وعلى الرغم من اتفاقهم على معظم الخطوط الرئيسية في تشخيص هذه القضايا ومعالجتها ، الا أنهم يختلفون أحيانا في بعض الأمور ، كاختلافهم مثلا حول نظرية القيمة الخاصة بالطاقة التي يؤيدها كوستانزا ، في حين أن رويجن وأرو يرفضانها ، أما هانون فانه يدافع عن بعض جوانبها وينبذ جوانب أخرى منها . ويقدم لنا الكتاب طرقا جديدة مبتكرة لتناول ودراسة العلاقات المتبادلة بين مختلف فروع العلوم الطبيعية والانسانية ، كما أنه يتقصى العمليات الاقتصادية بمنظار اقتصادي - فيزيائي - بيولوجي . وهو يؤكد تأكيدا خاصا على العلاقة بين علم الاقتصاد وعلم البيئة . وهما كلمتان تنحدران من أصل لاتيني واحد . وكلا العلمين يعالجان قضايا انتاج وتوزيع الثروات بين شبكات معقدة من الأطراف المنتجة والأطراف المستهلكة .

لم تكن العلاقة بين علوم الاقتصاد وعلوم البيئة متينة في الماضي ، وخلال التطور التاريخي ، ولكن المشكلات العالمية الناجمة عن الأوضاع الاقتصادية والبيئية والسكانية التقنية أدت الى نشوء تأكيد خاص على هذه العلاقة . ويتفق مؤلفو كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) مع باري كومونر مؤلف كتاب (الدائرة المغلقة) بشأن أخطار التقنية الحديثة ، فكلا الكتابين ينحيان باللوم على هذه التقنية ويعدانها مسؤولة عن تلويث البيئة واستنزاف طاقاتها . فلقد سمحت هذه باستثمار الطاقة والمواد الأخرى بطريقة خاطئة ، كما أدت الى ايجاد اكثر من مليون مركب عضوي صنعي لم تكن موجودة منذ عقود قليلة ، مع كل ما يترتب على ذلك من آثار تلويثية هائلة . ومن الأمثلة الواضحة على التحولات الخطيرة التي أحدثتها التقنية في العلاقات البيئية ، ازدياد تكاثف أوكسيد الكربون ، وتعاظم تأثير كاربونات الفلور في طبقة الأوزون . وكلا الكتابين يرجعان السبب الرئيسي للأزمة البيئية الى نظام الانتاج الحالي ، الذي أفضى الى تخريب القدرة الانتاجية - بعيدة المدى - للطبيعة ، والى تهديد حياة الكائنات الحية بالملوثات والفضلات .

نقلات

من أبرز مميزات كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) أنه يحدد ملامح مفترقات جديدة في حياة البشرية ، ويرسم خطوط تحولات كبيرة في المجالين الاقتصادي والبيئي : فالعالم ينتقل الآن من مرحلة البيئة المفتوحة الى البيئة المغلقة ، ومن الاقتصاد الزراعي - الحيواني الى اقتصاد الفضاء ، ومن مفهوم التوازن في النشاط

الاقتصادي الى المفهوم التطوري . ومن المؤكد أنه سيكون لهذه النقلات الهامة تأثيرها الكبير في جميع أوجه حياتنا القادمة : ففي الماضي كانت البيئة الأرضية مفتوحة تسمح للانسان بالاغتراف من ثرواتها ، وكنوزها دون أية ضوابط مقيدة . وكان الشعار الاقتصادي السائد يدعو الى المزيد من الانتاج بمزيد من الاستهلاك . ولكن بعد ظهور نذر نفاد احتياطي الوقود الحفري وبعد أن اكتُشِفَتْ حقيقة القدرات المحدودة لكوكبنا الأرضي ، أصبح العلماء يرون في هذا الكوكب بيئة مغلقة لا تسمح للعمليات الاقتصادية باستغلالها الى أمد غير محدود . ومثل هذه البيئة تستلزم تقليص الانتاج والاستهلاك وضبط الطلب وخضوع الاقتصاد الى الضوابط الفيزيائية لكوكبنا الأرضي ، كما تقضي بتطوير طرق جديدة لتقييم هذه الضوابط وتقييم الخدمات التي تقدمها بيئتنا الطبيعية . وفي الماضي كان النجاح في الاقتصاد الزراعي والحيواني مرتبطا بارتفاع معدل الدخل الفردي . ولكن اقتصاد الفضاء غير هذه النظرة ، وأصبح يدعو الى تخفيض هذا المعدل الى الحد الأدنى الكافي لإقامة الأود ، وتلبية الحاجات الفردية . ان الاقتصاد الجديد يستلزم تبني مواقف جديدة تجاه الاستهلاك ، ومراجعة جدية لمفهومي التخزين والتدفق في العملية الاقتصادية . ومن جهة أخرى ، فإن مفهوم التوازن في النشاط الاقتصادى بدأ يهتز ، ويفسح المجال أمام المفهوم التطورى ، فقد كانت الفكرة السائدة أن الانسان يأخذ الطاقة والمواد المختلفة من الطبيعة ، ثم يعيدها لها في عملية مستمرة يمكن أن تدوم الى الأبد . وفي هذه العملية يظل النظام ثابتا والنشاط الاقتصادي متوازنا ، بحيث يعود دائما الى وضعه الأصلي بعد التغيرات التي تطرأ على الطاقة والمواد . والمفهوم الذى بدأ يسود الآن هو المفهوم التطوري الذي يفترض بأن الطاقة والمواد المختلفة تتعرض خلال العمليات المختلفة لتحولات لا يمكن قلبها واعادتها الى وضعها القديم . وهذا الاتجاه يؤكد حركة النظام خلال الزمن ، وما يصاحب هذه الحركة من تغيرات .

اننا نأخذ من البيئة الطاقة والمواد ، ونعيد لها الملوثات والفضلات . فهل يمكن ان تسفر مثل هذه العملية الخاسرة بالنسبة الى البيئة ، عن توازن دائم ؟ ! ان المنطق يقول بأن هذا لابد أن يقود الى التغير والتطور . وقد تناول الكتاب موضوع نظريات التطور وعلاقتها بالاقتصاد من منظار واسع ، فالتطور هو المبدأ المنظم للبيولوجيا ولنظرية الحياة ، وهو يقترن بفكرة التغير مع الزمن .

لقد تطور الكون وجميع الكائنات الحية خلال تاريخ طويل يعود الى (٢٠) بليون سنة ، وكان للطاقة والمواد المختلفة ، أيضا ، حظها من التطور الذي اتخذ اشكالا متعددة ، فهناك التطور الفيزيائي الذي قاد الى تشكل الذرات ، والتطور الجيو- كيميائي الذى أدى الى تكون النجوم والأرض والحياة ، والتطور البيولوجي الذي أسفر عن نشوء البُنى الحية المعقدة ، ومنها الانسان ، والتطور الاجتماعي الذي أوصل المجتمعات الى أوضاعها الحالية . وكان التطور الاجتماعي أسرع بكثير من التطور البيولوجي . أما اول نظرية للتطور فقد انبثقت في عام ١٨٠٩ على يد لامارك الذي اعتقد أن التطور في الطبيعة سار من البسيط الى المعقد .

وفي عام ١٨٣٨ ظهرت نظرية دارون المعروفة في الاصطفاء الطبيعي . وتتفق النظريتان على ان العالم ليس ساكنا بل يتطور باستمرار ، وأن هذا التطور بطيء ومستمر . وفي عام ١٩٧٥ أطلق ولسون نظريته التي تركز على الدراسة المنهجية للأساس البيولوجي للسلوك . . والشيء المهم حسب هذه النظرية بقاء المورثات لابقاء الأجناس . وبعد ذلك جاءت نظرية بولدنج في الديناميكا البيئية ، في عام ١٩٧٨ ، وهي تجمع التطور الفيزيائي والبيولوجي والاجتماعي ضمن اطار واحد ، وتدرس النظم التي تكوّن العالم على هذا الأساس الجامع . وعلى الرغم من بعض نقاط الضعف التي تتخلل هذه النظرية ، فان الفارو اومانا يرى فيها انجازا عظيما .

ومايعنينا هنا بصورة خاصة أن الكتاب يطبق نظريات التطور على الاقتصاد ، وإحدى النتائج الهامة التي أسفر عنها هذا التطبيق نبذ مفهوم التوازن في النشاط الاقتصادي ، لصالح النموذج التطوري ، كما اسلفنا . لقد أصبحت نظريات التطور وعلاقتها بالاقتصاد مجالا للبحث النشيط لدى الدوائر العلمية ، اليوم . وهي بالاضافة الى الديناميكا

كتاب الشهر

الحرارية تشكل حلقة وصل هامة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية .

قوانين الطاقة

يولي الكتاب اهتماما خاصا للقوانين التي تعمل بموجبها الطاقة ، وهي قوانين الديناميكا الحرارية التي تمثل فرعا من العلوم الطبيعية يعالج تدفق وتحولات الطاقة . وتصف هذه القوانين مجموعة كبيرة من النظم كالنظم الكيميائية ونظم الكائنات الحية ونظم المعلومات ، وتفسرها . وهي ضرورية لمعرفتنا بالكون ، ولكن اهميتها بالنسبة الى الكتاب تكمن في أنها تقدم أساسا صلبا لفهم النشاطات الاقتصادية . وعلى الرغم من أن كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) مخصص لصفوة المتعلمين ، ويفترض أن يكون قراؤه من الحائزين على تحصيل علمي عال ، فانه مع ذلك يقدم شرحا وافيا لبعض القوانين العلمية والاقتصادية ، تسهيلا على القارىء العادي غير المتخصص علميا ، ومن ذلك مثلا شرح قوانين الطاقة مثل تحول الطاقة ، وعدم امكانية خلقها من العدم ، أو إفنائها. ازدياد الانتروبيا (وهي مقياس للطاقة غير المستفاد منها في نظام ما) في العالم باستمرار وغيرها .

ويضرب الفارو اومانا مثلا لشرح هذين القانونين بعملية إحراق الفحم . فالقانون الأول من قوانين الديناميكا الحرارية يقول لنا بأن كمية المادة والطاقة تبقى ثابتة ، قبل وبعد الحرق .

أما القانون الثاني فيفيدنا بأن عملية الاحتراق أحدثت تحولا نوعيا ، فقد كانت هناك طاقة مختزنة في الفحم قبل الاحتراق ، يمكن استخدامها في عمل مفيد ، كتوليد البخار أو الكهرباء . ولكن بعد عملية الاحتراق تفقد الطاقة المنطلقة هذه الميزة وتتبدد كحرارة في النظام ، وتتحول الى طاقة محبوسة لا فائدة منها . ومقياس هذه الطاقة في النظام الكوني هو الانتروبيا .

يصنف الكتاب النظم تصنيفا يختلف عن التصنيفات التقليدية ، ويعتمد على أساس أدوار هذه النظم في تبادل الطاقة والمادة مع المحيط الخارجي . وهناك حسب هذا التصنيف ثلاثة أنواع من النظم : النظام المعزول وهو لا يتبادل المادة أو الطاقة مع البيئة ، والنظام المغلق ، وهو يتبادل الطاقة فقط دون المادة ، مع العالم الخارجي .

وحسب هذا التعريف تكون الأرض نظاما مغلقا اذا صرفنا النظر عن بعض الاسهامات الضئيلة للغبار الكوني والشهب والنظام المفتوح ، الذي يتبادل الطاقة والمادة ، كلتيهما ، مع العالم الخارجي . وتعد جميع النظم الاقتصادية والعضوية نظما مفتوحة لأنها تقوم بتبادل الطاقة والمادة مع البيئة .

احتمالات المستقبل :

يطرح الكتاب توقعات تنطوي على شيء من التشاؤم بالنسبة لبعض المشكلات ، الا أن الطابع الغالب لهذه التوقعات يظل متسما بالتفاؤل . فالمؤلفون متشائمون من استمرار نفاد احتياطي الوقود الحفري ، وهم لا يتوقعون حلولا لمشكلات الطاقة وارتفاع ثمنها قبل مرور عقدين آخرين من الزمان ، على أقل تقدير . وهناك ايضا مشكلة ازدياد سيطرة الانتروبيا وتراكم الملوثات والفضلات .

ولا يتوقع المؤلفون حلا عاجلا لمشكلات البطالة في العالم ، لأن الوصول الى معدل أفضل للتوظيف لا يتحقق الا بزيادة الاستثمار . . . وللأسف فان زيادة الاستثمار تقود الى زيادة النمو . . . وهذا بدوره يؤدي الى زيادة التضخم والتلوث واستنزاف البيئة . وبتعبير آخر فان مشكلة البطالة لا يمكن أن تحل الا على حساب تفاقم مشكلات أخرى كالتضخم

الـذي يثقل كـاهل العـالم اليـوم ولا يتـرك مـزيـدا لمستزيد . ولكن من جهة ثانية ، فان الكتاب يفتح الكثير من منافذ الأمل بـالنسبة للمستقبـل ، ويرى مؤلفـوه أن الانســانيــة ستفلح في التـغلب عـلى مشكلاتها ، اذا سيـطر المنطق والعقـل على أعمـالها واستطاعت ابتداع طرق تقنية جديدة .

فاذا أصبح الانسان ـ مثلا ـ عاجزا في المستقبل عن استعمال الطائرات بسبب نضوب الوقود الحفري ، فان تطور التقنيـة سيمكنّه من بناء صحون طائرة يسيرها نوع آخر من الطاقة . وحتى بالنسبة لمشكلة التكاثر السكاني التي يكاد يجمع العلماء على أنها من أخطر المشكلات التي تقلق البشرية لكونها تتحمل بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، قسطا من المسؤولية في تـأزيم مشكلات أخـرى ، كنقص الغذاء والـطاقة واكتظاظ حركة السير والتلوث والتضخم وغير ذلك ، فإن جارت هاردن ، أحد مؤلفي الكتاب ، يقدم لنا بشأنها وجهة نـظر طريفـة متفائلة تختلف عن الآراء التقليدية . فهاردن يتفق مع هنري جورج الذي كان قد نادى منذ زمن طويل بدحض النظرية المالثوسيه . ويرى هاردن ان انعدام العدالـة الاجتماعيـة وسوء التوزيع لا التفجر السكاني هما السبب الرئيسي في كل مانعانيه ، وأن كل فم جديد يفد الى العالم ويريد أن يأكل إنما يحمل ايضا ساعدين جديدين قادرين على العمل وانتاج المزيد من الغذاء . واكثر من ذلك فان المؤلف يذهب الى أن زيادة السكان ، في حالة ثبات جميـع العوامـل الأخرى ، هي في صـالح مستقبـل العـالم ، لأنها تؤدي الى الاسراع في عمليـة التقـدم العلمي والتكنولوجي والطبي ، أما بـالنسبة لنقص الغذاء فيرى جاردن بأن أحـد الحلول لهذه المشكلة يتحقق باعتماد بعض الدول التي يقل فيهـا الانتاج الغذائي عن بعضها الآخر ، التي يفيض لـديها هـذا الانتاج . ويبدو لنا أن تفاؤل المؤلف بالنسبة للتفجر السكاني مبالغ فيه ، ومناقض لوجهـة نظر الكتـاب نفسه في البيئة المغلقة التي تستلزم الحد من الانتـاج والاستهلاك .

وعلى كل فان الكتاب يدعو الى نـوع جديـد من التـقنيــة الجديـدة يهدف الى تحرير الانتـاج من الاعتماد على الطاقات المختزنة (الوقود الحفري) الى الطاقات المتدفقة بصورة طبيعية (كالطاقات الشمسية والريحية والمـائية) ، أي الاتجـاه نحو طـاقات يمكن تجديدها . وتبشر التقنيــة الجديدة أيضا بتخفيض استهلاك المواد بواسطة زيادة كفاءة هذه المواد بحيث يمكن لكميـة صغيـرة منهـا أن تقـوم بمهمـة الكميـة الكبيرة .

من هذا العرض السريع للأفكار الواردة في كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) ، يتبين لنا مدى أهميته فهو يعالج مشكلات آنية ملحة ، تشكل مصدر قلق للعـالم ليس في الحاضـر فحسب ، بل في المستقبـل أيضا ، ومن جهة أخرى يعالج هذه المشكلات من خـلال نظرة متكـاملة . ففي حين نجـد أن معـظم الكتب الأخرى تتصدى لهـذه المشكلات ، إمـا من وجهة نظر اقتصادية ، أو من وجهة نظر بيئية ، يرصد هذا الكتاب مشكلات البشرية بمنظار علم الاقتصاد البيئي ، الذى يصهر علوم الاقتصـاد والايكولوجيا والبيولوجيا والكيمياء والفيزياء في بوتقة واحدة . □

الأخلاء الثلاثة

قال أحد الحكماء : للمرء ثلاثة أخلاء :
خليل يقول له أنا معك حيا وميتا ، وهو عمله ، وخليل يقول لـه أنا معـك حتى تموت ، وهو ماله ، وخليل يقول له : أنا معك حتى باب قبرك ثم أخليك ، وهو ولده .

من المكتبة العربية



أضواء على شعر البحترى

بقلم : عبد الرزاق البصير

هل يمكن فصل مادة الابداع عن مبدعها ؟

وهل يمكن أن ينظر الى المادة الابداعية دون النظر فى ظروف العصر الذى أبدعت فيه ؟

ربما ترى بعض المدارس ذلك، وتعارضها بطبيعة الحال أخرى . فكيف نظر الباحث والكاتب د . خليفة الوقيان لشعر البحترى ؟ ومن أية زاوية فنية درسه ؟

حينما تلقيت هذا الكتاب ● ، وجدت نفسى تتساءل عن السبب الذى دفع المؤلف الى اختيار دراسة هذا الشاعر من بين شعراء العصر العباسى ، على الرغم ممن فيه من الشعراء المتفوقين ، وقد اعتقدت أنى أجد جواب هذا التساؤل فى المقدمة التى صدّر بها المؤلف كتابه ، ولكننى لم أجد شيئا من ذلك ، فلم استغرب لأنى اعرف بأن طبيعة المؤلف تميل الى أن يكون القارىء قادرا على أن يستكنه بنفسه هذا السبب وغيره من الأسباب ، وليس من شك أن هذا الاسلوب يدل على احترام المؤلف لقرائه ، وأنه يريد منهم أن يكونوا متعمقين فى ما يقرأون ، ومهما يكن من شي فإن تمهيد المؤلف يدل على أن مؤلف الكتاب يعتقد بأن النقاد الأقدمين أو معظمهم على الأقل ، وقفوا عند ساحل شاعرية الشاعر دون أن يتعمقوا في لجة بحره ، ذلك أننا نجد المؤلف يقول : ان قضية السرقات فى الشعر قد شغلت النقد العربى ،

● شعر البحتري ـ دراسة فنية ـ د . خليفة الوقيان

واستنزفت جهود النقاد ، وهذا نهج يجعل الناقد غير متجرد فى دراسته ، لأن همه سيحصر فى تتبع الشعراء ، بقصد الكشف عن الشبهات وتصيدها لاثبات سرقاتهم .

لهذا اجتهد أديبنا بأن تكون دراسته لأبى عبادة الوليد دراسة فنيةدقيقة ، وهو نهج لا بد وأن يكون قد كلف الدارس بأن يتحمل مشقة فى بحثه هذا .

دفاع عن البحتري

في تصوري أن الدكتور خليفة امتلأت نفسه اشفاقا على البحتري ، لأنه يعتقد بأن شاعرنا قد ظُلم من أنصاره وخصومه على السواء ، فهو فى نظر أنصاره أعرابى الشعر ، ولم يفارق عمود الشعر ، وتلك الصفة فى نظرهم فضل يضاف اليه ، وهو فى نظر خصومه ساذج الصنعة كثير السرقة . غير أن المؤلف يرى بأن البحترى كان مجدداً فى وسائله الفنية ، بالقدر الذى يجعله يمثل كل ما طرأ على عصره ، وذلك مما يقتضى توجيه الدراسة الى شعره بمنأى عن الاعتبارات الخارجية ، التى كانت تكيف الحكم عليه ، وفى تقديرى ان هذا النهج ليس مقصورا على البحترى ، بل يشمل المبرزين من الشعراء الذين شُغل النقاد الاقدمون بدراسة شعرهم .

ويبقى السؤال الذى طرحته فى أول هذه الكلمة معلقا دون جواب ، غير أنى لا أستبعد أن يكون الباحث قد أحب شعر أبى عبادة وانسجم معه ، لما فى شعر هذا الشاعر من وضوح واشراق . وأنت حين تقرأ ديوان الوقيان ،لا تجد فيه أى غموض ، ولا يتسع المجال للحديث عن تأثر الشاعر بشاعر آخر ، وقد ذهبت الى هذا الرأى لأنى وجدت المؤلف يترجم للبحترى بصورة تشهد بأن له فى قلبه مكانة خاصة ، وكمثال على ذلك بالاضافة الى ماتقدم ، نرى كاتب البحث ينتقد الذين يصفون البحترى بالبداوة ، اذ أنهم ربما كانوا يقصدون بأن البحترى ضعيف الخيال جافى الطبع ، كما هى الصفات الغالبة على من تطلق عليه هذه الصفة .

فالمؤلف يرى أن البحتري أخذ صفاء البداوة وتجربة الحضارة ، وهكذا يأخذ المؤلف فى الاعتذار عن كل ماذكره خصوم الشاعر ، من وصف غير لائق بشاعر يعد من أكابر الشعراء ، فقد رووا عنه بأنه قليل العناية بملابسه وانه مدّل بنفسه الى حد يجعله ثقيلا على من يسمعه حين ينشد شعره ، وقد أوردوا قصصا يطول ذكرها ، ولكن المؤلف جعل يفندها بحجج قوية مقنعة ، وهذا نهج يدل على أن الباحث يقدر البحترى أعظم التقدير ، مما يجعل لبحثه ميزة تنجذب اليها نفس القارى ، فنحن نعلم أن كثيرا من الباحثين درسوا هذا الشاعر ، ولكنك حين تقرأ لهم ، ترى كأنما كتبهم نسخة واحدة . ذلك أنهم أخذوا ما قاله خصوم الشاعر أخذ المسلمات ، وقد تبسط الباحث فى الدفاع عن الشاعر حيث نراه يحقق فى مذهبه تحقيقا فيه دقه وأناة ، مرتكزا فى ذلك على أدلة تشهد أن أديبنا اجتهد فى الدفاع عن الشاعر ، فقد أراد خصومه أن يثبتوا أنه معتزلى ، وأراد بعضهم أن يثبت بأنه متعصب ضد العلويين ، لكن المؤلف اثبت أن ميل الشاعر أقرب الى أهل البيت منه الى أى مذهب آخر .

القصيدة السينية والعروبة

وقد كان الباحث موفقا حين دافع عن عروبة البحترى ، مرتكزا على ما جاء فى سينيته المشهورة ، عندما وقف على ايوان كسرى ، تلك القصيدة التى اعتمدها خصومه على أنها دليل على ضعف عروبته ، وكم تكون خسارتناكبيرة لو ثبتت حجج القائلين بشعوبية الشاعر ، لأن شاعرنا ينتمى الى قبيلة طىء اليمانية ، فإن من الفجيعة أن يتنكر شاعر مثل البحترى لعروبته ، على أنى أود لو أشاد المؤلف بعينية البحترى أكثر مما فعل ، فكنت أود أن يدعوا الى أن تكون هذه القصيدة من محفوظات ناشئتنا فى جميع أنحاء الوطن العربى ، الذى أصبح الدم العربى يراق فيه بأيد عربية ، فانه لا يكفى أن ينوه الباحث عن هذه القصيدة بأنها لوحة مؤثرة ، فان هذه القصيدة تعتبر دعوة لكل عربى بأن لا يطيع من يأمره بقتل أخيه العربى .

وهل يوجد أشد تأثيرا فى النفس العربية من قول البحترى فى عينيته

تـقـتـل مـن وتـر أعـز نـفـوسـهـا
عـلـيهـا بـأيـد مـا تـكـاد تـطـيعـهـا
اذا احتـربـت يـومـا ففـاضت دماؤهـا
تـذكـرت الـقـربى ففـاضـت دموعهـا
شـواجـر أرمـاح تـقـطـع بـيـنـهـم
شـواجـر أرحـام مـلـوم قـطـوعـهـا

ولست أستبعد أن يكون التوجه العربي المبكر والحس الناصع ، من جملة العناصر التى حببت البحترى الى كاتب هذا البحث ، فان النزعة القومية هى أحب الأشياء الى نفسه. يضاف الى ذلك أن البحترى يتصف بصفاء الطبع وسهولة المأخذ ، فقد انقادت اللغة العربية لشاعرنا ، ولعل طواعية اللغة العربية لديه مما يؤكد انه يمتلك ثروة لغطية كبيرة ، يتصرف فيها بيسر ، ويوجهها دون عناء. وقد أعجب به اللغويون الذين يتشددون عادة فى محاسبة المحدثين.

ذلك بعض ما ذكره الباحث من أوصاف البحترى ،وهو دليل واضح على اعجاب الدكتور خليفة الوقيان بشعر البحترى. ولا تنقاد لغة القرآن الا لمن اتسعت ثقافته فى التاريخ والفلسفة. اذ أن البحترى عاش فى عصر امتحنت فيه التيارات الفكرية والفلسفية ، بحيث لايستطيع أى مثقف بمجالس الخلفاء والوزراء فيصبح نديمالهم ،الا بعد أن يتمثل تلك التيارات ، فتبرز فى آثاره الأدبية، ذلك مافصّله المؤلف عندما تحدث عن ثقافة أبى عبادة ،غير أنى كنت أود لو أوضح لنا المؤلف وجهه نظره حول أى الاتجاهين يميل ، فهناك اتجاه يذهب الى الاستعانة بالمنطق والفلسفة ، ويميل الآخر الى البعد عن تلك المؤثرات. لأن كاتب البحث قادر على أن يرجح أحد هذين الاتجاهين ، لما له من يد طولى فى نظم الشعر الرفيع ، ولقد كان الباحث محقاً عندما اجتنب تطبيق مقاييس هذا العصر ومفاهيمة على البحترى كما يفعل كثير من النقاد ، لأن ذلك تكلف أو تعسف غير معقول ، فلكل عصر مفاهيمه ومقاييسه فى كل شأن من الشئون ، فمها أن فن الشعر كان فيما مضى مسخراً لذوى الجاه والسلطان ، وهذاأمر متفق عليه فيما مضى من العصور ، أما فى هذا العصر فان من الشعر ما قد سخر لقضايا الشعوب ، ولكن بعض النقاد يأخذ على شعرائنا الأقدمين سلوك هذا النهج

العروبة والقبيلة

ومن الملفت للنظر أن المؤلف تنبه الى أن مديح البحترى لقبيلة طيىء يمتاز على غيره من المدائح ، لأنها قبيلته ، وله الحق فى أن ينحو هذا الاتجاه

يقول المؤلف: « يلاحظ أنه يخاطب ممدوحيه من الرؤساء والقادة الطائيين بخاصة والعرب بعامة بعاطفة صادقة ، ويجهد فى ابراز فضائلهم بشكل يختلف عما يفعله مع بقية ممدوحيه ». وهكذا نجد المؤلف يلح فى ابراز عروبة البحترى ، بتوظيفه مدائحه للمتوكل وغيره من الخلفاء للدفاع عن قومه، والتوسط لدى الخلفاء والوزراء والقواد للعفو عنهم حيث تلم بهم الأحداث. على شاكلة قوله

فـراتـك الأدنـون من حيث تـنـتـمى
وجـيـرتـك الـدانى الـيـك بـعـيـدهـا
أتـهـدم حـرفـيْـهـا وطـورك طـورهـا
وتـنـحـت فـرعـيـهـا وعـودك عـودهـا

وليس من المبالغة فى شيء اذا قلت ان هذين البيتين وأضرابهما من شعر البحترى ، يحتويان على نداء عربى قوى يمكن أن يوجه إلى كل عربى يشهر سلاحه فى وجه أخيه العربى فى كل عصر من العصور. واذا ما أردنا أن نتعرف على شعر البحترى من الناحية الفنية ، فاننا نجد أديبنا قد تبسط فى الحديث فى هذا الجانب ، ولا غرابة فى ذلك ، فان تذوق الشاعر النابه للشعر يمكنه من تبيّن ما لصاحبه البحترى من ميزات لا يكاد يتعرف عليها غيره

وقفة قصيرة

ويطول بنا الحديث لو أردنا أن نتتبع ما ذكره المؤلف من ميزات البحترى ، ولكن أود أن أقف وقفة قصيرة حذاحول ما ذهب اليه المؤلف من تفضيل البحترى على سائر الشعراء فى قدرته على الوصف ، فهو يرى أنه أقدر من غيره فى هذا الجانب ، معتمدا على تذوقه الخاص ، بالاضافة الى ما قاله النقاد المحدثون ، من أنه شاعر وصّاف ، بما له من شهرة

تذوق المرثيات ، بجمال فنه ،وأنه فريد الوصف جيده ، ولعل شاعرا شرقيا لم يصل الى مستوى البحترى حين وصف مظاهر الحضارة ومباهجها وكل ما يتصل بها .

فيا من شك أن أبا عبادة لطيف الديباجة سلس فى أسلوبه ، له قصائد ممتازة فى الوصف ، كقصيدته التى يصف بها الربيع ، فيا من متذوق للشعر الا ويترنم بها حين يتاح له أن يتجول فى روضة باكرها الربيع ، فأصبحت ترقص أشجارها وجداولها وتغرد بلابلها ، هنا لا بد له من أن يتغنى قائلا :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
أوائل ورد كن بالامس نوّما

ولكنى مع هذا كله أعتقد أن شاعرنا البحترى لا يتفوق على ابن الرومى فى قدرته على الوصف ، فانك حين تقرأ لابن الرومى ترى أمامك مصورا قديرا يرسم ما يختلج فى النفس من أحاسيس ، كمايرسم مشاهد الطبيعة بطريقةينقلك معه الى تلك المشاهد الحسية والمعنوية ، والشواهد كثيرة على ماذكرت ، كمقطوعته التى يصف بها الخباز عندما يصنع الخبز ، والمقطوعة التى يصف بها الأحدب ، وغير ذلك كثير .

أما وصفه المعنوى فانك تجده مبثوثا فى ديوانه ، ولعل قصيدته التى يرثى بها ابنه الأوسط من أقوى الأدلة على ماذهبت اليه والتى مطلعها .

بكاؤكما يشفى وان كان لا يجدى
فجودا فقد أودى نظيركما عندى

وقصيدته التى يصف بها وحيد المغنية ومطلعها

ياخليلى تيمتنى وحيد
وفؤادى بها معنّى عميد

ففى هاتين القصيدتين صور واضحة للأحاسيس المادية والمعنوية :

ولا يعنى ماذكرته أنى أغض من قدرة شاعرنا الطائى على الوصف ، وما يتضمنه شعره من رقة وموسيقا تجتذبان اليهما نفس المتذوق للشعر ، كلا . . . فأنى لم أقصد الى شيء من ذلك ، وانما الذى قصدت اليه هو أن أشير الى أن فى عصره من يضارعه فى قدرته على الوصف .

وفى هذاالكتاب فصول غنية لا أستطيع ان ألم بها فى هذه الكلمة الموجزة ، ويكفى أن أشير الى جلاته لقضية أدبية مهمة ، وهى أن لأشعار بعض الأدباء أثرا فى النفس لانستطيع أن نفهم سرها وكل مانعرفه أنها تمتزج فى النفس امتزاج الماء النمير فى قلب الظمآن ، وقد أعلن هذه الحقيقةكبار النقاد فى الشرق والغرب ، كذلك أشير الى وقفة الباحث حول ما قاله بعض القدامى ، من أن البحترى اتجه الى ترقيق لفظه وتسهيل صياغته القديمة وتهذيب معانيه ، استجابة لنصيحة الفتح بن خاقان ، كى يوافق هوى المتوكل ، هنايتبرى المؤلف بصورة حازمة فى الرد على هذا الزعم فيقول :

انهم يظلمون الشعر كثيرا ، اذ يحيلونه الى حرفة ميكانيكية ، بامكان الشاعر أن يتصرف فيها ويغير طبيعتها استجابة لنصيحة عارضة ، أو مناسبة مفاجئة ، فى حين تبدو عملية النظم أكثر تعقيدا من ذلك .

وبعد . . . فإن هذا الكتاب اضافة جديدة فى موضوع جالت فيه أقلام عشرات من الباحثين ، وهذا أمر لايقدر عليه الا القليل من الكتاب . □

خبز الروح

يقول أحد الفلاسفة : اذا كان اكتشاف الحبوب وصنع الخبز منها ، هو الانتصار الأكبر على الجوع ، فان الكتاب هو خبز الروح ، وهو الانتصار الأكبر للانسان على الجهل والعبودية .

الكتاب : زائر المساء/ مجموعة قصصية .
المؤلف / خليل السواحرى .
الناشر / دار الكرمل للنشر والتوزيع / عمان .
عدد الصفحات / ٦٨ من القطع المتوسط •

هذه المجموعة الجديدة لخليل السواحرى استمرار لمجموعته « مقهى الباشورة » التى رسم خلالها جوانب من صور الاحتلال الاسرائيلى للضفة الغربية عام ١٩٦٧ ، لكن هذه المجموعة تتميز باحتوائها على قصص كتبت قبل الاحتلال ، وآخر ما كتب بعد الخروج / لتضيف ابعادا جديدة للهم الفلسطيني فى الزمان والمكان •

الكتاب / علم النفس التحليلى .
المؤلف / كارل غوستاف يونغ .
ترجمة / نهاد خياطة .
الناشر / دار الحوار ـ اللاذقية ـ سوريا .
عدد الصفحات / ٣٠٢ من القطع المتوسط •

احدى الترجمات القليلة ، لبعض أهم مقالات عالم النفس التحليلى الشهير كارل غوستاف يونغ ، تلميذ فرويد المتمرد •

ويجمع الكتاب فصولا تحمل الطابع العملى ، مثل تحليل الأحلام فى التطبيق العملى ، ومدخل الى علم النفس التحليلى ، الى جانب فصول أخرى ذات طابع ذهنى ونظرى ، مثل علم النفس والأدب ، والمشكلة الروحية عند الانسان الحديث ، اضافة الى موازنة بين يونغ وفرويد وثَبْتاً بمصطلحات علم النفس التحليلى كتبها المترجم •

الكتاب / سلاما أيها المسرحيون .
المؤلف / على مزاحم عباس .
الناشر / مطبعة العمال المركزية ـ بغداد .
عدد الصفحات / ١٠٠ من القطع الكبير .

تحت هذا العنوان وضع الناقد والكاتب المسرحى العراقى على عباس مزاحم مجموعة مقالاته ، التى سبق نشرها فى الصحف والمجلات العراقية ، حول المسرح العراقي ، قام بتنظيمها من خلال عناوين عامة ، مثل قضايا وظواهر المسرح ، وحكايات عيد المسرح ، والمسرح بين الكتابة والعرض ••••

الكتاب / بلاي الرومى .
المؤلف / سيمون حايك .
الناشر / مطابع الكريم الحديثة ـ جونية ـ لبنان .
عدد الصفحات / ٢١٥ من القطع الكبير •

يذكر الدكتور حايك فى مقدمته لهذا الكتاب ، أن كلمة « هيستوريا » الاوروبية التى تعنى « تاريخ » ، هى فى الواقع كلمة أسطورة العربية ، ويضيف أن حادثا تاريخيا لم تختلط فيه الاسطورة بالتاريخ مثل حادث فتح الأندلس • ومن هذه النقطة يعيد المؤلف المشهد الاسبانى فى فترة الفتح الاسلامى وما قبلها ، بأسلوب جمع بين الأسطورة بمعناها الأدبى ، وبين الاسطورة باعتبارها تاريخا يرصد أحداث زمن خاص •

الكتاب : مناهج المستشرقين ـ جزءان .
المؤلف : مجموعة من الأكاديميين .
الناشر : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
عدد الصفحات : ١٠٧٢ من القطع الكبير .

يقع هذا المجلد الضخم في مجلدين ، نشرتهما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بمناسبة الاحتفال بالقرن الهجري الخامس عشر . وفيه يتصدى عدد من الأساتذة الاكاديميين العرب لأراء المستشرقين في العروبة والاسلام والنبوة وغيرها من آراء ، مصوبين ما جاء في بعضها من آراء خاطئة ، ومبرزين بعض نقاط الضعف في مناهجهم ، في محاولة لاعادة الاعتبار للحقيقة التي لم يتمكن بعض المستشرقين من اكتشافها ، حول تاريخنا ومنطقتنا .

الكتاب : مختارات من الشعر الافريقي .
تأليف : ك . أي سيناتو و ت . فنسنت .
ترجمة : جميل الضحاك .
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد ـ دمشق .
عدد الصفحات : ٢٠٠ من القطع الكبير .

ضمن موجة الاهتمام بآداب العالم الثالث ، تأتي هذه الترجمة لمختارات من الشعر الافريقي ، مع مقدمة نقدية تعريفية بجذور هذا الشعر واتجاهاته ومساراته .

ودون أن يهمل المؤلفان الشعر الافريقي التقليدي ، الذي انبعثت منه حركة الشعر الحديث في بلدان افريقيا المختلفة ، يقدم المؤلفان أعمالا لجيل الشعراء الأفارقة الأول ، مثل سنغور ، ويمضي باتجاه الشعراء الشبان ، مثل وولي سونيكا ، وأوكاي .

الكتاب / نظرية التراث .
المؤلف / الدكتور فهمى جدعان .
الناشر / دار الشروق ـ عمان ـ الأردن .
عدد الصفحات / ٢٥٨ من القطع الكبير •

يصف المؤلف المقالات التى ضمها هذا الكتاب بأنها ضرب من القول وبحوث متباينة ، متفاوتة فى مستوى الخطاب • وتحت هذا التوصيف العريض ناقش الدكتور جدعان مسألة التراث المطروحة في عالمنا العربى بشكل حاد ، ولكن الدكتور جدعان يتجاوز هذه المسألة ، ويقدم أبرز من بحثوا فكرة التراث الدينى ، ويدخل فى سجالات مع بعضهم ، ويضىء أكثر من مسألة بجدل عقل رفيع .

الكتاب / كريمة .
المؤلف / د . شريف حتاتة .
الناشر / مكتبة مدبولى ـ القاهرة .
عدد الصفحات / ١٩٨ من القطع الكبير .

رواية جديدة للدكتور شريف حتاته ، صاحب الثلاثية الشهيرة « العين ذات الجفن المعدني » .
والرواية تنويع على نفس الأجواء السابقة للدكتور حتاتة ، التى يمتزج بها الحب والسياسة بالعنف والعسف فى السجن ، حيث يتكون عالم جديد وحياة جديدة . □

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

القناعة و الاقتناع.. تصحيح بيت

١ - القناعة والاقتناع

في رسالة من الدكتور الفاضل امين موسى جاد ، اختصاصي الحشرات (الزمالك - القاهرة) - اشار الى ورود كلمة « قناعة » مستعملة بمعنى « اقتناع » في بعض مقالات مجلة العربي (العدد ٣٢١ - اغسطس - آب سنة ١٩٨٥) ص ٩٩ ، ١٧٩ على سبيل المثال) وعقب على ذلك بانه قرأ كثيرا عن عدم صحة هذا الاستعمال ، لان « القناعة الرضا بالقليل ، ثم طلب مني توضيح هذا الخلاف .

واشكر للدكتور حسن ظنه وتحيته ، واصارحه بدءا باني كنت انكر استعمال « القناعة » بمعنى الاقتناع ، لما كنت اقرأ واسمع من شيوخي في انكاره حيثما ورد ، لا سيما عند مناقشة بيت المتنبي في احدى روايتيه :

ليس التعلل بالآمال من أربي
ولا القنوع مع الاقلال من شيمي

وقد انكر عليه قديما استعماله القنوع بمعنى القناعة هنا بحجة ان القنوع بمعنى السؤال والذل ، وان القناعة تعني الرضا وهي المناسبة هنا ، وان كان للبيت رواية اخرى مناسبة للمقصود ، وهي « ولا القناعة بالاقلال من شيمي »

كنت انكر ما انكروه عليه ، ولم ازل حتى الآن كلما سمعت هذا الاستعمال أحس نفرة منه عند المفاجأة به ، ولكني رضت نفسي عليه ، وصرت أجد له عذرا بعد طول التفتيش في المعاجم ولا سيما المطولات .

ان الجذر « ق ن ع » في معاجمنا كثير الاشتقاقات ، ومعاني اشتقاقاته كثيرة ، ولا يعنينا فيما نحن بصدده الا الاشارة الى بعضها المناسب له .

فالفعل الماضي منه قَنَع كمنَع ، وقنِع كسمِع ، ومضارعهما يقنَع كيمنَع ويسمَع ، ومصدر الاول القنوع ومصدر الثاني القناعة . ومن معاني القنوع السؤال أو التذلل فيه ، ولهذا استعيذَ منه في الدعاء ، فقيل « نعوذ بالله من القنوع » كما قيل « نعوذ بالله من القنوع والخنوع والخضوع » وشاهده بيت شاعرنا الشماخ :

« لمال المرءِ يصلحه ، فيُغْنِي
مفاقرَه أعفُّ من القنوع »

ويلاحظ هنا ان القنوع والخنوع والكنوع وافعالها جميعا على وزن واحد ، وبمعنى واحد ، فهي تدل على الهبوط والانخفاض والتدنى ، وهى لا تختلف نطقا فى الصوت الاول من كل منهـا (ق ك خ) ، ولكن أصواتها الاولى قريب من قريب ، ولهذا القرب - مع تماثل بقية اصوات هذه الالفاظ - أثره فى وحدة معانيها ، وكأنما اصلها واحد قد نطق بلهجات مختلفة ، ولكنها متقاربة . وتصاقب الحروف او الاصوات (اى تقاربها) يدل على تصاقب المعانى كما قال احد نحاتنا النوابغ ، ودلالة الخنوع على الهبوط والانخفاض والتدنى واضحة لكثرة استعماله ، والكنوع ليست كذلك لندرة استعمالها ، وان كان يدل احيانا على هذه المعانى ايضا ، وشاهده قول لقيط بن يعمر الايادى ناصحا قومه بالتأهب لدفع الفرس عنهم حين رأى الفرس يتجهزون لحربهم :

« ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا
اذا يقال له : «افرج غُمَّة» كنعا

وكنع مثل خضع وخشع ومن الاسماء المعروفة كنعان وكانت تطلق على فلسطين بمعنى الارض المنخفضة ، ثم سمى بها القوم الذين يسكنونها كما صار يسمى بها بعض الرجال من سكان هذه المنطقة وجاراتها فى الشام .

وكل هذا لايفيدنا فهماً لما نحن بصدده ، ونحن لم نعرض له هنا الا لان بعضهم يطيل الوقوف عند معنى القنوع بمعنى الخنوع ، وبمعنى السؤال او التذلل فيه لالتباسه به فلنتركه بعد ، ولنبحث عن معنى آخر مناسب لما نحن بصدده . والمعنى الأخر هو القنوع بمعنى الرضا باليسير ، والرضا بالقسم ، والرضا مطلقا ، ومنه المثل « خير الغنى القنوع ، وشر الفقر الخضوع » ومنه قانع وقنيع وقَنوع بمعنى الرضا بالقسم ، والرضا مطلقا ، ومنه الاثر المشهور « القناعة كنز لا يفنى ، لانه لا ينقطع بالانفاق ، وهناك الاثر « عز من قنع ، وذل من طمع » وفلان مَقْنَع كمقعد يُرضى قوله ، وفى اساس البلاغة « قنع بالشىء واقتنع به واقنعك الله بما اعطاك » بمعنى الرضا ، ومصدر قنع قناعة ، ومصدر اقتنع اقتناع ، فلا حرج فى استعمال الاقتناع بمعنى القناعة . وقنع واقتنع مثل رضى وارتضى وزنا ومعنى .

٢ - تصحيح بيت

كنا قد نشرنا « صفحة لغوية » فى العدد ٣٢٥ ص ١٧٢ - ١٧٣ بعنوان « اعراب المنقوص » أشرنا فيها الى أن الفتحة في آخره تختفي في الشعر لاقامة الوزن ، وان هذا كثير الأمثلة والشواهد ، واستشهدنا لذلك ببيت ينسب لعنترة ، وهو :

ان (الافاعي) وان لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العطب

ولكن الواو - وهي للحال - سقطت في الطباعة ، فصار الشطر الاول هكذا « ان الافاعي ان لانت ملامسها » وكانت نتيجة هذا الخطأ أن ضاع الاستشهاد واختل المعنى .

وقد استدرك علينا هذا الخطأ الاستاذ المستشار حسن مهران حسن (رئيس الدائرة التجارية بمحكمة الاستئناف العليا بالكويت) فلاحظ أن البيت مستقيم وزنا مع سقوط الواو عندما تحرك ياء الافاعي بالفتحة ، وهذه ملاحظة صحيحة ، كما لاحظ أن اختفاء الفتحة جائز اذا قلنا « ان الافاعي وان لانت ملامسها » وهذه أيضا ملاحظة صحيحة .

وقد جال خلال مناقشته جولة واسعة تدل على معرفة عروضية ولغوية ، وختم مناقشته بأنه لا مدعاة لاضمار الفتح على الياء اذا أسقطنا الواو ، لاستقامة الوزن وسلامة الاعراب مع سقوطها ، وكل هذا صحيح عروضيا واعرابيا ، ولكنه لا يصح اذا تأملنا معنى البيت كما ينبغى أن يفهم . لان معناه مع سقوط الواو ، هو أن في أنياب الافاعي العطب بشرط لين ملامسها ، فاذا فقد لين الملامس لم يقع العطب لزاما . وهذا المعنى مختل ، وهو غير المقصود .

ولكن اذا قلنا : « ان الافاعي وان لانت ملامسها » فاسقطنا فتحة الياء لزاما ، كي يستقيم الوزن - كان المعنى أن الافاعي تعطب عند التقلب وان كانت لينة الملامس ، وهذا المعنى هو الصحيح والمقصود .

هذا ونشكر للأستاذ المستشار حسن طنه وطيب تحيته - حياه الله - ونكبر اطلاعه وغيرته على لغته التي هى عصمة وحدتنا العربية ، ووعاء ذخائرنا الثقافية ، ومعرض قدراتنا الفكرية . □

هكذا غنى الآباء

مبارزة أسد
من شعر بديع الزمان الهمذاني

هذه القصيدة من نظم بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ ـ ٣٩٨هـ) ، وهو من أشهر أدباء عصره ، كان سريع البديهة في الحديث والكتابة ونظم الشعر ، كما كان مضرب المثل في سرعة الحفظ ، له رسائل (٢٣٣ رسالة) ومقامات (٤٠٠ مقامة) .. وله ديوان شعر صغير ، وقد طبعت رسائله وديوانه ، وهو يدين بشهرته لمقاماته التي بقيت منها (٥١) مطبوعة ، ويذكر أنه كتب أكثرها مرتجلا ، وقد وردت هذه القصيدة في ذيل مقامة منها .

والقصيدة تحكي قصة أو ملحمة بين رجل وأسد . سافر الرجل في رحلة ليجمع مهر فتاة يحبها اسمها فاطمة ، حتى اذا بلغ مكانا يسمى كاظمة ، عارضه أسد ضخم يحاول اغتياله ، فترجل عن حصانه وبارزه مترجلا ، لان المحارب على الأرض يكون أملك لحركاته ، أما الراكب فخاضع لبعض حركات الحصان ، واستطاع قتل الأسد بسيفه ، ولكنه لم ينس بعد قتله اياه ، أن يثني على شجاعته ، وهذا من تقاليد الشجعان ، وفيه فخر للمحارب لانتصاره على خصم قوي .

ومثل هذه الملحمة (القصيدة) نادر في شعرنا العربي ، ولعل شاعرنا استوحى هذه القصة من واقعة حدثت بين أسد ورجل يسمى « جحدرا » في زمن الحجاج ، استطاع جحدر فيها قتل أسد ضخم ، ونحن لا نستعظم هذا ، لأن فارسا يسمى بدر بن عمار كان في زمن المتنبي استطاع قتل أسد بسوطه ، فمدحه المتنبي قائلا :

أمعفِّرَ الاسدِ الهِزَبْر بسوطه
لِمَن ادَّخرتَ الصارمَ المسلولا

القصيدة

أفاطمَ لو شهدتِ ببطنِ خَبْتٍ ... وقد لاقى الهِزَبْرُ أخاكِ بِشْرا(١)
اذن لرأيتِ ليثاً رام ليثاً ... هِزَبْراً أغلباً يبغي هِزَبْرا(٢)

تَبَهْنَسَ اذ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْري ... مُحاذرةً فقلت : « عُقِرْتَ مُهْرا[3]
أَنِلْ قَدَمِيَّ ظَهرَ الأرضِ إني ... وجدتُ الأرضَ اثبتَ منك ظَهْرا
وقُلتُ لهُ وقد أبدى نِصَالاً ... مُحَدّدةً ووجهاً مُكْفَهِرّاً[4]
يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وبِحَدِّ نابٍ ... وباللحظاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرا[5]
وفي يُمْنايَ ماضي الحدِّ أبقى ... بِمَضْرِبِهِ قِراعُ الخَطْبِ اثْرا ...[6]
ألم يبلغكَ ما فعلت ظُبَاهُ ... بكاظمةٍ غداةَ لقيتُ عَمْرا ؟[7]
وقلبي مثلُ قلبِكَ ، لستُ أخشى ... مُصاولةً ، ولستُ أخافُ ذُعْرا[8]
وأنتَ ترومُ للأشبالِ قوتاً ... ومُطَّلبي لبنتِ العمِّ مَهْرا
ففيمَ تروم مثلي أن يولي ... ويتركَ في يَدَيْكَ النفسَ قَسْرا ؟[9]
نصحتُكَ فالتمسْ يا ليثُ غيري ... طعاماً ، ان لحمي كان مُرّاً »
فلمّا ظنَّ أن الغِشَّ نُصْحي ... وخالفني ، كأني قُلتُ هُجْرا[10]
مشى ومشيتُ من أسدينِ راما ... مَراماً كان إذ طلباهُ وَعْرا
يُكَفْكِفُ غِيلةً إحدى يديه ... ويبسطُ للوثوبِ عليَّ أخرى[11]
هززتُ له الحسامَ فخِلْتُ اني ... شققتُ به لدى الظلماءِ فَجْرا
وجُدْتُ له بطائشةٍ رآها ... لمن كذّبته ما منّتهُ غَدرا[12]
بضربةِ فيصلٍ تركتْهُ شفعاً ... وكان كأنّه الجلمودُ وَتْرا[13]
فخرَّ مضرَّجاً بدمٍ ، كأني ... هدمتُ به بناءً مُشْمَخِرّاً[14]
وقلتُ له : « يعزُّ عليَّ اني ... قتلتُ مناسبي جَلَداً وقَهْرا
ولكنْ رُمْتَ شيئاً لم يَرُمْهُ ... سواكَ فلم أطقْ - يا ليثُ - صَبْرا
تحاولُ أن تعلّمني فِراراً ... لعمرُ أبي لقد حاولتَ نُكْرا[15]
فلا تبعد ، لقد لاقيتَ حُرّاً ... يحاذرُ أن يُعابَ فمتَّ حُرّا »

---

١ ـ خبت : مكان متسع من الارض . الهزبر : الأسد الصلب الضخم .
٢ ـ الليث : الأسد . الهزبر الاغلب : الاسد الغليظ العنق ، أو الغلاب لغيره .
٣ ـ تبهنس : تبختر حين تراجع عنه مهري خوفا منه . عقرت : سقطت وهلكت .
٤ ـ النصل : حديدة السهم أو الرمح ، أي أظهر أنيابا ومخالب حادة كالنصال . مكفهر : عابس .
٥ ـ يعتز بمخالبه وأنيابه الحادة ونظرات كأنها جمر النار .
٦ ـ في يدي اليمنى سيف مسنون تركت ضرباته في الحرب أثرها في حده .
٧ ـ ظبة السيف حده ، والجمع ظبا ، وكاظمة : اسم مكان يقع اليوم في الكويت ، وعمرو : اسم الخصم .
٨ ـ المصاولة : القتال : والصولة : الوثبة والسلطة والقوة .
٩ ـ تروم : تطلب . يولي : يهرب . القسر : الجبر والاكراه .
١٠ ـ الهجر : القول الفاحش .
١١ ـ يضم يدا ويمد أخرى طلبا لاغتيالي .
١٢ ـ ضربته ضربة طائشة أخلفت أمنيته الغادرة .
١٣ ـ انها ضربة سيف بتار ، جعلته قطعتين بعد أن كان جسما واحدا شديدا كالصخر .
١٤ ـ مضرجا : ملطخا : مشمخرا : عاليا .
١٥ ـ حاولت أمرا منكرا قبيحا وهو فراري منك .

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٢٨
مارس ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٨ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا منتصف مايو ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

١ - لقي شاعرٌ شاعرا آخر ، وكان كلاهما من فحول شعراء الجاهلية ، فسأل الأول كيف معرفتك بالأوابد ؟

فقال الق ما أحببت فقال

ما حشّة ميتة قامت ميتتها
درداء ما انبتت سنا وأحراسا

فرد الشاعر الثاني على الفور

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها
فأخرجت بعد طول المكث اكداسا

فمن هما الشاعران ؟

٢ - (وخوفوا الناس من دهياء مظلمة)

هذا هو صدر البيت فما هو عجزه ؟ وما المناسبة التي قيل فيها ؟

٣ - كيف تجمع « امرأة عقيم » و « رجل عقيم » مستبعدا في كلتا الحالتين صيغة جمع المؤنث السالم ، وصيغة جمع المذكر السالم ؟

٤ - ثمة جبل ينافس جبل افرست من حيث الارتفاع وهو بركان خامد ، ويقع في احدى جزر المحيط الاطلسي

ولو قيس هذا الجبل من قاعدته المغمورة في المحيط ، لبلغ ارتفاعه ٣٣٤٧٦ قدما ، علما بأن ارتفاع جبل افرست ، مقاسا من قاعدته لا يزيد على ٢٩٠٢٨ قدما فما هو الجبل المنافس هذا وأين يقع ؟

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٢٨

٥ ـ تماثيل غريبة وضخمة . . يبلغ وزن بعضها ٧٠ طنا ، وطول بعضها ٤٠ قدما ، وتعود الى أزمنة ما قبل التاريخ ، عثروا على هذه التماثيل في احدى جزر المحيط الهادي النائية . . فما اسم تلك الجزيرة ؟

٦ ـ شجرة طويلة شاهخة وقديمة موغلة في القدم . . أين توجد هذه الشجرة ، وما الاسم الذي اشتهرت به ؟



٧ ـ المحيط الهادي والمحيط الأطلسي . . يقع الواحد منهما الى شرق ، والآخر الى غرب الأول ، باستثناء مكان واحد يقع فيه المحيط الأطلسي الى الشمال والهادي الى الجنوب ، فأي مكان هذا . . ؟

٨ ـ هل هو نهر أم حوض أم بحيرة . . ما اسمه واين يقع ؟



٩ ـ سأل رجل صديقه : كم كتابا يوجد في مكتبتك . . ؟

فرد الصديق . . لو ضاعفت عدد الكتب في مكتبتي وأضفت الى المجموع نصف العدد الأصلي ، ثم أضفت (٧) الى الحاصل لأصبح مجموع الكتب في مكتبتي ٣٢ كتابا .

فكم عدد الكتب التي تحتوي عليها مكتبة الصديق ؟

١٠ ـ في تمام الساعة الثامنة من صباح كل يوم ينطلق قطار من القاهرة الى الخرطوم . . وينطلق قطار آخر من الخرطوم الى القاهرة . . فلو افترضنا أيضا أن الرحلة بين العاصمتين تستغرق سبعة أيام . . فكم قطارا يصادف في طريقه أحد القطارات المتجهة نحو الجنوب . . .

١١ ـ اذا كان الحداد يتقاضى فلسا واحدا لقاء ضرب المسمار الأول في حذوة الحصان من أجل تثبيتها ، وفلسين عن المسمار الثاني ، وأربعة أفلس عن الثالث ، وثمانية عن الرابع . . وهكذا . . فكم يبلغ مجموع ما يقبضه لقاء ضرب ٣٢ مسمارا . ؟

١٢ ـ في غضون الأيام القليلة القادمة ستستقبل خمس سفن فضاء على الأقل مذنب هالي في أجواء الفضاء .

ترى أي هذه السفن ستقترب من المذنب لتصبح على بعد ٣٠٠ ميل ؟

- جيوتو الأوروبية .
- فيجا السوفياتية .
- بلانت اليابانية .

حلول

١ ـ المذنب هو الكتلة الغازية المضيئة ، والشهاب أو النيزك هو الكتلة الصخرية أو المعدنية الملتهبة .

٢ ـ البيض الذي يحتاج لفقسه ٢٧ يوما هو بيض البط (بعض البط)
والبيض الذي يحتاج لفقسه ٣١ ـ ٣٥ يوما هو بيض الأوز .

٣ ـ صادر أمواله أي طالبه بها .

٤ ـ نعم هناك بوصلتان أخريان غير البوصلة المغناطيسية . . بوصلة الراديو وبوصلة الجيروسكوب ، وهما تساعدان على معرفة الاتجاهات ، دون أن تتوقفا عن العمل في أي بقعة من بقاع العالم .

٥ ـ الدهريون هم جماعة من المفكرين قالوا بقدم الدهر وجحدوا الخالق .

٦ ـ فيوس بهرنج اكتشف وأقام الدليل على أن القارتين أمريكا وآسيا منفصلتان وغير متصلتين ، خلافا للاعتقاد الذي كان سائدا قبل توصل بهرنج الى هذا الاكتشاف ، وذلك في رحلته الأولى (سنة ١٧٢٨ ـ ١٧٣٠) . . اما في رحلته الثانية (١٧٤٠ ـ ١٧٤١) فقد رأى بهرنج ألاسكا من الشرق ، وبالتالي اكتشف أمريكا من الشرق . . وتوفي بهرنج في رحلته الثانية هذه ، ودفن في جزيرة بهرنج .

٧ ـ غدة (المعقد) أو (لوزة المعدة) او (الحلوة) تسمى في الطب الحديث البنكرياس أو البنقراس .

٨ ـ تبلغ شجرة نبيان من الضخامة مايكفي لجلوس سبعة آلاف رجل تحتها أو في ظلها . . ويصدق هذا بخاصة على شجرة النبيان الموجودة في كلكتا . . فعدد جذوعها يزيد على ٣٠٠٠ جذع . . منها (٢٠٠) جذع كل منها بحجم شجر البلوط . . أما جذع الشجرة الرئيسي فيبلغ قطره ١٣ قدما ، كما يبلغ ارتفاع الشجرة ٧٠ قدما .

٩ ـ الأسكيمو يسكنون جزيرة جرينلند وسيبريا وليبرادور باضافة الى ألاسكا . . التي يفوق عددهم فيها عددهم فيما سواها .

١٠ ـ مارك توين . . اسمه الحقيقي صمويل لانجهورن كلمنس . ولد في بلدة فلوريا في ولاية ميسوري ، وعاش نحوا من ٧٥ سنة (١٨٣٥ ـ ١٩٤٠) .

١١ ـ عبارة الستار الحديدي قالها تشرتشل ، أول من قالها ، وذلك في خطابه الشهير الذي ألقاه في بلدة فولتون الأمريكية في ١٩٤٦/٣/٥

١٢ ـ المدر هو الطين العلك الذي لايخالطه رمل . . . ويدل اللفظ على المدن والقرى لأن بنيانها غالبا من المدر . أما الحضر فيقابله البدو (لا المدر) (راجع المنجد) .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٥ ديسمبر ١٩٨٥

١ ـ عبدالوهاب الفقيه رمضان / ١٦ نهج الاخوة ـ خزندار ـ باردو ـ تونس .
٢ ـ شادي يونس صافي / عمان ـ الأردن .
٣ ـ فاطمة داود بدوي / الصفاة ـ الكويت .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ عبدالله محمد سليمان / شركة آرامكو ـ الظهران ـ السعودية .
٢ ـ احمد صالح عركي / ادارة الكهرباء والماء ـ الدوحة ـ قطر .
٣ ـ كنج محمد المدني / المكتبة الاسلامية ـ كوتاكال ـ كيرالا ـ الهند .
٤ ـ جورجيت الياس امين / شارع الفلكي (باب اللوق) القاهرة ـ مصر .
٥ ـ عادل سيد أحمد محمد دول / الخرطوم ـ الدبوم الشرقية ـ كلية الدراسات الهندسية ـ السودان .
٦ ـ سعيد احمد السندي / الجامعة الاسلامية ـ ميرك ـ هنكورجا ـ سند ـ باكستان .
٧ ـ البابس أباهي / نواكشوط ـ موريتانيا .
٨ ـ مجيدي محمد / زنقة القبطان ادريس ـ القريعة ـ الدار البيضاء ـ المغرب .



معركة بلا سلاح

كاسباروف يعتلي عرش الشطرنج

أخيرا وبعد أربعة عشر شهرا من الصراع المرير فـاز جـاري كـاسباروف بـبطولـة العـالم للشطرنج ليصبح أصغر بطل في تاريخ اللعبة يتبوأ عرش الشطرنج في سن الثانية والعشرين ، وقد أرغم خصمه أناتولي كاربوف على الاستسلام في النقلة الثالثة والاربعين من الدور الختامي لمباراة العصر مسجلا بذلك ثلاث عشرة نقطة مقابل إحدى عشرة نقطة لخصمه بعد أن فاز بخمسة أدوار وخسر ثلاثة وتعادل في ستة عشر دورا .

وتمنح القوانين الدولية البطل المهزوم الحق في المطالبة باعادة المباراة في غضون خمسة أشهر من تاريخ الهزيمة ، وقد قرر الاتحاد الدولي للشطرنج أن تعقد مباراة الثأر خارج حدود الاتحاد السوفييتي ، ويتوقع المراقبون أن تعقد المباراة المذكورة في شهر مارس من العام الحالي إما في لندن التي أعربت عن استعدادها لتقديم جائزة للفائز قيمتها ثلاثمائة ألف جنيه استرليني أو في مارسيليا التي ضاعفت قيمة العرض .

وبطل العالم الجديد للشطرنج يتمتع بشخصية رياضية جذابة تتسم بالاندفاع والطيش أحيانا وهو يرأس فريق كرة القدم في مدينة باكو ويمارس السباحة ، وقد اقترن اسمه في السنوات الأخيرة بالممثلة السوفييتية المشهورة مارينا نيولوفا التي تكبره بستة عشر عاما . وللبطل الجديد شعبية كبيرة خارج الاتحاد السوفييتي لحيويته ومرحه وخروجه على التقاليد ، وقد هاجم السلطات الشطرنجية في بلده هجوماً عنيفاً عند ايقاف الجولة الأولى من المباراة واتهمها بالتحيز الصريح لخصمه ، ولكن يبدو أن فوزه بالبطولة قد أحدث تغيرا جذريا في موقفه من هده السلطات اد أنه أعلن عشية فوزه بالبطولة ان صفحة الخلاف بينه وبين الاتحاد قد طويت الى الأبد ، كما أعلن التزامه التام بسياسة الاتحاد واستعداده للقيام بجميع المهام الدعائية التي يكلفه بها .

والدور التالي الذي اخترناه لكم هو الدور الختامي من مباراة البطولة ، وتعرف الافتتاحية بالدفاع الصقلي .

كاربوف (أبيض)	كاسباروف (أسود)
١ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢ ـ ح ـ و ٣	د ٦
٣ ـ د ٤	جـ × د ٤
٤ ـ ح × د ٤	ح ـ و ٦
٥ ـ ح ـ جـ ٣	أ ٦
٦ ـ ف ـ هـ ٢	هـ ٦
٧ ـ ت	ف ـ هـ ٧
٨ ـ و ٤	ت
٩ ـ م ـ حـ ١	و ـ جـ ٢
١٠ ـ أ ٤	ح ـ جـ ٣
١١ ـ ف ـ هـ ٣	ر ـ هـ ٨
١٢ ـ ف ـ و ٣	ر ـ ب ٨

١٣ - و - د ٢	ف - د ٧
١٤ - ح - ب ٣	ب ٦
١٥ - ز ٤	ف - جـ ٨
١٦ - ز ٥	ح - د ٧
١٧ - و - و ٢	ف - و ٨
١٨ - ف - ز ٢	ف - ب ٧
١٩ - ر (أ) - د ١	ز ٦
٢٠ - ف - جـ ١	ر (ب) - جـ ٨
٢١ - ر - د ٣	ح - ب ٤
٢٢ - ر - حـ ٣	ف - ز ٧
٢٣ - ف - هـ ٣	ر - هـ ٧
٢٤ - م - ز ١	ر (جـ) - هـ ٨
٢٥ - ر - د ١	و ٥
٢٦ - ز × و ٦ (بالتجاوز)	ح × و ٦
٢٧ - ر - ز ٣	ر - و ٧
٢٨ - ف × ب ٦	و - ب ٨
٢٩ - ف - هـ ٣	ح - حـ ٥
٣٠ - ر - ز ٤	ح - و ٦
٣١ - ر - حـ ٤	ر ٥
٣٢ - و × ز ٥	ح - ز ٤
٣٣ - و - د ٢	ح × هـ ٣
٣٤ - و × هـ ٣	ح × جـ ٢
٣٥ - و - ب ٦	ف - أ ٨
٣٦ - ر × د ٦	ر - ب ٧
٣٧ - و × أ ٦	ر × ب ٣
٣٨ - ر × هـ ٦	ر × ب ٢
٣٩ - و - حـ ٤	م - حـ ٨
٤٠ - هـ ٥	و - أ ٧ +
٤١ - م - حـ ١	ف × ز ٢ +
٤٢ - م × ز ٢	ح - د ٤ + بالكشف

فيستسلم كاربوف وتضيع منه بطولة العالم لأنه لو فاز بالدور الأخير لتساوى مع منافسه في عدد النقاط (١٢-١٢) وظل بالتالي متربعا على عرش الشطرنج .

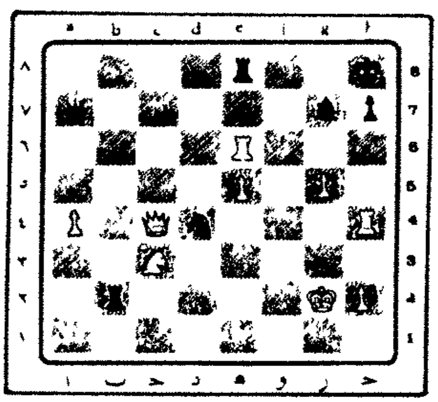
الفائزون بحل المسابقة رقم ٣٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ . محمد مجاهد اليمن/ صنعاء
٢ . محمد الفيومي الامارات/ ابو ظبي
٣ . بسام يوسف العراق/ نينوى
٤ . علي سعد ج . م . ع/ أسيوط
٥ . محمد حاج سوريا/ حلب

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ . الحسن الطيب السودان/ مدني
٢ . حليل ابراهيم السعودية/ الرياض
٣ . ريما مصطفي الكويت/ السالمية
٤ . رضا عَزّوم تونس/ قابس
٥ . محمد علي العاقل اليمن الشعبية/ أبين



مسابقة العدد

من دراستك لهذا الدور ما هي النقلة التي أدت الى انهيار دور كاربوف ولماذا ؟

حل المسألة رقم (٣٧)

١ . م - ب ٥ أي لعبة ٢ . ح - هـ ٧ +
م - أ ٧ ٣ . ح - جـ ٨ كش مات .

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

التفكير في زاوية جديدة تقدم العربي من خلالها نوعا من التحليل لبعض الأحداث الرياضية الهامة ، أو القاء الضوء على بعض قضايا الرياضة أو مشكلاتها ، أو التعريف بالشخصيات التي لها دور بارز في مجال الرياضة ، وهذا ما نعد القارىء الكريم وجميع من كتبوا لنا حول هذه المسألة ، ببحثه ودراسته من قبل مجلس التحرير في العربي .

اقتراح تربوي . .

● لماذا لا تهتم وزارات التربية والتعليم في الدول الاسلامية والعربية بتعليم وتدريب الطلاب على فن الكلام ، حتى يكون بامكانهم التعبير عما يجول بخواطرهم بدقة ووضوح ، وحتى يمكنهم التخاطب مع الناس بيسر وسهولة ، اذ أنني لاحظت أن الكثير من الناس يجدون صعوبة في التعبير الشفهي عما يريدون بطلاقة وسهولة ، ويقعون في كثير من الأخطاء الشائعة مثل : التكلم بسرعة شديدة ، أو ببطء شديد ، أو لاينطقون بعض الحروف بشكل واضح ، فضلا عن الأخطاء في قواعد اللغة ، مما يفسد عملية التفاهم أو التواصل بشكلها الصحيح .

عبدالرحمن الحسين

المملكة العربية السعودية / بلدية القريات

نعم للرياضة

لكن كيف ؟

● نود ان نقدم لكم اقتراحا ، حيث انكم ترحبون باقتراحات القراء ، حبذا لو تكون هناك صفحة أو صفحتان تحمل الأخبار الرياضية العربية والعالمية ، مع صور لنجوم كرة القدم المعروفين ، شاكرين لكم تعاونكم معنا ، ونرجو أن تقبلوا وتنفذوا اقتراحنا مشكورين .

ظافر حسين المالكي

دمشق ـ الجمهورية العربية السورية

ـ اخترنا هذه الرسالة الموجزة ، من رسائل عديدة ليست موجزة ، لكنها تتقدم بالاقتراح نفسه ، ولا أحد يختلف حول أهمية الرياضة ، وشعبية أنواع منها مثل كرة القدم ، ولكن في السبب ذاته تكمن المشكلة ، فأخبار الرياضة العربية والعالمية تغطيها الصحف اليومية بغزارة ، لدرجة أن (العربي) وهي مجلة ثقافية بالدرجة الأولى ، وشهريّة ويتم تجهيز أعدادها قبل شهرين من صدورها ، لا يمكنها أن تقدم في هذا المجال سوى أخبار قديمة لكن من الممكن

العربي

ـ نشكر للقارىء الكريم اهتمامه بهذه القضية التربوية الهامة ، وفي الواقع ان المناهج الدراسية ، تتضمن تعلم مهارات التعبير الشفهي ، لكن يبدو أن هذه المسائل لا تنفذ بالدقة المطلوبة ، ولا يتدرب عليها الطلاب التدريب الكافي ، رغم أهميتها البالغة لنجاح عملية التواصل الانساني ، الذي هو أساس العمل المشترك والحياة الاجتماعية السوية ، ويسرنا أن نقدم هذه الرسالة لمن يعنيهم الأمر من رجال التربية في وطننا العربي .

ماذا تعرف عن

وادي « دوعن » ؟

● أرجو أن تقوموا باستطلاع عن وادي « دوعن » بمحافظة حضرموت في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، فهذا الوادي يكاد يكون مجهولا تماما رغم ما به من معالم تاريخية ، وبخاصة في مجال الرى ، ورغم ان من منتجاته «العسل الدوعني» الذي يعتبر من أجود أنواع العسل في العالم ، أرجو أن تأخذوا ملاحظتي بعين الاعتبار في استطلاعاتكم القادمة باذن الله .

أحمد عبد القادر باشيخ

المكلا/ حضرموت
جمهورية اليمن الديمقراطية

العربي

ـ تصلنا رسائل كثيرة مثل هذه الرسالة من الاخوة القراء وتتحدث في اعتزاز عن مواطنهم وبلادهم ، التي يودون تعريف الناس بما فيها من آثار أو انجازات حديثة ، وهذه الرسائل تكون دائما محل اهتمامنا ، وضمن المؤشرات التي نستهدي بها في اختيار البلاد والمواقع ، التي تتوجه اليها العربي لاستطلاعها ، ونود بنشر مثل هذه الرسالة أن نطمئن صاحبها ، بل نطمئن الجميع .

بين القارىء والكاتب . .

● سؤالي الأول حول غياب الكاتب الدكتور حسان حتحوت عن مجلة العربي،نرجو لو تكرمتم أن تعطونا عنوانه .

ثانيا/ كانت الصفحة الأولى من أعداد العربي القديمة تقدم احدى الصور الفنية ، التي تشهد بمالنا من حضارة قديمة ، أما الآن فنجد اعلانا لشركة أو غيرها ، حبذا لو أعدتم الصور الفنية ، لتعطي المجلة طابعا فنيا .

ثالثا / نريد منكم نبذة عن حياة وأعمال الدكتور أحمد زكي أول رئيس تحرير لمجلة العربي .

احمد سالم القصار

محافظة حضرموت / جمهورية اليمن الديمقراطية

العربي

ـ مجلة العربي تنشر وترحب دائما بمقالات الدكتور حسان حتحوت ، وآخر ما نشر له بالعربي مقال حول « المرأة وديمقراطية الاسلام » في عدد نوفمبر الماضي ، وعنوان الدكتور حسان حتحوت : الكويت / مستشفى الولادة .

وبالنسبة لسؤالك الثاني فنرحب بفكرتك ونعد بدراستها ، أما بالنسبة للسؤال الأخير

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء...

فيمكنك الرجوع الى العدد الأول من كتاب العربي ، الذي يضم مجموعة مقالات هامة للدكتور أحمد زكي ، ومعلومات كافية حول حياته وأعماله .

ردود خاصة

انه مجرد فشلنا السادس عشر

● الى ل ، ي ، د
معرة النعمان بسوريا

والى عبدالله م . م/ سوهاج بجمهورية مصر العربية

العربي

ـ مشكلات الخجل والانطواء والتردد وعدم الثقة بالنفس يعاني منها الكثير من الشباب في مقتبل العمر ، وقد تتعدد الأسباب ، لكنها كلها تلتقي في أن هؤلاء الشباب يفتقرون الى خبرة مواجهة الواقع من حولهم ويؤثرون الهرب ، ويبالغون في تصور نتائج فشلهم في هذه المواجهة ، وعليهم ألا يخافوا مما يسمونه فشلهم ، فالقدرة على المواجهة والمبادرة لا تكتسب الا من خلال التحرر من الخوف من الفشل والناجحون ليسوا هم الذين لا يعرفون الفشل بل هم أولئك الذين عرفوه ، وتحرروا بهذه المعرفة من خوفهم منه ، كل الناس يواجهون الفشل في بعض المواقف ، المفكرون والزعماء ، والقادة والناجحون ، لكن لا أحد من هؤلاء يتوقف عند هذا الفشل ، ويعتبره نهاية الدنيا ، ولا أجد في هذه المناسبة أفضل من أن أذكر الأخوين العزيزين بعبارة شهيرة للزعيم الصيني : « صن يات صن » حين قال في احدى مرات فشله ، وهو يقود ثورة الصين العظيمة « انه مجرد « فشلنا السادس عشر ») !

● أحمد ياسين / بيروت الجامعة الأميركية

ـ مقالك « الآلام العظيمة تصنع الرجال » يشير الى أن لديك استعدادا طيبا للكتابة ، وقد لا يحمل كل المقومات التي تجعلنا ننشره في العربي ، ولكنه يحثنا على أن ندعوك الى مواصلة السير على الطريق ، الطريق طويل وأنت في بداية الشباب ، وصبرك ومثابرتك على القراءة ، واعادة الكتابة وتجويدها سيكون الدليل على أصالة موهبتك ، وعلى قدرتك على النمو في الاتجاه الصحيح ، فواصل طريقك واكتب للعربي ولغيرها والله يوفقك .

● الى محمود محفوظ الزقلعي
طرابلس/ ليبيا

نشكر لك اهتمامك ومتابعتك لما ينشر في العربي ، وحول ما تراه من أن النقلة الحضارية للأمة العربية تحتاج الى برنامج علمي ثقافي يغطي أوجه المعرفة المختلفة يلتزم به كتاب العربي ، فإن العربي وهي تسهم بدورها في تحقيق هذه النقلة تؤثر أن تترك لكتابها الحرية في اختيار المجالات التي يكتبون فيها ، لأن هذه الحرية توفر فرصة أفضل لابداع الكاتب ، وهي تثق في تقدير كتابها لعمق المسئولية الملقاة على عاتقهم وترى أنه من الأفضل لاي كاتب أن يقوم بدوره الخاص من خلال تقديره الذاتي لحدود مسئوليته وحجمها ، سواء أكان هذا الدور في اطار مجلة العربي أو في أي اطار آخر .

تجميد سريع.

مع نظام Toshiba للتبريد المباشر.

غنج واليابان
TOSHIBA

DIRECT COOL



GR 1205

سعة كبيرة • براد/ فريزر ببابين مع نظام تبريد مباشر للعائلات الكبيرة

• موفر للطاقة • فريزر كبير • مفتاح لإغلاق البراد والفريزر • إزالة أوتوماتيكية للجليد (للفريزر فقط)

GR 1005

سعة كبيرة • براد/ فريزر ببابين مع نظام تبريد مباشر

• موفر للطاقة • فريزر كبير • إزالة أوتوماتيكية كاملة للجليد • وحدة تصريف ماء للثلاجة • لوحة مسندية • مستوى حسي مسطح عملي

نظافة مستمرة.

مع غسالة Toshiba الكبيرة جدًا.

VH 1300

غسالة بحوضين

• نابض كبير لقوة غسل أكبر • نظام فلتر فعال للغسالة • مجفف دوار موفر للماء والوقت

VH 3300

غسالة بحوضين

• سعة كبيرة لكمية غسيل أكبر • نابض كبير لقوة أكبر • مجفف دوار موفر للماء والوقت

VH S450

غسالة أوتوماتيكية بحوضين

• سعة كبيرة جدًا • نابض SWING لمنع تشابك واختلاف الثياب ولتأمين تنظيف أفضل • مجفف دوار موفر للماء والوقت

TOSHIBA

TOKYO JAPAN

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مارس ١٩٨٦

الأطفال مرآة المجتمع

تأليف :

د . محمد عماد الدين اسماعيل

٥٠٠ فلس

الكتاب التاسع والتسعون

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

198 أول مارس 1986

من المسرح الإفريقي

المتعامون ③

تأليف : كوبينا سيكي
ترجمة : د. نايف خرما
تقديم : محمد أحمد الحجي
مراجعة : د. طه عبد السلام


صَبَاح الخَيْر!
NESCAFÉ
نسكافه
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح